جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية.

نظرات
في الفلسفة الإسلامية
من المشرق إلى المغرب

دكتور / ثروت حسين سالم
مدرس العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر

١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم ٠

وبعد

فإن القارئ للفلسفة وتاريخها عبر العصور المختلفة يلاحظ أعلاما قليل ما ينتبه إليهم ولكنه إذا حول نظره إليهم ودقق في أخبارهم وجد فكرا ملأ الشرق والغرب٠ فى شتى المجالات المختلفة ولكنهم مع هذا التعدد يقفون في ميدان واحد فقد أعملوا عقولهم وبحثوا ونقبوا ليخدموا الإنسانية من هؤلاء الأعلام الكندى والفارابى وابن سينا والغزالى فى المشرق وابن طفيل وابن باجة وابن رشد في المغرب ٠٠٠٠ وقد عرف هؤلاء بألقاب مختلفة نظرا لشهرتهم التى سطعت بنورها لظلام الغرب فنجد فيلسوف العرب ونظرياته البارعة وكذا المعلم الثانى وكذا الشيخ الرئيس٠٠٠٠الخ وقد أقحمت أوربا نفسها بكل ماأوتيت من قوة لتنهل من علم هؤلاء القوم وقد وجدنا كتبهم تدرس على أبناء الغربيين في شتى المجالات

المجـــالات المختلفـــة مـــن الطـــب والرياضـــيات والفلك٠٠٠٠٠الخ وتوضع في المتاحف الرفعية نظرا لمكانتهم وما ذهب إليه اصحاب هـــذه النظريـــات المختلفة يدعونا لننقب عن هولاء لنرى أثرهم الوضاء والفعال وهذا ما نحاول أن نكشفه في الصفحات التالية إن شاء الله تعالى بعيدا عن العصبية البغيضة التـــى تنسب الفكر الفلسفى لفئة دون أخرى بدون دليل قـــل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ٠٠٠٠ ومـــا نـــدرى لماذا هذا الهجوم قديما وحديثا وتسمية الفلسفة بالعربية أو نزعها من عقل الغير ونسبتها الى عقـــل خـــاص ٠وإذا كان الفكر حلقة واحدة يبرز السابق للاحق فيه فكره ويبنى اللاحق على ما سبق، فإن هـــذا لايعنـــى إنكار إبداع اللاحق ودوره وفكره الخ ما نعرض لـــه حول أصالة الفلسفة الإسلامية وقبل أن نتاول الفلسفة التى درات في محيط الإسلام والتى عالجت كثيـــرا من المشكلات الفكرية واثرت الجانـــب الحضـــارى بشتى ميادينه الأخلاقية والمادية والفكريةوالوجدانية ٠٠٠٠الخ

ابتهل إليه تعالى أن يعلم أبنائنا ما ينفعهم وأن يجعلهم لتراث ابائهم . مجددين وله حافظين ومن فوق هــذا كله لكتاب الله تالين وناصرين إنه نعم المولى ونعــم النصير .

يقتضينا المقام قبل أن نتكلم عن الفلسفة الإسلامية وما يتعلق بها من موضوعات فلسفية أن نقف على تعريف الفلسفة فنقول:-

لقد حاول الكثير من الباحثين تعريف هذا المصطلح فتعددت أقوالهم ومقاصدهم حول هذا الفن وذلكم نظرا -:

* لاختلاف تأثير التيارات الحضارية والدينية على مسيرة الفلسفة طول تاريخهاالضارب في القدم الى ما قبل الميلاد وقد أدى هذا التاثير المتباين الى تضارب في المفهوم الفلسفى متراوحا بين الثقة والتضييق والازدهار والانحدار[1]

*الطابع الشخصى لكل فيلسوف فتح له طريقا للإبداع من حرية وتقويم لآراء الغير وعدم التزام باتباع غيره من المتقدمين أو المعاصرين له٠

يقول أ٠د/زقزوق (ولعل الصعوبة في العثور على تحديد أو تعريف يتفق عليه بمفهوم الفلسفة يرجع الى

[1] الفلسفة الاسلامية في المشرق د/ سعيد الهوارى ص ٦ وما بعدها ٠

إن مفهوم الفلسفة ذاته يعد موضوعا فلسفيا ومن هنـــا لانعجب إذا ذهبت وجهات النظر في شـــأنه مـــذاهب شتى شأن أى موضوع فلسفى [٢]

*ومن هنا فلاضير من اختلاف وجهات النظر ذلـــك كما يقول د/دراز عمل انسانى يحكم فيه كل ما فـــي طبيعة الإنسان من قيوده وحدوده وتدرج بطئ فـــي الوصول إلى المجهول وقابليته والتحول وتقلب بـــين الهدى والضلال واقتراب وابتعاد عن درجة الكمال ٠ [٣]

*وهذا التعدد الفلسفى في الافكار لأنها كما علمنا نتاج عقلى فمن الماء إلى الهواء إلى النار إلى المبـــدأغير المتناهى إلى التعدد في الوقوف على أصل للكـــون [٤] كان الاختلاف والتباين الفكرى ونلخص من هذا إلـــى صعوبة الوقوف على تعريف جامع مانع للفلسفة ٠

ناهيك عن تنوع مجالات الفلسفة وميادنيها واختلاف الفلاسفة تبعا لهذا التنوع إلى جانب ذلـــك اخـــتلاف

---

[٢] تمهيد للفلسفة أ٠د محمود حمدى زقزوق ص ٢٥ وما بعدها ط دار المعارف الرابعة ١٩٩٢ م ٠

[٣] الدين – د محمد عبد الله دراز ص ٧٣ ط مطبعة السعادة ١٩٦٩ م ٠

[٤] دروس في تاريخ الفلسفة د/ابراهيم مدكور – يوسف كرم ص ١٠

المساحة الزمنية والمكانية والفكرية التى يظلها لفظ الفلسفة ٠ [٥]

وإليك التعريف المعجمى للكلمة ثم إردافه بالتعريف المذهبى للكلمة ٠

المفهوم الفلسفى للكلمة عند اليونان ٠

الكلمة من حيث الاشتقاق ليست عربية الأصل وإنما هى يونانية وتتكون من مقطعين فيلو،سوفيا وتعنى محبة الحكمة،والحكيم،هو الذى يكرس حياته وبعض حياته في تحصيلها ٠ ولما ترجمت العلوم اليونانية إلى اللسان العربى استبقى المترجمون الأصل اليونانى بعد أن أخضعوه للنطق العربى ومنه اخذ الفعل تفلسف ومشتقاته ٠

أول من اطلق عليه لفظ الفيلسوف :-

قيل إن أول واضع له فيثاغورث ٥٧٠ -٤٩٧ ق٠م حيث أثر عنه قوله لست حكيما فإن الحكمة لاتضاف إلى غير الآلهة وما أنا إلا فيلسوف أى محب للحكمة ٠

[٥] مدخل الى الفلسفة د/فوقية حسين ص ٥ وما بعدها ٠

*بينما يرى البعض صحة إطلاقه على ماكان بين سقراط والمغالطين السفسطائيين فالمغالط ينتقل من مكان إلى مكان آخر يعلم الشباب في سبيل أجرة يتقاضاها بينما الفيلسوف يطلب المعرفة لذاتها ليس هذا فحسب بل ويبتغى العلم دون أموال ينتظرها من وراء ذلك .

*ويقال إن هيرودوت أول من استخدم الفعل يتفلسف بمعنى طلب العلم والتماس المعرفة لذاتها إذ ورد عنه قوله في حديث للمشرع سولون قوله (سمعت أن رغبتك في المعرفة جعلتك حملتك على أن تطوف بكثير من البلاد متفلسفا أي طالبا للمعرفة بدون غرض أو منفعة. والحكمة عملية ونظرية فالأولى غايتها الخير في العيش وكيفية مواجهة الحياة بأسلوب طيب يقتضى نوعا من العقل والرزانة والرشد في قيادة الحياة يجنب صاحبه الوقوع في الخطأ ...... والنظرية غايتها معرفة الحق من خلال

وجهة نظر الفيلسوف وهى تقوم على على نوع من المعرفة الأساسية أو العلم بالمبادئ الأول [٦]

وهى عند سقراط البحث عن الحقائق بحثا نظريا وخاصة عن المبادئ الخلقية من خير وعدل وفضيلة

فالمفهوم أخلاقى في وجه العابثين المغالطين (المعروفون بالسفسطائيين)[٧] ويأتي أفلاطون

---

[٦] الفلسفة الاسلامية في المشرق د/ سعيد الهوارى ص ٦ وما بعدها .

[٧] واجه سقراط السوفسطائيين و أقرعهم بالحجة ليبين فساد مذهبهم ومن ثم كان عليه أمورا أخرى تتمثل فى إنارة عقول المجتمع الاثينى وذلك بتصحيح الأفكار وتحويل دائرة الفكر من الإطار الطبيعى إلى دائرة الإنسان ،ومن هنا كان سقراط أول من اهتم اهتماما ملحوظا بدراسة السلوك الإنساني فقد كانت الدراسات قبله منصبة على (البحث عن المبدأ الأول وعن تفسير ظواهر الكون الطبيعية) (*)ومن هنا كان عليه أن يؤسس إطارا أخلاقيا جديدا يهتم بالكيان الإنساني ومن ثم قيل فيه(بأنه الذى انزل الفلسفة من السماء إلى الأرض)(**) وهذا الاهتمام من جانبه لم ينصب على الناحية النظرية لعلم

من جانبه لم ينصب على الناحية النظرية لعلم الأخلاق بل تدرج الرجل الى إعلان الأخلاق كعلم يمكن أن يدرس ونظرية فلسفية يمكن أن تعلم)(*)

ولقد ملأ السوفسطائيون عقول الناس بالأفكار السامة والفاسدة فاعلنوا (إن الطبيعة الإنسانية شهوة وهوى وقد وضع المشرعون القوانين بغية قهر هذه الطبيعية فهى تتغير بتغير الظروف والعرف إنها إذا نسبية وغير واجبة الاحترام، وبل من حق الرجل القوى بالعصبية او بالمال او بالبأس او بالدهاء او بالجدل ان يستخف بها او ينسخها ٠٠٠)(**)ولاشك إن لمثل هذه الآراء خطرها على السلوك الإنساني ،وجعله لاقيمة له فلا قيم ولامعان ثابتة يرجع إليها فإذا ما صار الأمر خاضعا للأهواء ولإحساس كل فرد بما يصلحه وبما يضره٠كل هذه الأمور تؤدى فى النهاية إلى انهيار المجتمع الإنساني وتكون طبقية فى المجتمع مابين طبقات قويه وأخرى ضعيفة فضلا عن نشوء الأنانية وعموم البلوى٠ فالمرء قد يجد نفسه ظالما ومظلوما فى آن واحد وكيف يكون مظلوما وهو الذى يضع لفسه الإطار الحقيقى لمسمى الظلم فهو المعدل والمقرر لمصالحه ٠

ومن هذا الجانب السلبى الى الجانب الإيجابي والذى قرر فيه سقراط رفضه لهذه الأمور مقررا أن الإنسان روح حس وعقل يسيطر على الحس ويدبره والقوانين العادلة صادرة عن العقل ومطابقة للقوانين الحقة (*)·ومن هنا فلا يجوز للحكيم أن يخالف قوانين المدينة المكتوبة لأن الثورة عليها إنما تعنى تحطيم كيان المدينة وانهيار قيمها المتوراثة (*)

وتلك القوانين فى حقيقتها عبارة عن صورة مـــن قـــوانين غير مكتوبة رسمتها الآلهة فى قلوب البشر فمن يحترمهـــا فقد احترم العقل والنظام الإلهي والمخالف له عقـــاب فـــى الحياة المقبلة (*)· وهكذا يعلـــى ســـقراط شـــأن العقـــل الإنساني والذى انحدر إلى مرتبـــة دنيئـــة علـــى أيـــدي السوفسطايئن ويصبغ قرراته بصبغة قدسية فقراراته من الآلة الذى يرسم عدله وحكمته فى قلوب البشر·فلا نسبية فى الأخلاق ناهيك عـــن كونهـــا لاتخضـــع لأي أمـــور يفترضها بنو البشر ولاصحة لما زعمـــه كبيـــر مـــذهب العندية برتاجروراس من الإنسان مقياس الأشياء جميعهـــا وبذا تتعدد الحقائق بتعدد مدركيها···)(*)

ليعرف الفلسفة بأنها البحث عن حقائق الاشياء وعن الجمال.كما أن سقراط لم ينظر إلى الإنسان على أنه كيان مادى يسعى لمصالحه فقط ولكنه بين أنه ذا إحساس فهو صاحب الرحمة والود والعطف ٠٠٠٠٠الخ

وفى إطار حملته الأخلاقية وتأسيسها قرر أن الخير ينقسم الى قسمين :-

حقيقى وزائف فأما الأول فهو (الذى لايختلف فيه اثنان ولايحتاج الى غيره ليكمله وذلك مثل الحكمة والفضيلة ٠واما الخير الزائف فهو ماليس بثا بت ولايتفق عليه ولايقابل بالاستقلال وذلك كاللذة والثروة(*)٠ومن هنا فهى أمور عارضة فالرجل الشهوانى رجل جهل نفسه وخيره ومن هنا فقد برز قوله،، الفضيلة علم والرزيلة جهل (***-)،،فهى عبارة تفصح عما يكنه الرجل إزاء مجتمعه فارفع هذه الفضائل التى يسعى إليها الإنسان هى الحكمة وهى تتكون من السر الأعلى ومن الفضائل الشخصية كالاعتدال والشجاعة والعدالة التى تعتبر فضائل صغيرة الى جانب الفضيلة الكبرى وهى الحكمة(*)

والانسجام الذى يوجد في الاشياء الـذى يوجـد فـي الاشياء الذلاى ليس الا الخير) **فالفلسفة تعنى السـعى الدجائم لتحصيل المعرفة الكلية الشاملة التى تسـتخدم** العقل وسيلة لها وتجعل الوصول إلى الحقيقة آسـمى غايتها ٠ ثم خلفه ارسطو معرفا للفلسفة بتانها العلـم بالمبادئ التى تفسر طبيعة الاشياء حتى يتـدرج عنـد مواجهة الاشياء من على لاخرى حـتى يصـل إلـى العلة الأولى التى هى علة العلل ثم كـان مـن امَـر العصر الهلينستى والذى يمتد من وفاة الاسكندر الاكبر من بداية القرن الاول المـيلادى وكـان مـن ابـرز ممفكريه شيشرون الذى يخاطب الفلسفة بقولـه ايتهـا الفلسفة أنتِ المدبرة كياننا أنتِ صديق الفضيلة وعدو الرزيلة ماذا تكون حياتنا لولاك ٠٠٠وهكذا أصـبحت الفلسفة تتدخل في تقييم سلوك الفرد ايجابيا وسلبا ولكن المفهوم اتسيع لشمل كل مكا لايـودى الـى سـعادة الانستان وعبر عن هذا المدرستين الاغريقتين الرواقية والابيقورية والشكاك فذهب الرواقية ٠ **مدرسة الشكاك** :- وأشهر زعمائهـا **بيـرون** ٢٧٥ ق٠م ويعـرف

بصاحب مذهب اللاادرية فكل شـــى عنـــده يحتمـــل الايجاب والسلب بقوة متعادلة وكـــل شـــى موجـــود ومعدوم فلا ان واحد ويبدو بته كان يهدف مـــن هـــذا التناقض السلبى الوصول للسعادة أو لنيل اللذة [٨].

***الفلسفة الابيقورية** :-تنسب إلى **ابيقور** الذى عاش فا بين ٣٤١و ٢٧٠ ق٠م ولد بساموس وتاثر بوالديه الام الساحرة والاب المعلم فى إحدى المدارس اليونانية وقد انتزعه الغرور مدعيا انه علم نفسه بنفسه وقد عنى بنشر العلم فجعل فى حديقته منتدى للقاء جميع الطبقات فليس للتفلسف وقت أو سن معينة [٩] والتى ذهبت إلى القول بكثرة الموجودات وردها للصدفة دون رابط او قانون وتضع السعادة فى اللذة وتجعل قانون الأخلاق المنفعة الذاتية **واما الرواقيه** (نسبة إلى الرواق الذى كانوا يلقون فيه دور سهم)كمدرسة تالية فقدج قالت بوحدة الوجود وبقانون ضرورى أو عقل كلى منبث فى الوجود الأخلاق تبعا لحرية الإرادة وتعين لها قانونا هو الواجب (واجب

---

[٨] الفلسفة الاغريقية ج٢ ص ١٨٩

[٩] الفلسفة اليونانية ص٢١٤ و الموسوعة الفلسفية المختصرة ص١٤ وحكمة الغرب ج١ ص٢٠٧

المطابقة بين الإرادة الكلية والإرادة الفردية ٠٠٠٠٠٠٠ثم انحصرت ابحاثها فيما بعد فى شرح ابحاث المتقدمين وتدوين الملخصات ٠ وسادت تعاليمها بين شعوب أبناء البحر المتوسط فى مقدمة مراكز نشرها مدرسة الاسكندرية [١٠]

طابع العصر الهلينى

الطور الأول :- من أخر القرن الرابع ق٠م الى منتصف القرن الأول ق٠م وتقع فيه الرواقية والابيقورية ومدرسة الشكاك وبداية مدرسة الانتخاب والتوفيق ٠ وتقضى لا الالهة خارج العالم وتنكر دعاءهم فهى مدرسةمادية

الطور الثانى :- ويمتد من منتصف القرن الأول ق٠م إلى منتصف القرن الثالث بعد الميلاد وطابعه الانتخاب والتوفيق بمعنى الأخذ من الآراء الفلسفية القديمة والتوفيق بين بعضها بعضا أوبينها من جهة وآراء أخرى دينية أو تصوفية من جهة اخرى وفيه دخل التصوف الدينى الشرقى فى عناصر الاختيار مع

---

[١٠] الجمع بين راى الحكميين – الفارابى البير نصر ص ٤١

الفلسفة الإغريقية وتقع فيه الرواقية المتأخرة والفلسفة الهلينية اليهودية وتلك الفلسفة التى اشتبكت فيه الآراء الإغريقية مع العقيدة اليهودية عن طريق التوفيق بين الطرفين بإمالة أحدهما بالشرح نحو الآخر أو بتأليف يجمع فيه بينهما ·

الطور الثالث :– ويمتد من منتصف القرن الثالث بعد الميلاد الى منتصف القرن السادس فى بيزنطة وروما والى منتصف القرن السابع بعد الميلاد فى الاسكندرية ويمثل سيطرة الافلاطونية الحديثة وقيام مدرسة الاسكندرية وتطورها ·

الافلاطونية الحديثة مذهب قام على أسس أفلاطونية[11] وقد تمثلت أصولها من العديد من الفلسفات غير أن (رجالها حرصوا على الاحتفاظ بالروح اليونانية أى بالعقلية العلمية التى تنظر إلى الوجود كأنه هندسة

---

[11] يعتبر امونيوس ساكاس ١٧٥– ٢٥٠ ابرز رجال هذه المدرسة وكان حمالا ولد من أبويين مسيحيين فلما تفلسف ارتد عن المسيحية · لم يدون أرائه ويقال انه حاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطو ·

كبرى فتستبعد منه الممكن والحادث وتخضعه للضرورة وبذا يعرضون الديانات جميعا وعلى الرغم من إحيائها لتراث أفلاطون الا أنها عارضته فى تصويره للصانع فى تدخله فى شئون الكون تبعا لخيريته وتنظيمه للعالم وفقا للمثل ٠٠٠٠الخ وقد دارت فلسفتهم حول الفلسفة الاغريقية والتصوف الشرقى وطابعه يتمثل فى الانتخاب من تلك المدارس او منها ومن التصوف الشرقى كما يتمثل فى الشرح والتعليق على كتب القدامى وفيها نعثر على آراء مخالفة للديانات السماوية اليهودية والمسيحية لان أساس هذه الآراء هى تلك الآراء العناصر البدائية للعقيدة الشعبية التى من بينها الاعتقاد بتعدد مصادر التأثير فى الكون

وهذه المحاولة الفلسفية دارت فى ثلاثة محاور

الطور الأول :=-- تنسب فيه الى مدرسة أفلوطين [١٢] وتلميذه فورفوريس ٠

---

[١٢] لقد مزج أفلوطين فى فلسفته فكر المدرسة الافلاطونية والارسطوطاليسيه والرواقيه فاول الموجودات عنده لايوصف بانه عقل ولامعقـول ولابانـه جوهر ولاعرض ولابانه مريد ويوصف فقط بانه خير وهو عين ذاته وليس

الطور الثاني :- وتقع فيه محلولة المدرسة السريانية و هى مدرسة جامبليكوس ٠

الطور الثالث وهو ما تم فيه من صنيع مدرسة اثينا وهى مدرسة بلتارخوس ومن بعده برقلس ٠

٠مدرسة الإسكندرية كانت خلفا للافلاطونية الحديثة فبعد ان كان منهج الاولى يقوم على الناحية الميتافيزيقية من الفلسفة الإغريقية اى فى اتجاه ربما يتنافر مع المسيحية أصبح اهتمام مدرسة الإسكندرية متجها إلى بحث العلوم الرياضية والطبيعة من جهة اخرى مع كبت الناحية الميتافيزيقية ولهذا سادت الملائمة بين اتجاها واتجاه المسيحية فالانتخاب والانتقاء بين الآراء الاغريقية والشرقية طابع ساد الافلاطونية المحدثة بينما غلب الشرح للاراء الفلسفية هو المسيطر على رجال مدرسة الإسكندرية ٠

عرضا قائما بذلته كما انه واحد من كل وجه فى الواقع والتصور فصدور العقا عنه بالطبع وليس بالارادة لئلا تجب الكثرة فيه كما أن الصدور ليس فى زمان ولا مكان ٠[١٢]

الطابع التوفيقى وأثره فى التابعين لهذه المدرسة

وبعد مدرسة الإسكندرية خلفتها مراكز للنشر فقد بقيت مستمرة بعد الفتح الاسلامى فى مدينة انطاكية على الحدود بين الامبراطرية العربية والبيزنطية وفى حران فى شمال العراق التابعة الآن لسوريا وانتقلت الى الاولى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان انتقالها الى الثانية فى خلافة المتوكل وكان من أهم الأهداف التوفيق بين الفلسفة والمسيحية وقد كان للصابئة دورهم فى مدرسة حران ومن أعلام ثابت بن قرة وقد أثر وغيره فى الفكر الفلسفى حتى قبل انتقال مدرسة حات الى الاسكندرية ٠إلى جانب الرها ونصيبين وكانتا فى المنطقة الناطقة بالسريانية والفارسية وقد اعتنق الانطاكيون مذهب اليعاقبة بينما اعتنق أهل الرها ونصيبين مذهب النساطرة ٠ ثم تحول الأمر من هذه المدارس بأن أصبحت بغداد هى قلعة هذا العلم وبعد أن كان تلاميذ

الفلسفة من النصارى أصبحو من المسلمين (١٣)
وبعد فقد لعب افلوطين وابرقلس دور كبيرا فى التأثير على الفلسفة الإسلامية لانهما كانا من اصحاب نظرية الفيض التى قال بها الأول وأكدها الثانى وانتشرت من خلال كتابه الخير المحض وكان له تاثيرا ضخما فيما يبدوعلى الفارابى وابن شينا ......فقد عملت مدرسة الاسكندرية على التوفيق بين أرسطو وأفلاطون خاصة فىمجال الالوهية وهو ما حدث لدى فلاسفة المسيحية والإسلام وقد شهد التوفيق مرحلته البالغة على يد فيلون واتباعه وكلمنت واوريجين المسيحيين من ناحية اخرى وساعد على ذيوعها فى البيئة الاسلامية الترجمات الخاطئة التى قام بها المترجمون فى العصور الوسطى حيث نقلوا عدة نصوص لفلاسفة الاسكندرية ونسبوها خطأالى اما الى افلاطون أو إلى أرسطو وخاصة الى ارسطو وبون هذه المؤلفات المنسوبة خطا الى أرسطو

---

[١٣] الجانب الالهى ص ١٦٠ وما بعدها .

(كأثولوجيا أرسطو طاليس الذى كان من مولفات أفلوطين من بعض تاسوعاته والتى ترجمها عبد المسيح بن ناعمة ونسبها الى الاول وقد اعتمد الفارابى فى الجمع بين الحكميين أرسطو وافلاطون على هذه الترجمات الخاطئة وهذا يعد أمرا واضحا فى تأثير الفكر الاسكندرى على التراث الاسلامى الفلسفي ومن ثم لدى كل فلاسفة الدين فى العصور الوسطى ٠(١٤)

فلاسفة الاسلام والفلسفة

عرف الكندى الفلسفة بأنها صناعة الصناعات وحكمة الحكيم وهى ايضا معرفة الإنسان نفسه كوسيلة لمعرفة العالم الاكبر ومنه إلى معرفة الخالق سبحانه وتعالى ٠

وهى عنده علم الأشياء بحقائقها ومنها علم الربوبية وعلم الوحدانية وعلوم الفضيلة وحقيقة الانبياء والمرسلين

مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقى والفلسفة اليونلانية د / مصطفى النشار ص ١٧٥ وما بعدهال ط دار المعارف "

وعرفها الفـــارابى بأنها العلم بالموجودات بما هى موجودة والحكمة استكمال النفس الانسانية بتصور الامور والتصديق بالحقائق الانظرية والعملية على قدر الطاقة الانسانية وقسمها الى نظرية وعمليـــة فالنظرية تتناول الأمور التى نعلمها وليس أن نعمل بها والعملية تتناول الامور العملية التى لنـــا أن نعلمها ونعمل بها وكل واحدة ســـن هـــاتين الحكمتين تنحصر في أقسام ثلاثة :-

المدنية والمنزلية والخلقية :

.فالمنزلية تتناول مـــا ينبغـــى أن يكـــون عليـــه التشارك بين أفراد المنزل لتنظم بـــه المـصــلحـة المنزلية **والخلقية** تهدف إلى معرفـــة الفضـــائل وكيفية مزاولتها والرذائل وكيفية اتقائها . **والمدنية** تعرض لما ينبغى أن يكون عليه التعـــاون بين الناس على مصالح الأبدان وبقاء النوع الانســـانى .

يقول د/ أحمد الاهوانى إن قسمة الفلسفة الى نظرية وعملية ترجع إلى أرسطو نقلها الكندى وزرعها في أرض العرب -فأثمرت واستمرت عند الفلاسفة الاسلاميين وجرى عليها ابن سينا •

وأما العصر الحديث فقد تعددت فيه معانى الفلسفة فعند **ديكارت** أشبه بشجرة جذورها الميتافيزيقيا وجذعها الفيزياء وغصونها المتفرغه منها هى العلوم الأخرى وقد رجعها إلى ثلاثة الطب والمكانيكا والأخلاق وهى أعلى درجات الحكمة • فللفظ الفلسفة معناه دراسة الحكمة وليس معناه قاصرا على على الحيطة والتبصر في الأمور بل تفيد أيضا معرفة كاملة لجميع الأشياء التى يستطيع الانسان معرفتها إما لهداية حياته أو للمحافظة على صحته أو لاختراع جميع الفنون

ومنذ عهد ديكارت تحولت الفلسفة الى دراسة القيم وما تعلق بها من حق وخير وجمال

ومن التعريفات المذهبية حديثا للفلسفة وجدنا من يذهب إلى أن **الفلسفة** هى الاهتمام بدراسة كل ما

هو موجود دون الاختصاص بدراسة هذا الجانب أو ذلك من الجوانب الواقعية أو المعرفية فهى عند هيجل لاتدرس فقط كل شئ بل تدرس كـل مـا يوجد في كل شئ ما يوجد في كل شئ اى الماهية العامة لهذا الشئ

وقد رد بوخنيسكى على الوضعية بزعمة برتراندرسل ١٨٧٢ م بقوله إنـه ينبغـى علـى الفيلسوف أن يستغل بالمعرفة وبالإنسان وباللغـة جميعا ٠

واحدث التعريفات نقلها أ د/ زقزوق عن الاستاذ لاوت الذى يرى ان الفلسفة عمل عقلى حر يقصد منه المعرفة الكاملة لمبادئ كل الحقيقة الواقعـة وينتهى الى الحصول على هذه المعرفة وتحقيقها ٠فهى عنده علم المطلق وظهوره أو تجليه ٠٠٠ وهكذا دار كل فيلسوف في اطار خاص معبرا عن مكنونات نفسه متاثرا بكل ما يدور حوله ٠[١٥]

---

[١٥] تمهيد للفلسفة ص ٣٩ وما بعدها ٠

وقيل إن الفلسفة هي علم أو الأقل ينبغى أن تكون علما ..[16]

وإليك بيان لاتجاهات العقل على رأسه ديكارت ١٥٩٦ م والمعروف بابى الفلسفة الحديثة المذهب الميتافيزيقى ويمثله ليبنتز والتيار الروحى ويمثله بسكال والتجريبى ويمثله بيكون والطبيعى ويمثله لوك والنقدى ويمثله كانت والوضعى ويمثله كونت والوجدانى ويمثله برجسون والوجودى ويمثله سارتروالبرجماتى ويمثله بيرس وجميس وديوى والماركسى ويمثله ماركس والظاهرانى ويمثله هوسرل والمثالية الجدلية ويمثله هيجل .

[16] راجع تفصيل التعريفات _ مدخل الى الفلسفة د/حسن عبد الحميد صـ ٣٤٠ وما بعدها .

موضوع الفلسفة :-

بالنظر إلي ما سطره الفلاسفة ترى أنهم قد بحثوا في كل شيء من أعظم المسائل إلي أصغرها ،ومن نشأة العالم وتكوينه إلي السلوك الصحيح في الحياة اليومية (*)ولكن جل الباحثين ومؤرخى الفلسفة قد حددوا موضوعتها في ثلاث مباحث هي مجالاتها . .
(الوجود – المعرفة – القيم)

أولا : مبحث الوجود
(الأنطولوجيا)

يبحث في الوجود بصفة عامة دون النظر إلى التعيين أو التحديد فتلك مهمة العلوم الجزئية فالعلوم الطبيعية تبحث في الوجود من حيث هوجسم متغير ، والرياضة تبحث في الوجود من حيث هوكم أو مقدار ... فالعلوم الجزئية تبحث فى ظواهر الوجود ويدخل فيه ما يلي :-

(*) راجع تسهيل الفلسفة د/زقزق ص ٥١

١- البحث في خصائص الوجود العامة لوضع نظرية في طبيعة العالم ٠
٢- النظر فى الأحداث الكونية من حيث قيامها علي أساس من الثبات أو الصدفة أو الاتفاق .
٣- البحث عن علل الأحداث من حيث رجوعها إلي نفسها أم لعلة خارجة عنها هذه العلة ٠
٤- البحث في صفات الآله وعلاقته بمخلوقاته ٠
٥- البحث في الوجود من حيث المادية والزوحية [١].

خالف الوضعيون هذا الاتجاة وزعموا أن الفلسفة ذات قضايا فارغة لا تحمل معني وأنها منهج بغير موضوع فهى مجرد طريقة لتعليل الألفاظ تعليلا منطقيا[١]٠٠

ثانياً : - مبحث المعرفة

:- الابستمولوجيا

[١] نفسه ص٥١
[١] راجع أسس الفلسفة د/توفيق الطويل ص ٨٦

يرتبط هذا المبحث بسالفة ارتباطا مباشرا فيقوم علي خدمة مبحث الوجود إذ يراد به البحث في إمكان العلم بالوجود أو العجز عن معرفته ويدور حول ما يلي :-

١-مدي إمكانية إدراك المرء للحقــائق ومــدي صحة أو خطأ ما ذهب اليه .

٢-هل معارفه خاضعة للشك (حسي ،عقــل - حدس) أم أنها مسلم بصحة اختيارها ٠

٣-مدي ثقة المرء بمعارفه وهل يصل بها إلــي درجة اليقين أم الاحتمال .

٤-طبيعة هذه المعارف (الحســية - العقليــة - الحدسية)٠

هذا وقد أطلق المؤرخــون علــي مبحــث الوجــود والمعرفة مصطلح (مابعد الطبيعة أو الميتافيزيقيا) وقد كانت الفلسفة مدرجة عند القدماء مــع مباحــث الوجود لكن المحدثين رأو أنها فــي جملتهــا تبحــث الوجود من خلال نظرية المعرفة .

ثالثاً : مبحث القيم

(الاكسيولوجيا)

لمبحث القيم أهمية بالغة في حياة البشرية إذ هو قوامها الذي لا تصلح إلابه وبدور مبحث المثل العليا أو القيم المطلقة حول – معان ثابتة ٠هى **الحق** ، **والخير** ، **والجمال** ، ويبحث فيها ذاتيا من حيث ذاتها لا من حيث اعتبارها وسائل إلي تحقيق غايات فهو يبحث فيها (من حيث ما ينبغي) أي أنها علوم معيارية وليست علوما وضعية تنصب دراستها علي البحث فيما هو كائن فعلي سبيل المثال ،علم الأخلاق، يضع المثل العليا التي ينبغي أن يسير عليها سلوك المرء أي انه يبحث فيها ينبغي أن تكون عليه تصرفات الإنسان [1]وتلك وجهة القدماء حول موضوع الفلسفة ،

وهناك من الحق بها علوم أخرى ضمنها فلسفات العلوم منها القانون ، الدين ، التاريخ ، السياسة٠٠٠٠الخ٠

---

(1) راجع أسس الفلسفة ٠د/توفيق الطويل ٠

الفلسفة والعلم

تختلف الفلسفة عن العلم موضوعا ومنهجا – فـالعلم وإن اسهم في مجالات مختلفة ، فإن الفلسفة أثرت في بناء الشخصيات المختلفة التي أثرت وأخرجت العلـم إلي مظانه ، فالفلسفة أوسع طريقا إذ حررت العقـل من الجمود والخضوع للأحكام المسبقة والأراء الشاقة والعادات والتقاليد البالية •وهذا من شـأنه أن ينيـر طريق الحياة أمام الناس :– ولكن هذا الأمر لا يعني الانفصال التام بينهما ، فكلاهما يبحث عـن الحقيقـة غير أنهما قد تكون في العلم عمليـة أمـام الفلسـفة فتصبح بالصيغة النظرية• كذلك العالم يحتـاج إلـي الذهن والفكر الصافي حتى يصل إلي الرأي والإتجاة الصحيح ، كذلك الموضوعية مطلوبـة مـن العـالم والفليسوف ، ولكي هذا الأمر يستدعينا كما اشر ناسلفا إلي إبراز أهم نقاط الابتعاد والاختلاف بين الفلسـفة والعلم •

أولا : نظرة الفلسفة نظرة كلية للأشياء فهو لا تتناول جانبا معينا من العالم بالبحث دون جانب ،فهذا شـــأن العلوم الجزئية كما علمنا ، فاختصاص العلم الجزئيات المتغيرة ٠

ثانياً : تسليم الفلسفة بالنتاج يكون قطعيــا يبحـــث لا يترك مجالا للشك في حين يبنـــي العلـــم قضـــاياه (فرضياته) على البدهيات دون السؤال عن حقيقتهـــا أوماهيتها .

ثالثا : ترتبط الفلسفة بالفكر المجرد (المعقول) أمـــا العلم فهو واقع في المحسوس دائما ومرتبط دائما به . فالعالم يسير فى خطه التجريبى مـــن المرئـــى الـــى المرئى ومن الملحوظ إلى الملحوظ سواء اكان ذلـــك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ٠٠بينمـــا الفيلســـوف يتجه من المرئى الى اللا مرئى ٠[1]

رابعا : العلم يهتم بما هو كائن والفلســـفة تهـــتم بمـــا ينبغى ان يكون عليـــه الشـــيء كـــالعلوم المعياريـــة

(1) راجع المعرفة عند مفكري المسلمين د/غلاب ص ٤٦

•ويظهر ذلك واضحا في علم الأخلاق والجمـــال – فالمعلومات تكون واضحة لدي الطالب أما الفليسوف فهو لا يستطيع أن يفصل بين ذاته وبين الموضـــوع الذي يعالجة فالفلسفة ما هي إلا وجهة نظر تختلـــف باختلاف الأفراد وبالتالي فلا يمكن لنا أن نلزم شخصا ما بطرح ما نعتقده من آراء فلكل فرد أفكاره الخاصة . (٢)

خامسا : – العلم يهدف للبحث عن العلل القريبة التي تحدد لنا ظهور ومسار ظاهرة من الظـــواهر• أمـــا الفلسفة فتبحث عن العلل الأولي للظاهرة التى لـــيس ورائها علة أخري •فهي تتعلق بمجال أكثر شـــمولا من المجال العلمي المحدود(*)•

سادساً : يقتضي التفلسف حركة الفكر من الخارج إلي الداخل •أي من العالم إلي الأنا، أو من الموضوع إلي الذات •وهذا يعتبر شرطا أولياً للتفلسف• أما العلم فلا يستخدم بالضرورة مثل هذا الرجوع فالفكر

---

(٢) راجع الفلسفة مباحثها د/أبو ريان ص ٥٢٤

(*) مقدمة فلي الفلسفة العامة د/يحي هويدى ص ٥٣

ينتقل فيه من موضوع إلي موضوع ومن ظاهرة إلي أخري .[١٧]

الفلسفة والدين

علمنا مما سبق أن موضوع الفلسفة علي البحث عـــن الحقائق التي تدور حول أصل الوجود ومعرفة ســـبيل السعادة الإنسانية في العاجل الأجل . ومن هنا فإن لها مكانة مرتفعة حيث أنها سبيل لاعمال الفصـــل فـــي مجالاته وفي اتجاهاته التي تحد في بعـــض الأمـــور ومن هنا فإن الدين الذي هو ثمرة الرسالات السماوية يهدف أيضاً لنفس هذه الأمور فهو يرشد المرء حول أصل الوجود ويهديه لنيل سبل السعادة في حياتـــه الدنيوية والاخروية ، ولذلك قد يرى الناظر أن بينهما اتفاق فالعلاقة بينها – هي علاقة الوائمة وذلك شـــئ طبيعي فالأنسان في حاجة إلي العقل والـــوحي معـــا والدين الصحيح لا يمنع العقل البشري من التفلســـف

[١٧]راجع تلك الفرّوق . تمهيد للفلسفة – ص ٦٨

فمـــن حقـــه الفهـــم والتفكيـــر فـــي ملكـــوت الله ....الخ.

*وإذا كانت الفلسفة بحث عقلي فإنها تضع للصـــواب والخطأ في طريقها لكن الدين محكوم باطار الـــوحي المعصوم ، ولسنا هنا فـــي مجـــال التفرقـــة بينهمـــا فالفليسوف يحمد له إعمال عقله وهذا إذا تجرد عـــن غشاوة الوهم والخيال . فأخطاء العقل راجعـــة إلـــي قصوره من بعض الأوجه التي قديراهااى فليســـوف وقد تخفى ولاتظهر لغيره وهكذا القدر العقلي سيبيل لنيل واكتساب المعارف ومـــدعاة الفلســـفة لتفســـير الحقيقة التي هي واحـــدة ، كـــالوحي لـــه العصـــمة والفلسفة هي محل المعرفة ، فقط ومن هنا فإن الفلسفة نبتت وترعرعت في حضـــن الـــدين (الصـــحيح) فارتباطها ارتباط قديماً . حيث كان التفكير الفلســـفي متزوجاً بالتفكير الديني ، فالفليسوف ينظرويفكرليصل إلي الحقيقة المطلقة التي وراء هـــذا الكـــون بكـــل ظواهرها ورجل الدين يريد الوصول في إطار الوحي

إلي ا لله تعالي ٠فالفلسفة كأعمال عقل والدين كوحى
إلهي معصوم كانا وما يزالا طرفاً واحداً ولــم يكــن
بينهما علاقة تضارب وإنما الأمرراجع إلي التطرف
في استعمال العقل أو كبته عند بعض مدعي الفكــر
والنظر٠ وذلك لأن عدم استخدام العقل في النظر إلي
الأمور تعطيل لحكمة الله من خلف العقل ، ومن ناحية
أخري فإن الحملات أو الهجمات من جانب الفلاســفة
ضد الدين كدين لست من الفلسفة الصحيحة في شــئ
ولا يقرها العقل السليم٠ [1]

وللفلسفة غايات متعددة منها تحقيقة السعادة ةالعمليــة
وقد جاء ها التيار واضــحا علــى يــد االارواقيــة
والابيقورية حيث اتجهت دراستهما الــلاى تالحيــاة
العملية ممثلة غفى علم الاخلاق رافضــين الفلســفة
النظرية فى بحثها عن الحقيقة لذاتها ٠٠٠الخ كما انها
من جهو اخرى داغفعت عن العقيدة وقد ظهر الامر
جليا عند الكندى والذى حرص على تليــل الفلســفة
بسبلها للدين وك١ذا وضع هذا الاتجاه ىفى القيــرون

[1] راجع تمهيد للفلسفة د/زقزوق ٠

الوسطى حيث اخضع القديس انسلم العقل للعقيدة بفرضه الايمان شرطا ضروريا للعقل وصحة تفكيره كما انها خدمت الناتحية العملية فادت كما يرى د
يكارت فى الناحية العملية الدجليلة ذلك لان اغلانسان يفتقر الىة التفلسف ليهب بها تاخلاقه وبسترشد به فى حياته ويهتدى الى الخير الاسمى وعن الربط العملى يرى د الطويل انه لمن الضلال ان يقاوم الفيلسوف روح عصره ويعكتف فى برجه العاجى ويوقف حياته على التامنل المجرد لذاته ٠ ومن هنا فقد انصفت التجريبين والعقليين والوضعيين والوضعيين واصحاب مذهب التطوزر وغيرهم حين ربطو بين النظر والعمل وسخروا العقل لخدمة الحياة الدينا ٠٠٠[١٨]ومن هذا المنطلق فالفلسفة ترتفقى بالعقل البشرى فهى من ناحية تشبع رغبته الفكريه وها هو الجانب الايجابى ومن جهة أخرى تنأى به عن الضلالات كالا سلطير والخرافات ٠٠٠الخ وها هو الجانب السلبى فارتقاء التفكير رويدا رويدا ىاهله

---

[١٨] اسس الفلسفة د/توفيق الطويل ص ٤٠

للريادة على عغيره كمت انه ها تهذب اخلاق صاحبها
فهو صاحب انطلاق موضوعى ومنهجى فهو ينكـــر
ذاته ويتعاون مع غير ه للوصول الى الحقيقة كما انها
من جهة تخرى تجعل صاحبها يجاهد فى الوصـــول
الى الحقيقة ومن همنا فهو يحارب الاستغلال ويكافح
العنصرية وكل ما ما مـــن شـــانمه ان يتصـــف بـــه
الفيلسوف الحق ومن ثم مفان دورهـــا لايقـــف عنـــد
صاحبها بل يتعدى الى دائرة المجتمع والذى يســـاعد
يتـــدخل الفيلســـوف فـــى مجـــاراة المجتمـــع
بطروحانه وبافكارئه البنائه كما يسعد المرء يتحقيـــق
التوازان بين الروح والجسد، فالفيلسوف الحق هو الذى
لايندفع وراء تيار معين بل هو الذى يزكى مشـــاعره
الدينية -......[19]

[19] راجع اهداف الفلسفة تفصيلا :- فى المصادر اللاتية /اضواء على الفلسفة العامة أ د عبد اللطيف العبد ص ٣١ و الفلسفة الاسلامية فى المشرق أد/سعيد الهوارى ص ٣٠ وما بعدها ٠واسس الفلسفة د/ الطويل ص ٤١ وما بعدها ٠

الفلسفة الإسلامية بين الأصالة والتقليد

انطلاقا من اختلاف المؤرخين للفكر الفلسفي حول آصاله الفلسفة الإسلامية يدور حديثنا حول هذا الموضوع متناولين أراء المؤيدين والمعارضين لهذا الموضوع :-

أولا : آراء المؤيد ين :-

لاشك أن نقطة انطلاقهم تدور حول العقلية البشــرية التى حباها الله تعالى ملكة التفكير والتدبر وهذا الأمر لايقتصر على جنس دون جنس او زمن دون غيـــره فخلافة الإنسان فى أرض الله تعالى تســتدعى ملكــة فكرية وأرضا سبخة حتى يتسنى لــه العــيش فيهــا ،وجاء هذا التكريم كبيان واضح في اكثر من ايه فى الكتاب الكريم ومن هنا فماذا يحجب العربي عن الفكر ،ومن ثم الابداع فيما حوله ،ولقد استقل أربابه عــن اليونان بنزعتهم الفكرية ولم يكونوا مقلدين لهم علـــى طول الطريق ولقد نطق المنصفون من الغربيين بهذا الأصالة ،

فمن هذا الإنصاف قول أحدهم (إن الغــرب مــدين للعرب فى توسيع نطاق الجبر اليونانى وهم بلا شــك قد هيأوا الامر بتقديمهم الخــاص إلــى نشــأة العلــم الطبيعى الح

ديث فيتوسعوا فى الكيمياء عما وصلت الــيهم مــن مدرسة الاسكندرية واوجــدوا عــدة مستحضــرات كيماوية كما تقدموا فى الرياضة واســتخدموها كالــة للتقدير الكمى فى المساحة ٠

ويرى أحد الباحثين أن الفلســفة الاســلامية ليســت صورة مكررة للأفكــار الاغريقيــة إذ العــرب وإن احترموا الاغريق دائما كا ساتذة لهم لكنهم فهموا كيف يحتفظون حقا بطابع الاصالة والابتكار فــى فهمهــم وتصويرهم لتعاليمهم ذلك الطابع الذى جعل لكتــبهم ورسائلهم جدة خاصة ٠

ويعضده قول آخر بقوله (إذا وجب أن يــذكر لكــل و احد قسطه من العمل لايسع المنصف أن ينكر قسط العرب منه وكان من قسط غيرهم فلم يكونوا واسطة نقلت إلى الشعوب الجاهلة فى افريقيا وآسيا وأوربــا

الاتينية ومعارف الشرق الادنمى والاقصى وصناعاته
واختلراعاته بل احسنوا المواد المبعثرة التـــى كـــانوا
يلتقطونها من كل مكان ومن مجمـــوع هـــذه المـــواد
المختلفة التى صبت فتمازجـــت تمازجـــا متجانســـا
ابد عوا مدنيةحية مطـبوعة بطابع قـــرائحم وقـــولهم
وهى ذات وحدة خاصة وصفات فائقة ٠واخر يقـــول
(إن العالم الاوربى مدين بوجوده للعرب ٠٠٠٠٠)
ويقول لويجى رينا لدى لست أدرى لماذا لانسمع كلمة
أعجاب بالشعب العربى العظيم الذى ترك فقى طريق
المدنية اثارا عديدة والذى حمل معه اعظم المساعدات
واجل الخدمات للنوع الانسانى فلا يبخل على العرب
باتعطائهم المقام الائق وقد بحزننى ويحزن غيرى مم
ن ينصفون ان بكون ببيننا نحن الأوربيين نفر يقودهم
سوء الظن والجهل الى احتقار اتلعرب وحسنانهم من
أمة أدنى وأن نرى كلمة عربى عندنا تدل على معنى
غير المتدمن فإن هذا الشعب لايزال يحفظ صـــفاتته
العجيبة وذكاؤه النادر٠

وما نقل عن بريقولت لاعجب من هذا اذ يقتول ان ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه من كشوف مذهلة لنظريات مبتكرة • بل يدين هذا العلم للثقافة العربية باكثر من هذا انه يدين لها بوجوده ويزيد الرجل قائلا إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربى فى مدرسة اكسفورد على خلفاء معلميه فى الاندلس واليس لروجر و لبميذه فرنسيس بيكون الذى جاء بعده الحق فىلا ان ينسب اليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى فلم يكن روجر بيكون إلارسولا من رسل العلم و المنهج الإسلامى إلى أوربا المسيحية وهو لم يمل قط من التصريح بأنه يعلم معاصريه أن اللغة العربية وعلوم العرب هما الطريق الوحيد لمعرفة الحق •

هذا هو كلام الغربيين وهذا الواقع التاريخى يقول لنا ماذا فعل هؤلاء فى شتى العلوم المختلفة • جابر بن حيان والخوازمى والرازى التبانى والبيرونى وابن الهيثم وابن خلدون وأبى الثناء الاصفهانى والقزوينى

وابن سينا والكندى وابى الفداء وعلـــى بـــن عيســـى وثابت بن قرة وابن يونس وغيرهم

الرأى الثانى

يزعم أربابه ان العرب ليس لديهم فلسفة بل ليس لديهم قدرة علىالابتكار والإبداع فليس من طبيعتهم هذا الامر ذلك لانهم ينتمون الى الجنس السامى والتفلسف لايجيده إلا الاريون وقد ررد دد هذه الدعوى ارنست رينان قائلا"إن الجنس السامى لم يترك بحثا فلسفيا خاصابه ٠٠٠٠ فهى عندهم مجرد اقتباس وتقليد للفلسفة اليونانية ٠٠٠٠٠

ويعلل هؤلاء بأن وجد طرف العرب ماهو إلا حكم قليلة مفككة ووصايا تحمل نصائح خلقية وهى دائما خالية من البحث والتعليل تمثل فى تفككها وبعدها عنم ربط النتائدج بالمقدملت – تفكيرا فطريا لايرتفع الى مقام العلم والفلسفة بل إن ما يسمى بالفلسفة العربية ما هو إلا مزيج من أرسطاطالية وأفلاطونية حديثة نقله السريان إلى العرب وانتشر فى بلاد بعيدة عين

الجزيرة العربية وتحت ظلال العباسيين التى طغت فيها الروح فالعرب ماحكون للغرب .

ونطالع بعض الآراء التى قيلت فى هذا الشأن

***فقد جاء فى كتاب ابجد العلوم** (وجميع العلوم العقلية مأخوزة عن أهل اليونان . وكذا **يقول ابن خلدون** عن العرب أنهم بطبيعة التوحش الذى فيهم أهل انتهاب وعبث ...إنهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلة .... فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتقلب وذلك مناقض للسكون الذىلا به العمران ومناف له .

***وكذا يقول الأستاذ أحمد امين** (إن العربي لم ينظر إلى العالم نظرة عامة وشاملة كما فعل اليونان مثلا لقد ألقى اليونانى أوله ما تفلسف نظرة عامة على العالم فسأل نفسه كيف يبرز هذا العالم إلى الوجود ؟إنى أرى هذا العالم جم التغيير .... هذه الأسئلة وأمثالها وجهها اليونانى إلى نمفسه فكانت أساس فلسفته ومبناها كلها النظرة الشاملة,اما العربى

فلم يتجه نظره هذا الاتجاه ولابعد الإسلام بل كان يطوف فيما حوله فإذا رأى منظرا أعجبه تحرك له وجاش صدره بالبيت او بالابيات من الشعر او الحكمة او المثل ٠٠٠٠٠أما النظرة الشاملة والتحليل الدقيق لأسسه وعوراضه فذلك ما لايتفق والعقل العربى)٠

***ويقول د/ بدوى** ٠(٠٠٠٠٠ إن الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد قلدة اليونان والمقلد غير عقلانى)

***وهناك من أراد لفت الانظار الى سبب اخر غير السامية العنصرية** وهو راجع الى طبيعة هولاء القوم وبيئتهم منها حياة الرحل والترحال التى ضنت بها الجزيرة العربية فهو ينتقل من مكان الى مكان وعينه عالقة بالأرض دون البحث فى أغوار الأشياء أو عللها الاولى فقد سيطرت المادة عليه فى جميع شئونها إلى جانب أن الفيلسوف غالبا ما يبتعد عن الملذات ليتفرغ للبحث والنظر ففقدان الكابة حال بينهم وبين التفلسف الى جانب البيئة الحارة وما فيها تساعد على الفكر بل يكون فكر صاحبها طائشا مائلا الى

اتلخفة والمرح واستسلام للأهواء والامانى ...وأما أبناء البلاد الباردة فانهم تضعف فيهم شهواتهم ويسطر عليهم التشاؤم ويرافقه النظر ومن هنا فالغوص فى المعانى الفلسفية شانهم ودابهم .

*وقد لخص تيمان حال العرب وعقمهم راجع الى كتابهم المقدس الذى يعوق النظر العقلى الحر الى جانب تمسكهن بالنصوص فهم من حزب أهل السنة وإلى جانب جعلهم أرسطو صاحب السيادة من حيث لايشعرون وذلك لجهلهم بآراء أرسطو إلى جانب طبيعتهم القومية من ميل إلى التأثير بالأوهام . من أجل ذلك لم يستطيعوا أن يصنعوا أكثر من شرحهم لمذهب أرسطو وتطبيقه على قواعد دينهم الذى يتطلب إيمانا أعمى .

وقد عالج د/ مدكور هذا الأمر مبينا مدى قدرة العقلية العربية فبين أنها ذات طابع خاص وشخصية مستقلة أخص خصائصها التوفيق والاختيار توفق بين النقل والعقل وتؤاخى بين الدين والفلسفة ذلك لأن فلاسفة الإسلام يرون أنه يمكن كشف الحقيقة من طرف

شتى وبوسائل متعددة فيقودنا المنطق والبرهان كما يهدينا الوحى والالهام

***ومن قبل رأينا رينان** يقول عن العقليه العربية إنها لاتميل إلى قرن الاشباه والاضداد دون ربطها بما يجعل منها وحدة ،بل نتتركها منفصلا بعضها عن بعض ،ثم تنقل من أحدها إلى الاخرى دون واسطة ....أما العقلية الآرابة فأنها تنزع إلى الربط بين هذه وتلك بوسائط متدرجة فهى لا تنقل من طرف الى آخر الا بدرجات لاتكاد تكون محسابها بالقدر الممكن إنها تسير على نظام الألوان المذابية بهعضها فى بعض .

وبعد أن ذكرنا أعلاما من العرب وما برعوا فيه فإن برتراندرسل يطالعنا بقوله (إن الآراء الفلسفية عند العرب ذات الصبغة العلمية مصدرها أرسطو أما مباحثهم فى المنطق وما وراء الطبيعية فمصدرها الأفلاطونية الحديثة ،وفى الطب اقتبسوا معارفهم عن جالينوس ،وفى الرياضات والفلك من مصادر يونانية وهندية من دائرة التجربةالدينية ذات الصبغة الصوفية

تظهر فى مباحثهم آثر عقائد الفرس القديمة بوضوح
* الحملة الشرسة من المستشرقين ضد العرب
وفصلهم عن التفكير العقلى السامى وما كان من
شبه بين آراء مفكرى الإسلام وآراء غيرهم
٠٠٠٠فإن آراء الاسلاميين كما يرى د/ ابو ريده (
لها طابعها الخاص ولها مكانتها في نظام واسع بحيث
لايصلح النظر اليها منعزلة بل من حيث صورتها
الخاصة وعلاقتها بغيرها ٠٠٠٠٠٠٠ ويجب على
الباحث أن يراعى ذلك لأنه ليس فى تاريخ الفكر
الصحيح تقليد فلا يوجد فى التاريخ فيلسوف أرسطو
طاليس خالص ولا أفلاطونى خاص ٠٠٠٠ والفكرة
الفلسفية عندما تنتقل إلى بيئة ثقافية أخرى وتدخل فى
نظام فكرى جديد تتغير من وجوه شتى وهى فى هذه
الحال ليست ملكا لأهلها الأولين بل ملكا لأصحابها
الجدد الذين اتخذوا منها نقطة بداية لنزعات جديدة
تناسب روحهم وجملة تفكيرهم ٠الفلسفى لاترقى لما
هو مروج منها ٠

وحق القول إن المستشرقين قد أخطاوا حين رجعوا الأمر إلى العنصرية فليس لديهم دليل أواثارة من علم بل هو التعصب الاعمى والذى دفع رجلا مثل كوزان لأن يقول إن المسيحية هى اصل الفلسفة الحديثة وإن الدين المسيحى ناسخ لجميع الأديان أما الأديان الأخرى التى ما زالت موجودة مثل البراهمية والاسلام فلم تقدم فى رأيه شيئا للحضارة اللهم إلا الانحلال والاستبداد · إلى جانب أنهم مؤرخون وليسو فلاسفة حتى يصدروا أحكاما بمثل ما زعموه فهم غرباء عن التراث الاسلامى فلم يدرسوه دراسة المختص ليقضوا على أصوله وجذوره البعيدة ولم يفهموا اللغة العربية ليدركوا المعانى الباطنية للنصوص الفلسفية ·ى إلى جانب نظرتهم الضيقة للفلسفة الاسلامية نظرة ضـــيقة ولو امعنوا النظر لرأوا أنه لايوجد خلق ذاتى فى التاريخ وإنما هو عطاء أشكال جديدة لمواد كانت موجودة من قبل والفلسفة الإسلامية مثال لهذه العملية التى يقوم عليها استمرار الحضارة البشرية · ·

*** وعصارة القول إن الفلسفة الإسلامية اتصلت بالثقافات المختلفة من هندية وفارسية اتصالا حرا مباشرا فأخذت ما يناسب مقوماتها ثم خلعت بهذا التراث المدقق والمحقق فخطت به خطوات بعد أن ابتدعت فنوناجديدة واستطاعت بهذه المعانى المتفقة الملائمة مع عقيدتهاأن تصل إلى تحرير الانسانية من الوثنيات ، نتاهيك عن إنارتها لعقول مفكر ى الغرب قفة وقت كانت فيه اوربا تعيش فى ظلام الجهل وهذا امر يشهد به التاريخ فقد لجات أوربا إلى مفكرى الإسلام لتأخذعنهم ترلاث اليونانيةوبالإضافة إلى تاثرها ببعض أفكار هؤلاءالمفكرين وذلك عندما ترجمت كتبهم من اللغة العربية إلى اللغة الاتينبة [20]

بالإضافة إلى ماسبق فقد غاب عن نظر هولاء المتعصبون أن التقليد المزعوم يقتضتى ١-التشابه أو التطابق التام بين الفكرتين .

---

[20] راجع دراسات علمية فى قضايا فلسفية د/امنة نصر ص ٣٢ ط دار المعرفة الازهرية .

٢- أن يثبت بطريقة لالبس فيها أن الآخير قد تلقن مباشرة سواء بالتلمذة أو بواساطة الكتب عن السابق ومن أهم الشروط ألا تكون الاصالة أو العبقرية متوفرة فى اللاحق اى ان تكون فغى اللاحق طبيعية التقليد فإذا ما خرج عن طبيعة التقليد إلى الاصالة أو العبقرية فقد خرج عن شبهة المحاكاة وعن شبهة التقليد [21]

***فالاتجاه الروحى** مثلا عند أبى ذر الغفارى رحمه الله ورضى الله عنه وهو لم يدرس الافلاطونية الحديثة ولم يدرس اشتراكية افلاطون ولم يتخذ ذلك اساسا لدعوته ولكنه اتخذ الزهد الاسلامى منهجا ومذهبا فى الحياة وأهل الصفة لم يتتلمذوا على يد الأفلاطونية الحديثة أو على الفيثاغورية فيتخذوا عنهم الزهد والتقوى منهجا وسننا وكذا معاذ رضى الله عنه أو سيدنا عمر أو علي أو الامام مالكا عليهم جميعا الرضوان لم يدرسوا نظريات اليونان حتى يتخذوها أساسا لفتاواهم وإحكامهم وكذا البحث فى

[21] التفكير الفلسفى فى الاسلام د/ عبد الحليم محمود ص ١٨٥ .

القدر ····وغيرها من المسائل لم يعتمدوا على أرسطو ···كل هذه الأمور المثارة فكريا ولم تكن الفلسفة اليونانية قد ترجمت بعد ·يقول د مرحبا (إنه اا كانت قد نفذت إلى الثقافة الاسلامية تيارات مختلفة أجمعت فيها وتفاعلت إلا أنها انبتت نباتا جديدا طيبا لا هو باليوناني ولاهو بالفارسي ولا هو بالهندي إنه نبات عربي إسلامي له طابعه الخاص) لايقلل من شانه أنه لايسير في تيار الفكر اليوناني أو الفارسي ··· ذلك لأن الفلاسفة الإسلاميين يخالفون فلاسفة اليونانم في المفاهيم و الادلة والغاية · ويقول د أبو ريده ···مهما بدا من شبه بين آراء مفكري الاسلام وآراء غيرهم ممن سبقهم أو عاصرهم فإن اراء الاسلاميين لها طا بعها الخاص ولها مكانتها في نظام واسع ·····ويجب على الباحث أن يراعي ذلك لأنه ليس في تاريخ الفكر الصحيح تقليد والفكرة الفلسفية عندما تنتقل الى بيئة تفلسفية أخرى وتدخل في نظام فكري جديد تتغير من وجوه شتى وهي في هذه الحالة ليست ملكا لاهلها الاولين بل

ملكا لأصحابها الجدد الذين اتخذوا منها نقطة بداية لنزعات جديدة تناسب روحهم وجملة تفكيرهم الفلسفى (٢٢).

وبعد فان الحق كما يراه الإمام الجليل د/ عبد الحليم محمود مستوحيا اياه من راى الكندى وابن سينا وهو أن الحق لا يمكن أن يحيط به فرد من الأفراد بالبحث والدراسة مهما طال عمره بل لايمكن ان يحيط به جيل من الأجيال مهما جد فى البحث والتحصيل وعشاق الحقيقة يتابعون البحث منذ ان وجدت الانسانية فيصلون بالتوالى الى بعض ما يجاهدون فى الوصول إليه والحق إذا ان يتكشف شيئا فشيئا وهو اعز منالا من ان يسفر القناع لكل طارق مهما مهما بلغ من العبقرية لقد كشف القناع عن جزء من من الحق فى الازمنة القديمة ويجب أن نشكر الذ ين جاهدوا فى سبيل ذلك على حد تعبير الكندى ولكن ما يزال محيط المساتير ضخما شاسعا بل إنه كلما تكشف جزء منه تبين عظم ماوراءه من مساتير (٢٣)

[٢٢] من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية ص ٣٥٢ وما بعدها ٠
[٢٣] المرجع السابق ١٩٩٤ وما بعدها ٠

خصائص الفلسفة الاسلامية [٢٤]

١ _ فلسفة دينية وروحية :ـــ

تقو م الفلسفة الاسلامية على أساس من الدين وتعول على الروح تعويلا كبيرا هى فلسفة دينية لانها نشأت فى قلب الاسلام وتربى رجالها على تعاليمـــه وأشربوا بروحه وعاشوا فى جوه وهى أنما جــاءت أمتدادا لابحاث دينية ودراسات كلامية ســابقة ومـــن الخطأ أن يظن أن الفكر الفلسفى الاسلامى لم يولد الا فى القرن الثالث للهجرة على ايدى الكندى فيلســوف العرب _٨٦٥) بل سبقه فى مدرسة المعتزلة مفكرون أخرون ذو مذاهب فلسفيه مكتملـــة أمثــال النظـــام (٨٤٥) وأبى الهذيل والدراسات الكلامية فى صميمها باب من أبواب الفلسفة والكندى نفسه يمكن أن يعد من جماعة المعتزلة وكثيرا ماحاول فلاسفة الاسلام بوجه

---

[٢٤] اعتمدنا في هذه الجزئية على كتاب د/مدكور فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ص١٥٤ وما بعدها ط دار المعارف ج ٢

عام – شان المفكرين الاســـيلاميين الاخـــرين – أن يدعموا أراءهم بأسانيد من الكتاب والسنة

ويبين د/مدكور الموضوعات التى تمس الدين وتناولتها الفلسفة والتى تتكلم عن الذات الالهية وما يترتب على الايمان به تعالى من نحو الايمان بصفاته وما يليق به ٠٠٠٠٠٠٠٠الخ مادار حول هذا النطاق فيقول

والفلسفة الاسلامية دينية فى موضوعاتها تبدأ بالواحد وتحلل فكرة الالوهيه تحليلا شاملا دقيقا لم تسبق اليه وكأنما تبارى المدارس الكلامية المعاصرة واشـــاعره فتدارك نقصها وتمعن فى تصوير البارىء جل شـــأنه تصويرا أساسه التجريد والتنزيه والوحـــدة المطلقـــة والكمال التام وعن الواحد صدر كل شىء فهو المبدع والخالق أبدع من لاشىء وخلـــق العـــالم فـــى الازل ونظمه وسيره فالعالم معلول له فى وجـــوده وبقائـــه أبدعه بمحض فضله ورعاه بعنايته وأخضعه لقوانين ثابتـــة ونظـــم محكمـــة ٠ وعلـــى هـــذا الطبيعـــه والكسمولوجيا مرتبطتان فى الفلسفة الاسلامية أرتباطا

وثيقا بالميثافزيقا وريخرج علم النفس والاخلاق عـــن ذلك كثيرا فالنفوس البشرية مهما أختلفــت فلاســـفة الاسلام فى حقيقتها وخلودها يسلمون جميعا بأن فيها شيئا نورانيا والهيا٠

فهى لاتستطيع الكشف عن الحقائق الكلية إلا بمـــدد سماوى وفيض علوى وبعبارة أخرى العقل الفعال أن شئنا أن نستعمل لغة الفـــارابى (٩٥٠) وأبـــن ســـينا ١٠٣٧) وكمالها فى أن تمسو عـــن طريـــق النظـــر والتأمل الى مرتبة الاتصال بالعالم العلـــوى و يســـلم فلاسفة الاسلام جميعا بين مشـــارقه ومغاربـــه بهـــذا الاتصال حتى (ألن رشد ١١٩٨) الذى يبدوة عليه أنه يربط النفس بالجسم برباط أوثق على نحـــو ماصـــنع أرسطو وللفضائل قيم ذاتيه والحلال بين والحرام بين وفى وسع العقل البشرى أن يكشف عن ذلـــك ولكـــن الوحى يدعم العقل ويؤيده ٠

وما من فلسفة دينيه الا وللروح فيها نصيب ملحـــوظ والاديان تخاطب القلوب عادة قبل أن تخاطب العقول ويرى فلاسفة الاســـلام أن الـــروح مصـــدر الحيـــاة

والحركة والادراك ووسيلة البهجة والسعادة ففى الكائنات الحية نفوس نباتية وأخرى حيوانية وثالثة أنسانية ولكل فلك من الافلاك السماوية بفس خاصة به مملؤءة شوقا ورغبة فى الكمال فتتحرك وتحرك فلكها ورئيس المدينة الفاضلة أو الجمهورية المثلى بشر سمت نفسه وتخلصت من شوائب البدن ،اضحى نبيا أو فيلسوفا يسوس الناس بالحكمة ويدبر شئونهم بالعدل والقسطاس فعالم السماء وعالم الارض محكومان عند فلاسفة الاسلام بالنفوس الفاضلة ونزعتهم الاروحية أوضح من أن نطيل الحديث فيها
.

بهذا الطابع الدينى والروحى أستطاعت الفلسفة الاسلامية أن تقترب من الفلسفة المدرسية بل ،ان تتلاقى مع بعض الفلسفات الحديثة والمعاصرة وماكان لرجال الدين فى القرون الوسطى أن ينكروا فلسفة تقول بالخلق والابداع وتبرهن على خلود الروح وتؤمن بالجزاء والمسئولية والبعث والسعادة الاخروية ولقد وصل الامر بروجر بيكون ١٢٩٤) أنه كان

معجبا بنظرية الخلافة والامامه الاسلامية على نحـــو ماشرحها أبن سينا فى كتاب الشفاء الى حد أن يطلق على البابا لقب " خليفة الله فى أرضه "

فلسفة علمية :ــ

وبرغم هذا الطابع الدينى الروحى تعتــد الفلســفة الاسلامية بالعقل اعتدادا كبيرا وتعول عليه التعويــل كله فى تفسير مشكلة الالوهيـــة والكـــون والانســـان فواجب الوجود عقل محض يعقل ذاته بذاته فهو عاقل ومعقول فى أن واحد وعنه صدر العقل الاول فهـــو أول شىء خلقه الله وفى سلسلة متلاحقـــة صـــدرت العقول الاخرى اللتى تدبر شئون السماء فيمـــا عـــدا العقل العاشر أو العقل الفعال الـــذى يرعـــى شـــئون الارض وليس بغريب أن تكون شئون السماء أنظـــم وأحكم لان العقول المفارقة والنفوس الفلكية هى التى تشرف عليها ولعالم السموات قداسة عرفها اليونان من قديم وايدتها الاديان السماوية وعن العقل العاشر صدر عالم الكون والفساد فمنه أستمدت العناصـــر الأُوليـــة

التى نشأ عنها المعدن والنبات والحيوان ثم الانسان الذى هو أشرف الكائنات .

والعقل البشرى قوة من قوى النفس ويسمى النفس الناطقة وهو ضربان عمل يسوس البدن وينظم السلوك ونظرى يختص بالادراك والمعرفة فهو الذى يتقبل المدركات الحسية ويستخلص منها المعانى الكلية بعون من العقل الفعال الذى هو من نفوسنا بمثابة الشمس من أبصارنا وفى وسع العقل البشرى أن يسمو الى مرتبة يستطيع أن يتصل فيها مباشرة بالعقول المفارقة فتتكشف له المعقولات دفعة ويخلص الى عالم القدس واللذة العليا وهذه هى السعادة التى ليست وراءها سعادة .

بالعقل نعلل ونبرهن وبه نكشف الحقائق العلمية فهو باب هام من ابواب المعرفة وليست المعارف كلها منزلة بل منها مايستنبطه العقل ويستخلصه من التجربة وفى منطق أرسطو مايرسم طرائق الحد والبرهان وقيمة البرهان فيما يعتمد عليه من مقدمات يقينية يقرها العقل ويسلم بها جميع الناس وكم أعجب

فلاسفة الاسلام بهذا المنطق وعنوا بشرحة وتلخيصة وسموا صاحبة (المعلم الاول) لانه يحـق المنطقـى الاول أفادوا من منطقه كثيرا فى درسـهم وبحـثهم وطبقوه فى جدلهم ومناقشاتهم وأستعانوا به فى اثبات كثير من القضايا الدينية على نحو ماصنع المعتزلـة والاشاعرة وقد عرف عن الاشعرى (٩٣٥) زعـيم أهل السنة أنه كثيرا مالجأ الى القياسى الارسطى فى برهنته الدينية •

والواقع أن فلاسفة الاسلام بنزعتهم العقليـة يلتقون بوجه خاص مع المعتزله الذين سبقوهم الى تعظيم العقل والنزول عن حكمـه وقـد سـموا (مفكرى الاسلام الاحرار) حكموا العقل فى أمـور كثيرة فاتفقوا على أن الانسان قادرر بعقله علـى التمييز بين حسن الاشياء وقبحها وعلى الفرقة بين الخير والشر قبل ورود الشرع وقالوا بالاصـلاح والاصلح فلا يخلو فعل من أفعاله تعالى من الخير والصلاح وقرروا حرية **الارادة وقدرة العبد على**

خلق أفعاله كى يكون للثــواب والعقــاب معنــى وتأولوا النصوص الدينية التى لاتتمشى مع العقل ولايقرها المنطق وأتوا بحجج عقلية بارعة فــى دفاعتهم عن الدين وردهم على خصومة ولهم فى ذلك مجالس ومناظرات كانــت مضــرب المثــل وبالجملة بعد المعتزلة فى مقدمـــة العقلــين فــى الاسلام وهم اقرب الفرق الاسلامية الى الفلاسفة ويقترب منهم فى هذا أيضا جماعة الاســماعيلية وبعض المتصوفين الفلاسفة أمثال الســهروردى المقتول ١٩١١ وأبن عربى ١٢٤٠ وأبن ســبعين ١٢٧٠ وأستطاع هؤلاء جميعا أن يبروزا التيــار العقلى فى الاسلام وأن يدعموه ويؤيدوة ووجــدوا فى الكتاب والسنة مايتمشى معه ويغذيه ٠

صثوقد أنتقل هذا التيار الى الفلسفة المســيحية وكان فلاسفة الاسلام بوجة خاص حملــة رايتــة واثاروا فى القرن السادس عشر حركة فكرية قوية فأيدهم بعض المدرسين وعارضهم أخرون ونمت

الدراسات العقلية نموا كبيرا وكانت الدراسات النقلية فى القرون السابقة أقوى وأغلب ويوم أن يتقابل العقل والنقل تقابلا واضحا فى بيئة دينية تثأر الخصومة بينهما وتمس الحاجة الى تغلب أحدهما على الاخر أو التوفيق بينهما ويمتاز القرن الثالث عشر بكثرة ماصدر فيه من قرارات كنسية تحرم كتبا فلسفية ا، دراسات عقلية بعينها وأن لم تمنع عشاق هذه الدراسات من التعلق بها ولانزاع فى أن أذدياد سلطان العقل يعدو على نفوذ الكنيسة ويفسح السبيل لبحث حقوقها وواجباتها وأمر أخر يمكن ملاحظته وهو أن مشكلة التوفيق بين الفلسفة والدين لم تثر من قبل فى الفلسفة المسيحية مثلما أثيرت فى القرن الثالث عشر على اثر أتصال اللاتنيين بالفلسفة العربية .

فلسفة توفيقية

توفق بين الفلاسفة بعضهم بعض وقد عرف العرب شيئا من الفلسفات الشرقية القديمة كما عرفوا شيئا عن السابقين لسقراط والسفسطائيين وأنصاف السقراطيين

والرواقيين والابيقوريين وجماعة الشكاك ورجال مدرسة الاسكندرية ولكنهم عنوا خاصة بأفلاطون وأرسطو فترجموا للاول أهم محاورة وهى الجمهورية والنواميس وطيماوس والسوفسطانى والسياسى وفيدون وأحتجاج سقراط وترجموا للثانى مصنفات الكهولة كلها تقريبا من منطقيه وميتافزقية وأخلاقية وكانت الخطابة والشعر وهما كتابان فنيان يعدان عندهم بين الكتب المنطقية ولم يفتهم الا كتبه السياسة وقد أحلوا محلها جمهورية أفلاطون وبعض كتبه الاخلاقية واضافوا الى هذا بعض مؤلفات منحولة ليست من عمل أرسطو مثل السماء والعالم وكتاب الربوبية ولم يقنعوا بترجمة الكتب الارسطية وحدها بل حرصوا ماأستطاعوا على أن يترجموا معها شروحها وكان لهذه الشروح شأن كبير فى نظرهم وعرفوا من الشراح تاوفرسطس ٢٨٧ق٠م)
خليفة أرسطو الاول والاسكندر الافروديسى الذى كان يسميه أبن سينا " فاضل المتأخرين" وعرفوا من شراح مدرسة الاسكندرية عددا غير قابل أمثال أمونيوس

سكاس (أوائل القرن الثالــث) وفرفوريــوس ٣٠٤ وتامسطيوس ٣٩٥ وداود الارمنى فى القرن الخامس ويحيى النحوى ٦٤٣ وربما كان هؤلاء أعظم اثــرا من المشائين الاول لانهم كانوا الى العرب أقرب وفى نظريتهم الدينية مايلائم بين فلسفتهم والفكر الاسلامى وهم على كل حــال مصــدر هــام مــن مصـــادر الافلاطونية والافلوطينية فى العالم العربى ٠

فعرف العرب أفلاطــون وأرســطو معرفــة مباشرة عن طريق مؤلفاتها الى جانب مانقلــه عنهــا المؤرخون أمثال فلوطوخسى ١٢٥ وجـــالينوس ٢٠٠ ومانقله عنهما حنين بن اســحق فــى كتابــه نــوادر الفلاسفة والحكماء وقد أثر تأثيرا كبيرا فى كثير مــن المدارس الاسلامية وحولهما بوجه خاص دار التوفيق بين الفلاسفة وللفارابى فى هذا موقف واضــح فهــو يؤمن بوحدة الفلسفة وأن كبار الفلاسفة يجب أن يتفقوا فيما بينهم مادامت الحقيقة هدفهم جميعا ولاشك فى أن أفلاطون وأرسطو هما زعيما الفلسفة وضعا أصولها

وفصلا القول فيها وبغا بهـا الغايـة ولاسـبيل لان يتصور خلاف بينهما

ولايمكن أن ننتظر نجاح محاولة أساسها خـاطىء فالافلاطونية شيء والارسطية شيء أخر ولكن لهـذه المحاولة شأنا كبيرا فى تاريخ الفلسفة الاسلامية فهى نقطة بدء سار عليها الفلاسفة اللاحقون ونلاحـظ أن ابن سينا لم يعن بالتفرقة بين أفلاطون وأرسطو وفى فلسفته جانب أفلاطونى وأفلوطينية قوية وإذا كان أبن رشد قد أخذ على عاتقة العودة الى أرسطو وتخليص الارسطية مما لحق بها من عناصر أجنبيه فأنـه لـم يسلم هو نفسه من هذه العناصر وبدت فلسـفته فـى جملتها أستمرارا للفلسفة التى قال بها الفارابى وأبـن سينا وعلى هذا تربط الفلسفة الاسلامية الافلاطونيـة بالارسطية وتوفق بينهما وتنسقهما وتضـيف اليهمـا أمورا أخرى وبذا أصبحت هى نفسها مذهبا جديدا ذا شخصية مستقلة ٠

٤ _ فلسفة وثيقة الصلة بالعلم

وأخيرا الفلسفة الاسلامية وثيقة الصلة بـــالعلم تغذيه ويغذيها وتأخذ عنه ويأخذ عنها ففى الدراســـات الفلسفية علو وقضايا علمية كبيرة وفى البحوث العملية مبادىء ونظريات فلسفية والوقع أن فلاسفة االاســـلام كانوا ايعتبرون العلوم العقلية جزءا من الفلسفة وقـــد عالجوا مسائل فى الطبيعة كما عالجوا مســـائل فـــى الميتافزيقا ومن أوضح الامثلة على ذلك كتاب الشفاء أكبر موسوعة فلسفية عربية فانه يشتمل على أربلعة أقسام ينصب أولها علـــى المنطـــق والثـــانى علـــى الطبيعبات والثالث على الرياضيات والرابـــع علـــى الالهيات وفى قسم الطبيعيات يدرس أبن سينا علـــى النفس والحيوان والنبـــات والجولوجيـــا وفـــى قســـم الرياضـــيات يـــدرس الهندســـة والحســـاب والفلـــك والموسيقى ٠

وفلاسفة الاسلام علماء ومن بينهم مبرزون فالكندى عالم قبل أن يكون فيلسوفا عنى بالدراسات الرياضية والطبيعة وكان يرى – كما رأى أفلاطون من قبل – أن الانسان لايكون فيلسوفا قبل أن يدرس الرياضيات وأجتهد فى تطبيق الرياضيات فى الفلك والطبيعه والطب بل فى الميتافزيقا حيث حاول أن يبرهن على وجود الله برهنة رياضية وعول على التجربة وأستخدمها فلا بعض دراساتة الكيمائية وكان فى مقدمة الاسلاميين الذين أبطلوا دعوى صنع الذهب والفضة من غير معدنيهما وعد فى عصر النهضة واحدا من أثنال عشر قطبا من أقطاب الفكر فى العالم

وللفارابى بحوث فى الهندسة وعلم الحيل (الميكانيكى) وهو دون نزاع اكبر موسيقى الاسلام عرض الموسيقى فى عده كتب وخاصه فى كتاب الموسيقى الكبير وادخل على الموسيقى اليونانيه إضافات جديده وابن سينا حجه فى الطب بقدر ما هو حجه فى الفلسفه تعلم الطب فى سنن مبكره وزاوله

عملا ولما يجاوز العشرين واحرز فيه شهره فائقه
وتوسع فيه درسا وبحثا وكتابه القانون من اهم
المؤلفات الطبيه العربيه وقد بقى يتدارس فى جامعات
اوروبا الى القرن السادس عشر وفى بعض المعاهد
الاسلاميه الى اوائل هذا القرن ولم يخرج الامر فى
الاندلس عن ذلك كثيرا فقد كان فلاسفته الثلاثه الكبار
ابن باجه وابن طفيل وابن رشد اطباءوان تفاوتت
رتبتهم وكتاب الكليات فى الطب لابن رشد الذى ترجم
الى اللاتينيه فى منتصف القرن الثالث عشر مثال
جيد لعرض القضايا الكليه والمبادئ العامه .
والواقع أن العلوم الطبيعية والرياضية وثيقة الصلة
بالدراسات الفلسفية فى الاسلام ولايمكن أن يفهم
أحدها بدون الاخر ويوم ان ضعف البحث الفلسفى
ضعفت معه الدراسات العلمية واذا كنا قد أشرنا الى
الفلاسفة العلماء فأننا نستطيع أن نضيف اليهم العلماء
الفلاسفة ويمكن أن نذكر أن من بينهم محمد بن
زكريا الرازى (٣٢٠ - ٩٣٢)

وأتجه أيضا نحو الفلسفة وحرص أن يلقب بالفيلسوف وهو فى طبه وفلسفته واثق من نفسه كل الثقة ينتقـد جالينوس ولايتردد فى أن يهاجم أرسطو

علاقة الفلسفة بالتصوف

على الرغم من البون الشاسع بينهما واحتلال كل لطريق خاص الا ان جمهور الباحثين ان هنالك علاقة وثيقة بينهما ذلك ان التصوف قد دخل ضمكن الدراسات الفلسفية والنظر العقلى والكشف القلبى هما طريق واحد او مرحلتين او جزئين متكاملين فصل بينهما نوع نممن الانحلاف البشرى فالعقل له اختصاصه فى مرحلته الاوليه فاذا مانتهى يبدا دور الكشف والالهام وقد استخدم الفارابى التصوف لدرجة انه اصبح جزءا اساسيا من فلسفته ٠

أنتقل الرسول صلى الله علية وسلم الى الرفيــق الاعلى وقد أكمل الله به الدين وأتم به النعمه فلا نبى بعده ولاكتاب بعده صلى الله عليه وسلم وفى هذا نقرأ قول الله عز وجـــل(اليوم أكملت لكــم دينـــــكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا)[1]

* وقد كان عليه الصلاه والسلام ملاذ كل سائـــل وملهم كل مسترشد عن الحقيقه فكانت أجوبته صلى الله عليه وسلم شافيه لهؤلاء الســـائلين ومـــن هـــذه الاسئله كان عن الساعه وعن الجبال وعن الـــروح وعن اليتامى وعن الانفـــاق ....الـــخ) وجاءت الاجابات قاطعة لكـــل تســـاؤل فلـــم يكـــن للمسلمين حينئذ فرصا للاخـــتلاف أو الافتـــراق لان الرسول صلى الله علية وسلم كان الحكم فيما بيـــنهم وصدق الله اذ يقـــول فيمـــا (فلاوربك لا يومنـــون

[25] الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ص ٧٥ .

[1] سورة المائدة الآية(٢)

حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (١)٠ بل إنـــه صلى الله عليه وسلم كان يتفقد أحوال قومه من حيث مايتكلمون ويصوب افعالهم فقد جاء عن أبى هريره رضى الله عنه قـــال (خرج علينـــا رســول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنـــازع فـــي القـــدر فغضب حتى أحمر وجهه ثم قال أبهـــذا أمـــرتم ! أم بهذا أرسلت إليكم إنما أهلك من كـــان قـــبلكم حـــين تنـــازعوا فـــي هـــذا الامـــر عزمـــت علـــيكم الا تنازعوا)(١) ومن هنا صدع الصحابة لأمر الر سول صلى الله عليه وسلم ٠

وجاءت كتـــب الســـنة بمـــا تحملـــه مـــن روايـــات وأحاديث صحيحة لتثبيت هذا الامـــر فلـــم يتكلمـــوا (الصـــحابة) ولـــم يتنـــازعوا فـــي مســـألة واحـــدة من مسائل الاســـماء والصـــفات والأفعـــال بـــل كلهـــم علـــى أثبـــات مـــانطق بـــه الكتـــاب

---

(١) سورة النساء ٠

(١)

العزيـــــز والسنه النبوية كلمة واحـــده مـــن أولهـــم الى أخرهم لم يسموها تأويلا ولـــم يحرفوهـــا عـــن مواضعها تبديـــــــلا ولم يقـــل أحـــد مـــنهم يجـــب صرفها عن حقائها وحملهـــا بـــل تلقوهـــا بـــالقبول والتسليم وقابلوها بالاجلال والتعظيم ٠ (١)

*وهكـــــذا يتبـــــين لنـــــا أن الصـــــدر الاول مـــــن الصحابة-الكرام انما صار الـــى الفضـــيلة الكاملـــة والتقوى باســـتعمال هـــذه الأقاويـــل دون تـــأويلات فيها ومن كان منهم وقف علـــى تأويـــل لـــم يـــر أن يصرح به وأيا من أتى بعدهم فأنهم لمـــا أســـتعملوا التأويل قل تقـــواهم وكـــــــذا اخـــتلافهم وأرتفعـــت اصواتهم وتفرقوا فرقا)

وصـــدق المولى عز اذ يقول (ولاتكونـــوا كالـــذين تفرقوا وأختلفوا من بعد ماجاءتهم البينـــات وأولئـــك

لهم عذاب عظيم) (١) وصدق اذ يقول (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)(٢)

لكن ترى ماالداعى الذى أدى لنشأة الاختلاف ومن ثم ظهور هذه الفرق الاسلاميه على الساحه الفكريه ليبدى كل بما يراه وهذا ماسنعرضه في الصفحات التاليه ان شاء الله تعالى ٠

كانت هناك عدة عوامل أدت الى نشأة الفرق على الساحة الاسلامية ٠

---

[١] سورة آل عمران ١٠٥
[٢] سورة الانعام ١٥٩

**أن الاسلام دين عالمى فلم ينزل لامه دون امه وانما نزل للناس جميعا وصدق الله أذ يقول (وماأرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)(*)

يقول تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم تسليما(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا أي إلا إلى جميع الخلائق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكزن للعالمين نذيرا بشيرا ونذيرا أي تبشر من أطاعك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار ولكن أكثر الناس لا يعلمون كقوله عز وجل وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله قال محمد

(*) سورة سبا (٢٨

بن كعب في قوله تعـــالى ومـــا أرســـلناك إلا كافـــة للناس يعني إلى الناس عامة(*)

وعن جـــابر بـــن عبـــد الله الأنصـــاري قـــال قـــال رسول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم ثـــم أعطيـــت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كـــان كـــل نبـــي يبعـــث إلى قومه خاصة وبعثت إلـــى كـــل أحمـــر وأســـود وأحلت لي الغنائم ولم تحـــل لأحـــد قبلـــي وجعلـــت لي الأرض طيبة طهـــورا ومســـجدا فأيمـــا رجـــل أدركتـــه الصـــلاة صـــلى حيـــث كـــان ونصـــرت بالرعـــب بـــين يـــدي مســـيرة شـــهر وأعطيـــت الشفاعة)(٢) ونتيجـــة هـــذا الامـــر ظهـــرت علـــى الساحة الفكرية منـــازع مختلفـــة وثقافـــات متباينـــة

(*) (تفسير ابن كثير ج: ٣ ص: ٥٢٩

[٢](صحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٧٠

فكان منهم اليهودى والمجوسى والنصـــرانى وهـــذا بدوره يؤدى لخلق روح الاختلاف والتنازع.
ومن جهة أخرى تلاحظ أن هـــؤلاء الـــذين دخلـــوا فـــي الاســـلام مـــن اليهـــود أو مـــن النصـــارى لم..يخلصوافى اسلا مهم . فقـــد كانـــت البيئـــة العربية تحوى ديانـــات أخـــرى مختلفـــه أقـــول أن هؤلاء القوم كان موقفهم مـــن الـــدين الجديـــد علـــى أمور منها :ـــ
-*-منهم فريقـــا اسـلم ظـــاهرا وباطنـــا وحســـن أسلامه لما رأى فيه من ســـمات لـــم يجـــدها فـــي دينه القديم فكان هؤلاء القـــوم خيـــر مثـــال لحملـــة الاسلام وقد كان هـــؤلاء الاعاجـــم لهـــم الســـيف في نشر الاسلام في شـــتى بقـــاع الارض ..... ومازلنا الى يومنا هذا نـــرى فـــي بـــلاد الشيشـــان والهند رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه .

*منهم فريق ثان أظهر الاسلام وابطن الكفر ليحصل على مايريد فقد ضعفت شوكته وأنكسر ظهره فلا بد من المدافعة الباطنيه ونشر دينه من جديد ككل فيسريه تامه وهؤلاء القوم كان من وراءهم تصدع الا مة كما في جاء في قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ٠٠٠٠٠٠٠٠٠)(١)

*ومنهم فريق ثالث اخلص في اعتناق الاسلام ولكنه لم يستطع أن يتخلص نهائيا من دين أبائه فهو يرى التوفيق بينهما ولكن أنى هذا ومن هنا ظهرت أراء وافكار غريبة عن الاسلام والمسلمين فالذى كان يدين بالدين ---- ومااليها فانه يستطيع أن يقول باله واحد وامام معصوم حل فيه جزاء إلهى وجدنا ذلك عند

(١)

السبئية وغيرها ٠ فانضم الفريق الثالث والذى يبطىء الكفر إلى أصحاب التوفيق فظهرت تلك الأرض الممهدة لتلك الآراء الهدامة والتى تسلب الامه الاسلاميه مجدها رويدا رويدا ٠

الامر الثانى :ـ دعوة الاسلام الى استعمال العقل

لم يحجر الاسلام على العقول بل طالب باستعمالها ولفت الانظار الى الكون والنفس وكل شىء حول الانسان وطلب منه النظر والتدبر والتفكرفقال (أفلا يتدبرون القرآن٠٠٠٠٠) (٢)وقال (قل سيروا في الأرض فانظروا ٠٠٠٠)٠٠٠٠٠(٣) الخ ، ونعى على هؤلاء الذين لايعملون عقولهم فقال (ولقد زرانا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها٠٠) ٠(٤)

يقول المستشرق هنرى كوربان (٢٦) :

" وأول ما تقتضى الإشارة إليه ... هو غياب ظاهرة الكنيسة من الإسلام يقصد الرجل عدم وجود صكوك الغفران وأمثالها ، وعدم وجود الكيروس يتسلط على وسائل النعمة ، فليس في الإسلام جمود عقائدى ولا سلطة حبرية ولا مؤتمر يحدد العقائد ، على ما حدث للمسيحية ... ثم يواصل كوربان فينقل عن ناصر خسرو (٢٧)

* ومن هنا فهناك من استعمل عقلهفى الايات الكريمات محاولا الوصول الى الصواب فى القول والفريق الاخر قصد اضلال واتباع المتشابه من القران قصدا للاغواء ولذا يحدثنا عن الطائفتين وعاقبتهما فيقول (هو الذى أنزل

---

[٢٦]- هنرى كوربان : مستشرق فرنسى من جامعة السوربون ، عمل فى بيروت ، كان فى عمله يميل إلى الصوفية والصمت ، من أعلام القرن العشرين ، هو من أدق العارفين بالفكر الإيرانى من المستشرقين ، تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد منشورات عويدات بيروت ، باريس ط ٣ ، ١٩٨٣م تعريب نصير مروة ، حسن قبيسى .

[٢٧]- ناصر خسرو : شاعر فارسى من كبار شعراء الفرس ، إسماعيلى المذهب ، ولد فى بلخ عام ١٠٠٣م وزار البلاد العربية دون أخبار رحلته فى كتاب مشهور " سفر نامة " زاد المسافرين فى الفلسفة توفى فى ١٠٨٨م المنجد ص ٥٦٩ الموسوعة العربية ١٨١٦/٢ .

عليك الكتاب منه ايات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الاالله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولو الألباب).(١) عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به الآية وإن يودوا ذا علمهم فيضيعوه ولا يبالون عليه غريب جدا وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه(٢)

---

(١) سورة ل عمران (٧

(٢). تفسير ابن كثير ج: ١ ص: ٣٤٧

إن الاسلام بما حواه جاء فاصلا وقاطعا ومهيمنا على ماكان قبله من الكتب فاشتمل على أمور تتعلق بالالهيات والنبوات والسمعيات قال تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ......) (١) يقول ابن كثير رحمه الله

لما ذكر تعالى التوراة التي أنزلها على موسى كليمه ومدحها وأثنى عليها وأمر باتباعها حيث كانت سائغة الإتباع وذكر الانجيل ومدحه وأمر أهله بإقامته واتباع مافيه كما تقدم بيانه شرع في ذكر القرآن العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم فقال تعالى وأنزلنا إليك الكتاب بالحق أي بالصدق الذي لاريب فيه أنه من ثم الله مصدقا لما بين يديه من الكتاب أي من المتضمنة ذكره ومدحه وأنه سينزل من ثم الله على عبد ورسوله محمد صلى الله عليه

(١) سورة المائدة (٤٨)

وسلم فكان نزوله كما أخبرت به مما زادها صدقا ثم حامليها من ذوي البصائر الذين انقـادوا لأمـر الله واتبعوا شرائع الله وصدقوا رسل الله كما قال تعالى إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخـرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا أي إن كان ماوعدنا الله على ألسـنة رسـله المتقدم من مجئ محمد عليه السلام لمفعولا أي لكائنا لامحالة ولا بد وقوله تعالى ومهيمنا عليه قال سفيان الثوري وغيره عن أبي إسحاق عن التميمي عن ابن عباس أي مؤتمنا عليه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس المهيمن الأمين قال القرآن أمين على كل كتاب قبله ورواه عن عكرمة وسـعيد بـن جبيـر ومجاهد ومحمد بن كعب وعطية والحسـن وقتـادة وعطاء الخراساني والسدي وابن زيد نحو ذلك وقال ابن جريج القرآن أمين على قبله فما وافقه منها فهو

منه صار أعظم مما كان قبل، أن يزاد عليه أو مساويا له ٠

فان كان اعظم مما كانم فقد صار ما لانهاية له أعظم مما لانهاية له وهذا باطل ٠

وان كان ليس بأعظم مما كان قبل أن يزاد عليه فقد زيد جرم جرم فلم يزد شيئا ومعنى ذلك ان الكل يساوى الجزء وهذا باطل ٠فقد تبين اذن انه لايمكن ان يكون جرم لانهاية له ٠

ويبن الكندى ان هذا الدليل ليس خاصا بالجرم وإنما ينسحب على الزمان والحركة والمكان ٠واذا كان الزمان متناهيا فالجرم باضطرار له مبدأ على انه لاجرم بلا زمان ولازمان بلاى حركة ٣٦٠

من خلال ما سبق يتبين لنا ان الكندى لايتابع ارسطو كما علمنا فى القول بقدم العالم بل انه يثبت حدوثه فالمادة عنده حاثة لكنها عند ارسطو قديمة وكذا اثبت الكندى خلق الله تعالى للكون من العدم وكذا تصريفه

---

[٢١] التفكير الفلسفى فى الاسلام ص ٢٢٤

وتدبيره للكون وعلمه بجزيئاته وكلياته وذلك ينفيه ارسطو .

الوحى والنبوة عند الكندى

يرى انهما مظهران من مظاهر عناية الله تالعى بالعالم وذلك لعلمنا ان العقل محدود بروافده الحسية ولايتاتى له ما وراء الحجب فضلا عن وضع قانون ضابط للكل وقد اللايلات الكريمة لتتثبت هذا الامر فى اكثر من موضع ففى رلاسالته فى تثبيت الرسل عليهم السلام عمنل عقل بارز فى دحض شبه المنكلرين للنبوة مدى الحاجة اليها فهى منحة الهية لاتنال باستحقاق واكتساب كما يدعةى الفلاسفة من قحو النمخيلة البارزة كما جاء فى نظرية الاحلام عند الفارابى ومردها لارسطو . فالوحى فى رايه يجئ بالكلام المجز المؤدى للمعنى متن اقرب طريق بخلاف الكلام البشرى وقد ضرب مثالا واضحا على هذا الأمر بقوله تعالى (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ *قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ *الَّذِي

جعلَ لَكم مِّن الشَّجرِ الْأَخْضرِ نارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُون *أولَيْس الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوات والْأَرْض بِقَادِرٍ علَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ العليم *إنما أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيكُونُ*)[37]

---

[37] **-التنافي والتضاد الموجود في العظام:**

ويقصد به التنافي والتضاد بين صفة العظام وهي رميم من اليبس والجفاف وبين النداوة والرطوبة التي هي مقتضى الحياة بالبعث. وقد عرض القرآن الكريم لهذه الشبهة.

قال تعالى ﴿ **وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم**﴾[37] .

الرد على الشبهة:

لقد رد القرآن الكريم على هؤلاء فقال تعالى: ﴿ **قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** ﴾[37]

يقول ابن رشد: "فإن الحجة فى هذه الآيات هى من

جهة قياس العود على البدأ وهما متساويان وفي هــذه الآية مع هذا القياس المثبت لإمكان العودة كسر لشبه المعاند لهذا الرأي ، بالفرق بين البدء والعودة ، وهو قوله تعالى **﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ﴾** . والشبهة أن البداءة كانت مــن حــرارة ورطوبــة والعودة من برد ويبس فعورضت هذه الشــبهة بأنــا نحس أن الله تعالى يخرج الضد من الضد ويخلقه منه كما يخلق الشبيه من الشبيه ، وأما إمكان وجود الأقل على وجود الأكثر فمثل قوله تعالى في الآية **﴿أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلــق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾**[٣٧].

فهذه الآيات تضمنت دليلين على البعث وإبطال حجة الجاحد للبعث ، ولو ذهبت لتقصي الآيات الواردة في الكتاب العزيز لهذه لطال القول ، وهي كلها من جنس الذي وصفناه "[٣٧] .

حق وما خالفه منها فهو باطل وعن الوالبي عن ابن عباس ومهيمنا أي كلاهما وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وقال العوفي عن ابن عباس ومهيمنا أي حاكما على ما قبله من الكتب وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله من الكمالات ماليس في غيره فلهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٢)

ومن هنا كان هذا االتباين التشريعى لاالاصولى دافعا للبحث فى الحياه ومابعدها وكان اختلاف الاسلام

---

(١)تفسير ابن كثير ج: ٢ ص: ٦٦

عن غيره فلم يترك الاسلام البحث فى أمور الدنيا وقفا على رجال الدين أو داخـــل دور العبادة ولكنه نظم أمور العباده بين الناس وكذا أمور المعاش ومن هنـــا كان هم كـــل . فريق تأييد وجهته من الدين حتـــى ولو أداه ذلك لافتراء الاحاديث والكذب على رســول الله صلى الله عليه وسلم

العامل الرابع :ــ جنكة النبوة

وهو يشير الى بعد نظر الرسول صلى الله عليه وسلم فيتمثل فى أن الرسول الكريم صلى الله عليــه وســلم مـــات دون أن يحـــدد لـــه خلفـــا أو يضـــع نظامـــا خاصـــــا للحكم ، وان كانت الدلائل تشـــير الـــى عهده لأبى بكر رضـــى الله عنـــه فـــى أكثـــر مـــن أمر ٠٠٠٠ الا أنه لايوجد نصا صريحا يـــدع البيعـــه لابى بكر رضى الله عنه ومن هنا كان اختيار الخلفاء

الاربعه غير خاضع لنظام معين وان كانت الشــورى القاسم المشترك فيما بينهم .

وأخيرا بـدأ غـزو المسـلمين وفتوحـاتهم للـبلاد يسـكن ويأخـذ دور الركـون فبـدأ المسـلمون ينظرون ويبحثون ويحـاولون ويناقشـون فاسـتتبع هذا اخـتلاف وجـهات أنظـارهم فـالاختلاف سمة البشر جميعا وهو موجب للـدفع فيمـا بيـنهم وصدق الله اذ يقول (ولو شاء ربك لجعـل النـاس أمة واحده ولايزالون مختلفين الا مـن رحـم ربـك ولـذلك خلقهـم ....)(١) ونـود أن نـذكر أن الاختلاف بين هذه الفرق كان خلافـا فـى الفـروع

(١) سورة هود الاية

وليس فـــى الاصـــول الاعتقاديـــه الاعنـــد القلـــه المتطرفة من كل فريق .[28]

---

[28] نقف الان على وقفات يسيرة على تاريخ هذه الفرق واشهرها فنقول إن الشيعــــــة من حيث الانشقاق اللغوى يقال شاع الشيء يشيع شيوعا ظهر ويتعدى بالحرف وبالالف ويقال شعت به وأشعته والشيعة الاتباع والانصار وكل قــــــوم أجتمعوا على أمر منهم شيعه واحد، وقد غَلَبَ هذا الاسم علـــى من يَتَوالـــى عَلـــياً وأهل بـــيته رضوان الله علـــيهم أجمعين، حتـــى صار لهم اسماً خاصاً فإذا قـــيل: فلان من الشِّيعة عُرِف أنه منهم. وفـــي مذهب الشيعة كذا أي عندهم. وأصل ذلك من الـــمُشايعَةِ، وهيَ الـــمُتابَعة والـــمُطاوَعة.

** أما فى الاصطلاح فقد تعددت فيها الاطلاقات لكن أصحابها انهم الذين شايعوا الامــــــام على بن أبى طالب رضى الله عنه وقالوا بامامته بعد رسول الله صلى الله عليه وســــــــلم بالنص اما جلبا واما خفيا وأعتقدوا أن الامامه لاتخر عنه وعن أولاده وان خرجت فا مـــا بظلم

يكون من غيرهم واما بتقية منه ومن أولاده ٠ فهو مفضل على رأ يهم على الخلفاء الراشدين ولاتخرج الامامه عن ال البيت .وذكر ابن النديم رايا فى التسمية وهو قوله :(قال محمد بن إسحاق لما خالف طلحة والزبير على علي رضي الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثمان بن عفان وقصدهما علي عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله جل اسمه تسمى من اتبعه على ذلك الشيعة فكان يقول شيعتي وسماهم عليه السلام الأصفياء الأولياء شرطة الخميس الأصحاب طبقة طبقة طبقة طبقة ومعنى شرطة الخميس أن عليا رضي الله عنه قال لهذه الطائفة تشرطوا فانما أشارطكم على الجنة ولست أشارطكم على ذهب ولا فضة إن نبيا من الأنبياء فيما مضى قال لأصحابه تشرطوا فاني لست أشارطكم الا على الجنة وهذا رأيه وجهته ويصب ايضا فى اطار الاتباع والنصرة [*])

الامام على رضى الله عنه ومكانته عند أنصاره وأتباعه. * بلغ الامام على رضى الله عنه مرتبه ومكانه عاليه عند اتباعه وأنصاره منذ نعومه اظافره رضى الله عنه فهو أبن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبـــوطالب) والذى قام بكفالة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاه جده عبد المطلب واستقى على رضى الله عنه من مشكاه أبيه الذى استسقاه قبله رسولنا الكريم ولما شب علية الصلاة والسلام ضم اليه فى كنفه عليا فكان ذلك ايذانا بتربيته بادب النـــــبوه ومن ذلك (أن أصابت قريشا أزمه شديده فتحدث الرسول صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس وكان من أيسر بنى هاشم فقال له ان اخاك ابا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ماترى من هذه الازمه فانطلق بنا اليه فلنخفف عنه من عياله اخذ من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فتكلمهما عنه فقال العباس نعم

فانطلقا حتى اتيا أبا طالب وأنتهى الامر بينهما وبينه أن أخذ الرسول

عليا فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا ٠

ومن هنا فقد تربى الامام على على مائدة الرسول صلى الله عليه وسلم ونهل من أخلاقه ماجعله مثلا أعلى يحتذى به على مر العصور فقد كان أول من أسلم من الصبيان وهو يومئذ ابن عشرة سنين فلم يسجد لصنم وظل مصاحبا للنبى فى اسفاره قبل الجهر بالدعوه فيصليان الصلوات معا ثم كان من امره رضى الله عنه أن يأت فى فراشه عليه السلام ليله الهجره تمهيدا لهجرته عليه السلام الى المدينه المنوره وأن يرد الودائع التى كانت عنده عليه السلام لاصحابها مما يدل على أمانته وتقواه ٠

ثم زوجه الرسول صلى الله عليه وسلم من فاطمه بنته وكان ذلك إيذانا ايضا بقربه منه وصحبته له وكما

تخلق الإمام على بهذه الصفات الكريمة من الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان شجاعا جسورا لا يهاب الموت الا فى سبيل الله ورفعه كلمتى الحق والدين يظهر ذلك جليا فى فتح خيبر كما جاء فى سيرة ابن هشام بعث الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه برايته وكانت بيضاء فيما قال ابن هشام الى بعض حصون خيبر فقاتل فرجع ولم يك فتح وقد جهد ثم بعث عمر بن الخطاب فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الرايه غدا لرجل يحبه الله ورسوله يفتح على يديه ليس بفرار قال ٠ يقول سلمه فدعا رسول الله عليا رضوان الله عليه وهو أرق فتفل فى عينيه ثم قال خذ هذه الرايه فامضى بها حتى يفتح الله عليك قال - يقول سلمه فخرج والله بها -- (عالـــى النفس) يهرول هروله وأنما لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته فى رضم من الحجاره تحت الحصن

فاطلع اليه يهودى من رأس الحصن فقال من أنت ؟
قال على ابن أبى طالب فقال اليهودى على ---
ومأنزل على موسى او كما قال فما رجع حتى فتـــح
الله على يديه – ومواقف على رضى الله عنه
كثيرة تبرز عن شجاعته ويمكن للقارىء أن يرجع
الكثير منها كما جاء فى كتب السيره ٠

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعين أحدا
من بعده ومن هنا واجه المسلمون أمرا عسيرا فى
تعيين خليفه بعد رسول الله فأسرع الأنصار الى عقد
اجتماع فى ثقيفـــة بنى ساعده ليبتوا فى الأمر بلغ
الامر ابو بكر وعمر أن الأنصار مجتمعون فى
فخرجا على غير اتفاق بينهما أيهما يخاطب القوم
وكان ابو بكر يخشى حده عمر فيستمهله ويخاطب
القوم قبله وكذا كان عمر ٠

وقد أورد ابى سعيد فى رواية مشهوره (أن عمر
فاتح أبا عبيده قبل ذلك فقال له أبسط يدك فلابايعك

فأنت أمين هذه الامة على لسان رسول الله فقال أبو
عبيده مارأيت لك همة قبلها منذ أسلمت أتبايعنى وفيكم
الصديق وثانى أثنين ؟ فهذه الرواية تثبت مكانه أبى
بكر عند هذين الرجلين كما عضد موقفه رضى الله
عنه صحبته الدائمه لرسول الله وامره اياه بالصلاه
كما كان اميرا للحج فى العام التاسع الهجرى حيث
كان عليا رسولا اليه ليقرأ مع الناس سورة التوبه ثم
كان يوم عرفه فخطب ابو بكر وقرا على السوره
وهكذا أنتهت المناسك كل ذلك ليمحو عصبية الجاهليه
من نفوسهم وليسير بدينهم دين الاسلام الى الرفعه
وحتى لايدع مجالا بأن هذا راجع لغلبة فريق على فر
يق ا خر فانه لم يحدد من خير كلامه الآمر فى بنى
هاشم أو بنى عبد المطلب ولو شاء لقال ولكنـــه جعل
الامر عاما فى سائر قبائلها •

ولكن لماذا قريش ؟

** لان قريشا هم اصحاب السياده فى مكه وهى كعبة الإسلام وعاصمة الدوله الاسلامية . *

لانها محور النزاع والاتفاق

* وصيته الدائمة عليه الصلاة والسلام بالانصار ومعناها أن تؤل الخـــــــلافه الى المهاجرين فهم الذين تتجه اليهم الوصيه بإكرام مثوى أخوانهم الأنصار إلى جانب كون الأنصار قبل الاسلام فريقين أوس وخزرج ولو تولى احدهما وترك الاخر لكانت فتنه وعصبية .

** ونعود إلى سقيفة بنى ساعده حيث يطالعنا رأيـــان

الرأى الأول:ــ يرى بأحقيه الخلافه لرجل من الانصار ولهم وجهتهم ان محمدا علية الصلاة والسلام لبث فى قومه بمكه نحو ثلاث عشر-سنه يدعوهم الى الاسلام فمـــا أمن منهم الا قليل ولم يمنعوا الرسول

من الأذى ولا أعزوا الدين الى جانب رضاه عليه السلام عنهم فهم أولى الناس بذلك•

الرأي الثاني :ـ يرى أصحابه ان المهاجرين هم أولى الناس بذلك لهذا الامر لانهم أول من أمن به وصبروا على الاذى ولم يستوحشوا لقله عددهم وهم قومه وعشيرته وهم من قريش والعرب لاتدين الالهم ولاتقر بعزة لاحد غير هم فهم أولى الناس • وأنتهى الامر الى أن يكون من كل فريق أمير ورفض المهاجرون هذا الاقتراح وتمت البيعه لابى بـــكر رضى الله عنه •

ونادى ابو بكر القوم هذا عمر وهذا ابو عبيده فايهما شئتم فبايعوا فقالا لاوالله لانتولى هذا الامر عليك فانك أفضل المهاجرين وثانى أحدهما فى الغار وخليفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يتولى هذا الامر عليك وأبسط يدك نبايعك فبايعه زعيم من الاوس بشير بن سعد وهو يقول كرهت أن أنازع قوما

جعلهم الله لهم وقال النقيب " و الله انى وليتها الخزرج عليكم مرة لازلت لها عليكم بذلك الفضيله ولاجعلوكم معهم نصيبا فقوموا بايعوا وهكذا أنتهت البيعة " لابى بكر رضى الله عنه .

**** وبعد وفاه الر سول صلى الله عليه وسلم كان هناك من يرى أن عليا أولى بالخلافه كالعباس والزبير وكل من يعتقد فى فضل على ولكن البيعه تمت لابى بكر خليفة للمسلمبن بعد اختياره فى ثقيفه بنى ساعده كخليفه للمسلمبن ثم بايع على ابا بكر فى اخلاص المؤمن الصادق الايمان وأخذت حياته تسير فى مجراها الطبيعى زهد وعلم وورع وأستمر مناره يهتدى به الحائر ومثلا يسير على هداه من رغب عن سنن الباطل وطمح الى رضوان الله ٠

ثم كانت خلافة عمر رضى الله عنه وقد كان المسلمون يومئذ يستعدون ترشيح عليا – لما سبق

وهذا ما فضيلةالاستاذ الدكتور/ عبد الحليم محمود فقال * ويرجع عدم اختيار على لامريـــــــن :-

الاول:ـ خوف قريش أن تستقر الخلافه فى بنى هاشم ان صارت الى أحد منهم وقد بنيت الحوادث ان عليا لم يكن لينقل الخلافه بالوراثه فهو قد سار سيرة النبى وسيرة عمر فلم يعهد لاحد من بعده وقد عضد هذا الرأى من قبل العقاد عارضـــا رأى الامام على فى هذا بقوله بعد موت الفاروق عمر وقد فاتته الخلافه للمره الثانية، ان الناس ينظرون الى قريش وقريش تنظر الاى بيتها فتقول ان ولـــى عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبدا و ماكانت فى غيرها من قريش تـداولتموها بينكم فهو يعرف بنظرة ان هذا الامر يستقر فى بنى هاشم فيجتمع فيهم الخلافه والنبوه من قبل الى جانب ذلك فسن الامام على كانت

حديثة الى جانب ابو بـــكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم كل ذلك من دواعة تنحيه الإمام على عن الخلافة .

الاخـــر :ـ أن عليا رضي الله عنه لم يقبل ماعرضه عليه عبد الرحمن بن عوف من ان يبايع على كتـــاب الله وسنة رسوله وفعل ابى بكر وعمر لايحيد عن شئ من ذلك تحرج على من ان يعطى هذا العهد محاقه وان تضطرة الظروف الى ان يعقد عن الوفاء به كاملا .

وفى عهد عثمان رضي الله عنه لبس التشيع ثوبا جديدا غريبا على البقعة الاسلاميه حيث ظهرت تعاليم السنيه على يد عبد الله ابن سبأ الذى اسلم ظاهرا وابطن اليهوديه وبدأ يعمل علـــى ادخال تعاليمه فى شتى البقاع

الاسلاميه فبدأ بالحجاز ثم البصره ثم الكوفه ثم الشـــــــام ثم مصر وأستغل وفاة سيدنا عثمان رضى الله عنه وبدأ يعلن أن محمدا صلى الله علية وسلم خاتم الانبياء وعلى خاتم الأوصياء وزعم أن عثمان أخذ الخلافه بدون وجه حق ·

ثم كان تولى الامام على الخلافه وقاتل معه أتباعه ثم كانت المؤامره الكبرى لقتله على يد عبد الرحمن بن ملجم واذداد الشيعه تمحو ال البيت وتبنى ذلك ايضا أستشهاد الحسين لما قتل عثمان بايع عليا كثير من المسلمين فتحققت بذلك نظريه القائلين يحق على فى الخلافه من يوم وفاة الرسول صلى اله عليه وسلم وأيده كثير من الصحابه (المهاجرين) ·

ثم كان خروج طلحه والزبير ومعاويه وكلهم يلصق بعلى تهمه أن له ضلعا فى قتل عثمان وعلى أقل تقدير انه قعد عن نصرته وكان قادراً على تغيير

الموقف وكان من مطالب طلحه والزبير بعلى الاخذ بثأر عثمان لانه من السته الذين أنتخبهم عمر للشـــورى .

ومن السابقين الأوائل للإسلام وبينما معاويه يرى انه أولى الناس رحما بعثمان وأخرى أهل بيته على المطالبه بدمه .

وفى هذا الجو المتشائم والذى لايساعد على استقرار الخلافه وجدنا طائفه أخرى فضلت العزله وعدم مبايعه عليا ولاغيره منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمـــــد بن مسلمه وسعد بن أبى وقاص وأسامه بن زيد وهكذا أقبلت الفتن على الامام على كقطع الليل فاذا أضفنا الى ذلك الحرب الاهليه التى أشعلها الثوار ضد على رضى الله عنه وذلك أنه قــدفر الامويون الى مكة بعد أستخلاف على رضى الله عنه وأخذوا يشعلون نـــار الحرب مع السيدة

عائشه أم المؤمنين رضى الله عنها حيث أخذوا يصورون لها مافعله الثـــــوار فى اسلوب أخاذ وعبارات مرتاعه حتى أثاروها حفيظتها وأشعـــلوا كوامن الغضب فيها وكانت رضى الله عنها قد ذهبت الى مكه حاجه فى أثناء الفتن وعادت بعد مقتل عثمان رضى الله عنه وأنضم اليها طلحه والزبير فضاعفا أحزانها وهنا أشتعلت النيران مطالبة بدم عثمان رضى الله عنه والذى أعتدىعليه فى البلد الحرام والشهر الحرام والذى نحره الثوار كما ينحرون البعير وهو صائم يقرأ القرأن ، وصار معها طائفة من الثوار وأستولوا على البصره وجاء عثمان بن ضيف والى علىالبصرة وأخبره بما كان من هؤلاء وكاد على ان يهدأ روع هؤلاء عن طريق ارسا ل-القعقاع بن عمرو وغيره لمفاوضة الثوار فى الصلح وأنه هو قد تولى أمر طلحــــه والزبير فنافسهما ولم يأل جهدا

ثم هاجت الفتنة وقامت من سباتها مرة أخرى فاشتعلت الحرب بين الفريقين بتدبير وتأمر من السبيئة الذين شاركوا فى قتل عثمان وغيرهم ممن أسلموا ظاهرا ولم يسلموا باطنا ٠

*وأشتعلت المعركة حامية قاسية فى اول النهار وأنتهت فى منتصفة بقتل طلحه وهرب الزبير ثم عادت وأشتعلت أثر دعوة كعب بن ثور كلا من الفريقين الى السلم واقبال عائشه علىجملها وسالت دماء عديده فى هذه المعركة التى انتهت بالنصر لعلى رضى الله عنه وعفوه عن الخارجين عليه وأحسن معاملة السيدةعائشه رضى الله عنها وأرسلها مكرمة الى المدينة وأشتد أسف المشاركين فى المعركة التى لم يدخلوها مختارين وان كلا منهم لم يكن يريد من عمله غير الصلح ٠ وان أختلفت وسائلهم وتعددت طرقهم ٠

*وفى هذا القول تقول السيدة عائشة (لوددت أن لو كان لى عشرون ولدا من النبى صلى الله عليه وسلم وفقدتهم جميعا وانى لم أشهد يوم الجمل) ٠

بين معا وية وعلى رضى الله عنهما

* أما معاوية والى الشام فقد كانله شأن أخر مع على رضى الله عنه وقد كان مكن المطالبين بدم عثمان رضى الله عنه وقد كان أصعب منالا اذ كان لديه جيش الشام المنظم الطائع وكان بين على ومعاوية من وقعه صفين ماكان فلما أحس معاوية أن الدائرة كادت تدور عليه طالب جنوده برفع المصاحف على اسنة الرماح وطلب التحكيم الى كتاب الله ٠

** وتعد تلك بداية تفرع الفرق الاسلامية وتأسست من خلالها أكبر الفرق الاسلامية الخوارج- الشيعة

- المرجئة ولنا ان شاء الله وقفة مع هذه الفرق وارائها بالتفصيل ٠

ومازال الامام على يواجـــة الاخطار ويؤسس دولتة الى أن كانت المؤامرة الكبرى لقتلة على يد عبد الرحمن بن ملجم واذداد التفات الشيعة نحو ال البيت وتبع هذا الاثر أيضا استشهاد الحسين رضى الله عنه فى عهد يزيد بن معاوية الخليفة الثانى للدولة الامويـــــة وكان لهذا الحدث الاليم أثر كبير فى تاريخ الشيعة السياسى ٠

* وقفـــة وتأمـــل *

وهكذا يتبين لنا أن التشيع بدأ فى أول الامر طبيعيا متمثلا فى حب الامام على وال البيت فكان فى مبدأه حسنا ثم معتدلا ثم سار التشيع المعتدل طريقه نحو الغلـــو = حيث رأى بعضهم أن ال البيت العلوى لم

يأخذوا المكانة اللائقة بهم فى المجتمع الاسلامى فسرعان ماأصابهم الظلم والاضطهاد والقتل ٠

ومن هنا لم يكن التشيع على حالة واحدة نظرا لتطور الاحداث الجسام التى لاحقت بال البيت يقول **استاذنا الدكتور دويدار**٠ان من درس مذاهب فرق الشيعة فقد درس كل عقائدالعالم تقر يبا منسوبةالى الا سلام ٠

وقد ساعدت عوامل عديدة على ادخال العقائد البا طلة فى مذهب الشيعـــــــــة٠منها:-

١-كثرة الا ديان التى كانت تجو يها المنطقة كالزرادشتية والمانوية والمزدكية ٠٠٠وكل هذه ديانات لم تعرف التوحيد٠

٢-نشاط الحر كة العلمية فى هذه المنطقة قبل الا سلام حيث اختلطت الثقافات المختلفة وظهرت

**فـــان للامـــــه الاســــلاميه أن تعـــود لرشـــــدها وتعتصم بحبل الله المتين حتى تنجـــو مــــن ظلمــــات أعدائها وتكون لها ألخيريه كمـــا كانـــت مـــن قبـــل وصـــــــــدق الله اذ يقـــول (وأعتصـــموا بحبـــل

المدارس المتعددة كالرها ونصيبين وغير هما من المدارس النصر انية ٠

٣-ساعد ت الجاليات اليونانية المو جودة فى هذه البقاع على نشر ارائها ومدر سة الا سكندريةوالا فلا طونية الحديثةاكبر دليل علىهذا ٠

٤-حر كة التر جمة والتى كان لها اثر ها الكبير فى التعر ف على الثقافات المختلفة وما شابها من تحريف وتبديل للمفا هيم العلمية والا حداث التاريخة

٥- إن هذه المسائل المختلفة كانت تناقش من واقع دينى ٠

الله جميعـــا و لاتفرقـــوا ٠٠٠٠٠٠٠)(٢) وقـــال (

كنتم خير أمه أخرجت للناس تـــأمرون بـــالمعروف

وتنهـــون عـــن المنكـــر وتؤمنـــون بـــالله

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠)(٣)

---

(٢) سورة ال عمران الاية

(٣) سورة العمران الاية

الترجمة

يقول الجاحظ (إن خالد بن يزيد اول من أمر بالترجمة وقد كان شاعرا وفصيحا جامعا وجيد الراى ....الخ وكان يعى بحكيم ال مروان وقد علل فعله بقوله ما اطلب بذلك الا ان اغنى اصحابى واخوانى انى طمعت فى الخلافة فاختزلت بالحديث عن الاسباب التى صرفت الدولة الإسلامية عن الترجمة من قبل وقد عنى الخليفة أبى جعفر المنصور بهذه الترجمة ثم عبد الله بن المامون الرشيد بن محمد المدى بن جعفلر المنصور فداخل ملوك الروم واتحفهم بالهدايا الخطيرة فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب افلاطون واقراط ....الخ وتلك هى المرحلة الاولى فى العصر الاموى وأما الحكمة الثانية فقد تمثلت فى حركة التاليف فاشتهر رجال من امثال الخليل بن احمد وابو الاسود الدؤلى . واما العصر العباسى فدرات رحا الترجمة فيه فى جوانب ثلاثة :-

***من خلافة المنصور الى وفاة الرشيد** ومن اشهر المترجمين يوحنا البطريق وعبد الله بن المقفع ويوحنا

بن ماسوية . **والمرحلة الثانية** تمثلها عصر المأمون ١٩٨ ٠- ٣٠٠ ه . يعتبرعصر المأمون العصر الذهبى لترجمة الفلسفة الميتافيزيقيه **وهناك عدة عوامل رجعها الباحثون لترجمة الرجل** منها رغبته فى القيلس العقلى وتأثره بمذهب الاعتزال وقد انضم اليه فريق من المعتزلة وصرح باراء لم يكن لهم ان يصرحوا بها منها لا القول بخلق القران ولما كان الجدل حول القران وهو كلام الله يدور حول صفة من صفات الله ظن المامون ان فى الفلسفة الاغريقيه ضالته لاقناع خصومه بما ذهب اليه اذ هى بحث عقلى حول الاله وصفاته وقد عرفت اليه عند طريق ترجمة المنطق الارسطى سالفا. *ومنهم من رأى ان الأمر يرجع لشخصية الرجل فنشأته وثقافته لها الأثر فى عملية الترجمة .وقيل ان السبب الذى دعا المأمون الى نقل فلسفة ارسطو هو رؤية أرسطو فى المنام ودعاه الى الترجمة وربما كان الامر نهمه بالامر ورغبته فى الاطلاع على علوم اليونان .(٢٩)

---

[٢٩] الجانب الالهى د/البهى ص ١٧٤

ويبين د/ مدكور دواعى الترجمة بقوله

ويمكن أن يلاحظ أن الحركات العلمية فـــى الاســـلام سبقت الدراسات الفلسفية ولابد لنا أن نعيش قبـــل أن نتفلسف ويوم أن استقر العرب فى بلاد فارس ومصر لفتت نظرهم حركات علمية فى جنديســـارو وحـــران والاسكندرية فحاولوا أن يفيدوا منها وشغلوا أولا بمـــا تقتضية ظروف الحياة وانا لنرى خالـــد بـــن يزيـــد الاموى ٧٠٤ يعنى فى عهد مبكر بالكيمياء والطـــب والنجوم ودعا فى أثناء ولايته علـــى مصـــر بعـــض المتخصصين لترجمة رسائل فيها عـــن اليونانيـــة أو القبطية ويوم أن أتجه المنصور ٧٧٥ نحـــو مدرســـة جنديسابور التى اسسها كسرى أنوشروان أنمـــا كـــان يبحث عن أطباء لا عن فلاسفة وقد أهتدى الى بنـــى بختيشوع الذين كان لهم نشأة الدراسات الطبيه العربية وأسهام فى حركة الترجمة الكبرى وهذه الحركة مدينة بوجه خاص لرجال الصدر العباسى الاول فقد جعلوا من بغداد مركزا لحركة من أكبر حركات الترجمة فى التاريخ.

أشهر المترجمين

يقول د/مدكور عن المترجمين (٠المترجمون أنفسهم رواد فى ميدان البحث العلمى)[٣٠]

ابن المقفع فارسى الاصل نشأفى البصرة وكان والده زرادشتى ولم يسلم الا قبل موته ببضع سنوات : واهم مترجماته كتاب الارمنياس لأرسطو وكتب مانيس وابن دميان ومرقيون وكليلة ودمنة ٠[٣١]

حنين بن اسحاق وقام بترجمة النوامنيس والجمهورية لافلاطون والمنطق والاخلاق والطبيعة لارسطو وهو شيخ المترجمين فى الاسلام طبيب وطبيــب عيــون بوجه خاص وقد تخصص فى ترجمة كتب أبقفــراط ٣٧٠ق٠م وجالينوس ٢٠٠ وجمع منها اكبــر عــدد ممكن٠

---

[٣٠] في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ٠

[٣١] راجع المع بين ر اينئ لحكميين الفار ابى تعليق البير نصرى ص ٥٥ ط دار المشرق

ثابت بن قرة صابئى من اهل حران انتقل الى مدينة بغداد واستوطنها اشتهر بعلم النجوم والطب والفلسفة اتصل بمحمد بن موسى بن شاكر وقام بترجمة الطب والرياضات كذلك وضع ست عشررسالة بالسريانية تدور حول المجسطى واصول اقليدس ٠ فهورياضى ومترجم ويكاد يتخصص فى ترجمة كتب أقليدس ٢٨٥ق٠م

الحجاج بن مطر في عهد المونترجم المجسطىفى الفلك لبطليموس وفسر الحجاج للمامون ىالكتب الفلسفية

قسطا بن لوقاالبعلبكى ٨٢٠- ٩٠٠ مكىاصله يونانى ولد في بعلبك وكان نصرانيا اتقن العربية واليونانية والسريانية واجاد النقل احضر كتبا كثيرة من بلاد الروم ثم ذهب الى بغداد حيث اقام ينقل ترجم شرح الاسكندر الافروديسى وعهد اليه ترجمة اراء الفلسفة فى الطبيعة وبلتارجورس ومن اثاره رسالة فى الدم ورسالة فى البلغم ورسالة فى الامدخل الى المنطق

يحي بن عدى وقد خلف كتبا كثيرة فى الطب والرياضيات والاخلاق كذلك ترجم كتاب ما بعد الطبيعة لارسطو

ابو على بن زرعة ولد في بغداد كان يعقوبى المهب لازم يحي بن عدى وكانم احد المتقدمين في المنطق وعلوم الفلسفة [٣٢] وقام بترجمة كتاب المنقولات وكتاب سفوطيقا وكتاب الحيوان وخمس مقالات من كتاب نيقولاوس فى فلسفة ارسطو ومقالة فى الاخلاق

أخطاء المترجمين وآثارها ٠

ان حركة الترجمة من المترجمين لم تنفك عن تحريف وتبديل محوج الى تفسير وتاويل حتى اثار ذلك ايضا وقد نسب اتلى ارسطو نفسه مؤلفات عديدة ليست من فلسفته وتلك من الاخطاء التى وقع فيها المتلرجمون ٠ككتاب التفاحة ٠٠٠٠وغيره ومن هنا فالترجمة تحتاج الى اتقان اللغة المترجم منها ثانيا اتقان اللغة

[٣٢] الفهرست ابن النديم ٣٦٩ وما بعدها ٠

المترجم اليها ثالثا المعرفة بالمادة المترجمة وكثير من المترجمين لم تكن تتوافر فيهم هذه الشروط ٠فقد أصلح الكندى ترجمة كتاب الربوبية المعزو الى أرسطو وقد مضى بنا ماكان من محاولة الجمع بين الحكميين من الفارابى اعتمادا على ترجمة كتاب التاسوعات الذى يعزى لأفلوطين(التاسوعة الرابعةوالخامسة والسادسة لأفلوطين) وليس إلى أرسطو ٠ [٣٣]المرحلة الثالثة استمرت نصف قرن على وجه التقريب٠[٣٤]

---

[٣٣]التفكير الفلسفى فى الاسلام دعبد الحليم محمود ص ٢٠٤ وما بعدها ط دار المعارف ٠
[٣٤]تاريخ الفكر الفلسفى د/ ابو ريان ٩٤ وما وبعدها ٠

الكندى

فيلسوف العرب

أولا- نسبه:

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكنــدي فيلســوف العرب وأحد أبناء ملوكهاوهو فاضل دهــره وواحــد عصرة في معرفة العلوم القديمة بأسرها والمشتهرفي الملة الإسلامية بالتبحر في فنون الحكمة اليونانيــة و الفارسية والهنديـــة ويرجع بسبة ألي يعــرب بــن قحطان من عرب الجنوب ويمتد نسبة ما بين الجاهلية والاسلام وهمزه الوصل بينهما هو الاشعث بن قــيس الذي عــاش علي يدة وتعتبر أسرتة ســليلة الملــك أجداده وسادو في أنحاء المعمورة منهم سبـــــأ بن يعرب بن قحطان وكان أول من ملــك مــن ملــوك العرب وساد في الأرض وسبي السبايا ثم كــان مــن ذرية قبائل عديدة ...

تضاربت ديانة ملوك اليمن فكـانوا تـارة يعبـدون الاصنام ثم دانوا بدين اليهود وتلوا التورة . وقعت بين الكندة وحضر موت حروب أفنت عامتهم وشمل أهل اليمن التفريق وأدي ذلك بأن سارت كندة الي معـد .
ومن مفاخرهم التى دكرها الفرج الأصفهاني مما يدل علي سلالتهم الملكية ما قررة الاشعث بن قيس امـام كسري ملك فارس حيث نطق بلسان قبيلتة قائلا:-
" لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثـر وقـديم زحفها الأكبر وأنا غياث اللز بات فسئل لم يـا أخـا كندة؟ فأجاب بأنا ورثنا ملك كندة فاسـتظللنا بافيائـة وتقلد نا منكبنا وتوسطنا بحبوحة الأكرم"

مولده- نشأته:

ولد الكندي أواخـر حياه أبية وتربي في بيت الامارة بالكوفة حيث كان يعيش والدة فنشأ في أعقاب تـراث من ا لسؤدد والغني وفي حضن اليتم وظل الجاة ولما توفي أبوة عادت بة أمة الي بيتها الأول بالكوفة. وقد كانت بغداد لينهل من علومها. ابن نباتة المصري :-

" أشتغل الكندي بعلم الأدب ثم بعلوم الفلسفة جميعهـــا فاتفقنا ..... وجم عددا كثيرا من الكتب أ لـــي لســـان العرب منها كتاب بطليموس الفلكي " الجغرافيا فـــي المعمور من الأرض" ويعزي الية اعـــادة وترجمـــة كتاب (فقة أرسطـــو)اثيولوجيا مصححا ما ترجمـــة ا لسريان حولة كما درس الفلسفة اليونانية والفارســية والهندية والهندسية والطب والجغرافيا . ذكر له ابـــن النديم عددا كثيرا من الكتب بلغـــت حـــوالي مـــائتين وثمانية وثلاثين كتابا ورسالة وكانـــت لـــة معرفـــة بالموسيقى وقد ذكر القفطى قصة لة تبين مدي معالجة للمرضي بالموسيقي عن طريـــق معالجـــة الـــنفس بالأصوات الهادئة وغيرها وقد كانت هذة الطريقة عند الفارابي أيضا كما سياتي ذكــــره وكانـــت متابعـــة الكندي لأراء المعتزلة سببا في محنته التي لاقاها علي يد المتوكل فقد اضطهد في زمنه وصودرت كتبة مدة طويلة في خزانة تسمي الكندية ا لي أن استردها.

وتفضيل ذلك – أن الكندي كان من قادة الاعتزال ولة الدفاع عن العقيدة مواقف مشهورة أجلها الرد علـــى

بعض الفرق (الدهريه) التى كانتَ تـذكر الرسـالة الالهية على أساس الاكتفاء بالعقـل الانسـانى فـى الارشاد - الى جانب أحياء المتوكـل لاراء هـذا الحديث أو النص القرانى والحديث النبوى لذلك حمل فى قسوة على كل من يخالف أمره فلم يجد الكندى بدا من فراره من بغداد الى أطراف المملكة الاسلامية - فاذا اضفنا الى ذلك الوشايات العديدة ضد الكندى ٠

يقول الطبرى :ـ

أن محمد بن موسى المنجم عمل بعد موت المعتصم على ابعاد أحمد بن المعتصم عن الخلافـة لان أحمد كان صاحب الكندى الفليسوف أما محمد وأحمد بـن موسى بن شاكر فقد أخذا يكيدان للكنـدى فـى أيـام المتوكل حتى أغضبا المتوكل عليه وحدث ماكان من المصادرة لمكتبته وخروجه خارج بغداد ٠٠٠٠وهكذا دفع الكندى ضريبة قربه من الامـراء بخسـا لحقـه واهدار لقدرته ومكانته بيد أن هؤلاء لم يتفهموا قدرة الكندى ومكانته فلم يكن هدفه جمـع المال أو نيـل الشهره أو كسب منصب فى قصر الامراء فتلك أمور

أكتسبها عبر مراحل حياته فهو سليل الملك والثراء والعلم ٠

أثار الكندى :ـــ

أثرى الكندى المكتبة الاسلامية وغيرها من مكتبات العالم بتراث هائل من الكتب والرسائل وقد ذكر بن النديم له حوالى مائتين وثمان وثلاثون كتابا ورساله كما زكرنا من قبل وذكر له القفطى مثل ذلك تقريبا وقد ألف الكندىفى شتى العلوم مما يدل على سعة افقه وذكاء عقله وكان قصده من مؤلفاته تقريب مختلف العلوم والمعارف الى تلاميذه المتوثبين للمعرفه ، ويغلب عليهاالروح التعليمية من نحو وضع المقدمات والاستنتاج منها والسير بالقارئ على مهل وتذكرة على مهل وتذكيره بالمقدمات الاولى بين حين وأخر ويقسم أبن النديم هذه الكتب إلى أنواع بحسب موضوعاها فيقول

١_ كتبه الفلسفية ٢_ كتبه ألمنطقيه ٣- كتبه الحسابيان

٤- كتبه الكريات ٥- كتبه الموسيقيات ٦- كتبــه النجوميــات٧- كتبــه الهندســيان٨ - كتبــه الفلكيات٩- كتبه الطبيبــات١٠- كتبــه الاحكاميــات ١١- كتبه الجلديات ١٢- كتبه النفســيان١٣- كتبــه السياســيات ١٤- كتبــه الإحــداثيات ١٥- كتبـــة الابعاديــات١٦- كتبــه التقــدميات ١٧- كتبه الانوعيات٠

*ويمكننا أن نشير إلى تفصيل لبعض مؤلفاته :-

فمما ألفة في الفلسفة كتاب الفلسفة الأولي فيما وراء الطبيعيات والتوحيد ورسالة في أنة لا تنال الفلسفة الا بعلم الرياضيات . وهنا نشير الي ولعة بالرياضيات والتي يبني عليها أغلب نظرياتة الفلسفية ....

وفي المنطق ؛ رسالتة في مدخل المنطق ورسالتة في المقولات العشر...

وفي الفلك؛؛؛ رسالتة في المناظير الفلكية ....

وفي الطب ؛؛؛ رسالتة في الغذاء والدواء المهلك....

وفي الجدل؛؛؛ الأحتراس من خداع السوفسطائية...
وفي النفس؛؛ رســالتة فــي أن الــنفس جــوهر بسيط...
ورسالتة في ما النفس ذكرة وهــي في عالم العقــل قبل كونها في عالم الحس
وفي الأخلاق – رسالتة في الأخلاق ...
وفي الأبعاد– كتاب الالة التى تستخرج بها الأبعــاد والأجرام .
ومع كل فان معظم هذ ه المؤلفات فقد ولم يوجد الا اليسير كما يرى معظم المحققين .

وفاتـــه :-

بعد هذه الحياة الحافلة بالعلم وأعمال العقل . نتج عنها تراثا ملا مشارقالأرض ومغاربها . للكندي ما بين ترجمات وكتب ورسائل ؛ وكانت النهايةالحزينة للكندي فقد فرالي أطراف المملكة الإسلامية بعد اضطهاد من المتوكل؛ وبقالب انه لم يعثر منذ الحين علي كسب بقية شرور الأيام ولذا مات في حالة سيئة ؛ معتكفا اعتكافا تاما الي أن وافتة المنية........

ويرجع المؤرخون أن تكون وفاتةكما ذكر المرحوم الأستاذ الأكبر مصطفي عبد الرازق في كتاب فيلسوف العرب والمعلم الثاني مرجحا أن تكون وفاتة سنة ٢٥٢ ه -

حدوث العالم

قبل ان نبين وجهة الكندى الكلامية فى هذه الموضوع نحب أن ننبه إلى مسالة القدم والحدوث عند المتكلمين والفلاسفة فنقول ان المتكلمين قد ذهبوا الى ان ما عدا الله تعالى مسبوق بالعدم سبقا زمانيا بينما الفلاسفة يرون انه مسبوق بالعدم سبقا بالذات الى ما عداه غير مسبوق بالعدم الاسبقا بالذات ٠فلا حادث بدون محدث عند الفلاسفة فلا توجد ذات معطلة عن الفعل لم تفعل ثم فعلت فان المتكلمين يرون لان هذا الامر لايدل على قدجم شئ بعينه من العالم لا الافلاك ولاغيرها وانكما يدل على انه تعالى لم يزل فعالا واذا قدر انه فعال لافعال تقوم بنفسه او مفعولات حادثة شيئا بعد شيء كان ذلك وفاء

بموجب هذه الحجة مع القول بان ما سيوى الله تعالى محجدث مخلوق كائن بعد ام لم يكن ٠ ٣٣

يقوم دليله على تحديد معنى الزمان والحركة فكل ما فى العالم (متحرك والزمن عدد الحركة بحساب المتقدم والمتاخر فاذا كانت حركة كان هناك زمان واذا لم تكن حركة لم يسكن زمان والحركة هلا حركة الجرم٣٤ فإن كان ثمة جرم كانت حركة وإن كانت هناك حركة كان زمان ومن ثم فالجرم

---

[٣٣] راجع منهاج السنة لابن تيمية ج١ ص٢٦ ٠

[٣٤] يذكر الكندى فى جواهره الخمس ان الجرم ماله ثلاثة ابعاد واطلق فيما بعد على الاجرام السماوية وحصره المتأخرون فى الجسم وابعاده هى الطول والعرض والعمق٠والحركة تبدل حال الذات وتنقسم الى ستة انواع ١- الكون ٢- الفساد ٣(الجوهر)- الاستحالة ٤(الكيف) - الربو - ٥- الاضمحلال ٦(الكم)- النقلة من مكان الى مكان(دائرية ومستقيمة ٠والزمان :- مدة تعدها الحركة عغير ثابتة الاجزاء فالادراك لالاوانه الحاضرة يعنى ان الزمان له مبدأ وهويدل على تناهى الجرم والحركة والزمان ٠

والحركو والزمان لايبق بعضها بعضا فى الوجود اذهى معا ،ومن ثم لايغقل ان ان يكون زمان بالفعل لانهاية له ذلك ان الجرم المتحرك متناه ومن ثم قحركته متناهية واما بلالقوة فيجوز بحيث ان نتوهم امكان وجود ماهو اعظم منه فلا نهاية فى التزيد من جهة الامكان اذالامكان عو القوة وإذن فاعتبار الزمان لامتناهيا فمن حيث القوة ولما كان الزمان فى حقيقة امره متناهيا فلا بد ان يكون له بداية ومادام هو مقياس الحركة وإن الحركة لايمكن أن تكون بدون الموجودات المتحركة التى هى مجموع موجودتات العالم فاذا تكون الحركة محدثة والعالم محدث ٣٥، ومنهذا المنطلق فقد خالف الكندى آراء الآرسطو فيما ذهب اليه من القدم وعضد كلامه بفكرة التناهى منطلقا من روية المتكلمين حول هذا الامر تناهلا الزمان وتناهى الاشخاص فهو يقول فى رسالته فى وحدتنية الله وتناهى جلرم العالم الانتهاء

---

[٣٥] تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام د ابو ريان ص ٢٢٨ ط دار المعرفة الجامعية ،

الى زمن محدود دومجود فليس الزمان متصلا مما لانهاية له بل من نهاية اضرارا فليس مدة الجرم بلا نهاية وانية الجرم متناهية فيمتنع ان يكون جرم لم يزل فتالجرم اذن محدث اضطرارا واتلمحدث محدث اتلمحدث ....)

وقد اكد الكندى تناهى جرم العالم فى مقدمات نجملها لافيما يلى :-

*كل الاجرام التى ليس منهل شئ اعظم من شى متساوية

*والمتساوية المتجانسة أبعاد ما بين نهاياتها واحدة بالفعل والقوة - وذو النهاية ليس لانهاية له .

*وكل الأجرام المتساوية اذا نيد عليها واحد منها جرم كان اعظمها وكان اعظم مما كان من قبل ان يزاد عليه ذلك الجرم .

*وكل جرمين متناهى العظم اذا جمعا كان الجرم عنهما متناهى العظم. وبعد..........

فأن الكندى يفترض ان هناك جرما لانهاية له فان كان الباقى متناهى العظم اذا زيد عليه المفصول

١- قياس أحد التماثلين على الآخر فى الحكم يحيها الذى انشأها اول مرة قياس الإعادة على النشأة •

٢- ظهور الشئ من نقيضه كظهور النار الحارة من الشجر الأخضر الرطب وهذا امر يقع تحت حس الانسان •

٣- بيان أن إعادة الإنسان واحيائه مرة ثانية اهون من خلق السماوات والارض

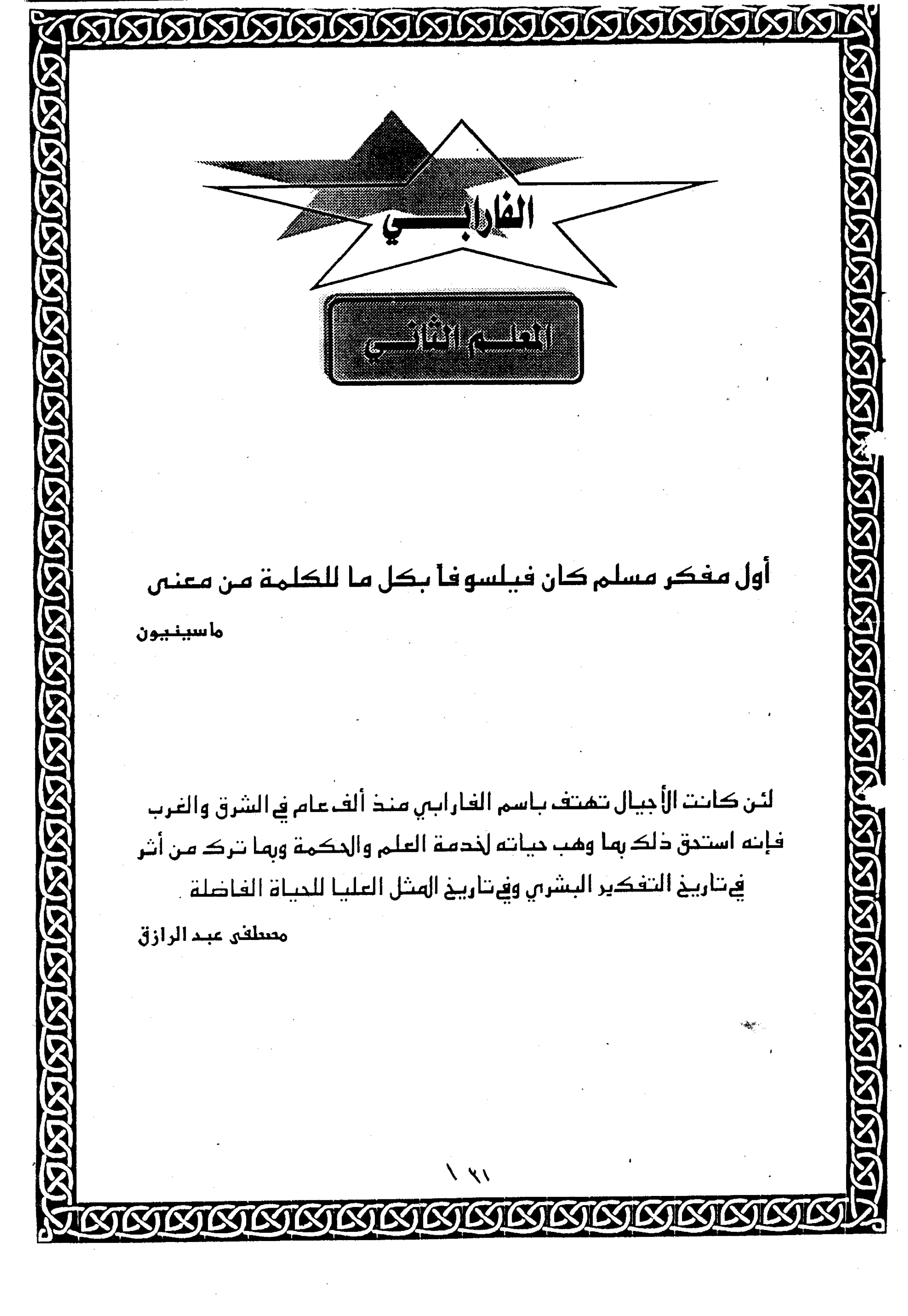
٤- بيان أن القدرة المطلقة تتوجه إلى جميع المقدورات دون تفريق حين تتوجه الإرادة لذلك •

٥- بيان أن الفعل الإلهى لايخضع للزمان لأن قدرته تعالى فوق الزمان[38] •

فالكندى لايقف عند الحس والعقل بل يثبت الوحى الإلهى ومنهجه متسم ومتفق مع تعاليم الإسلام ••

---

[38] راجع رسائل الكندى الفلسفية ص ٥٦ – وما بعدها •



أول مفكر مسلم كان فيلسوفاً بكل ما للكلمة من معنى

ماسينيون

لئن كانت الأجيال تهتف باسم الفارابي منذ ألف عام في الشرق والغرب فإنه استحق ذلك بما وهب حياته لخدمة العلم والحكمة وبما ترك من أثر في تاريخ التفكير البشري وفي تاريخ المثل العليا للحياة الفاضلة .

مصطفى عبد الرازق

الفارابــــي

(٢٥٩ – ٣٣٩)

****

حياتـــــه :-

(١) نسبه : هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان " الملقب بالمعلم الثاني الشهير بالفارابي فاسمه محمد ، وكنيته أبو نصر ولقبه المعلم الثاني .

اختلف المؤرخون في نسبه خاصة في ذكر نسبه واسم أبيه لكنهم اتفقوا على أن اسمه محمد . ويشتهر بالفارابي نسبة إلي ولاية فاراب وهي إقليم كبير وراء نهر جيحون على تخوم بلاد الترك . وأتفق أغلب المؤرخين على أنه تركي الأصل ولكن ابن أبي أصيبيعه في كتابه طبقات الأطباء . يذكر أن أباه كان فارسي الأصل تزوج من أمرأة تركية وأصبح قائداً في الجيش التركي . ويجمع ذلك المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق قائلاً (لا سبيل إلي تحقيق نسبه من هذه الناحية لتقارب البلدين واشتراك الأعلام فيهما .)وكانت أسرته على جانب كبير من الرخاء فقد كان أبوه قائد جيش وأثر ذلك فيه فنشأ شجاعاً صابراً على احتمال متاعب الدرس ومشاق الأسفار وشظف العيش مما يشعر أنه سليل أبطال .

مولده – نشأته

لا يكاد يذكر المؤرخون شيئاً عن مولد الفارابي وفترة شبابه وذلك راجع : لأن المعلم الثاني لم يترجم لنفسه كما صنع بعض مفكري الإسلام وكذا لم يفعل ذلك أحد من تلاميذه . فإذا أضفنا إلي ذلك أسفار الرجل وتنقله من مكان الى مكان إزداد الأمر غموضاً ولكن المؤرخين لم يذكروا عن رحلاته إلاّ ما وقع منها بعد بلوغه سن الخمسين ،ولولا أن ابن أبي خلكان

ذكـر أنـه توفـي سـنة ٣٣٩ هـ وقـد ناهز الثمانين سنة لما أمكن استنتاج تاريخ مولده إلاّ ظناً :

رحلات الفارابي العلمية :

* رحـل الفـارابي فـي سـن متأخرة إلي بغداد مدينة العلم وكان عمره حينئذ يـناهز الخمسـين فـي سـنة ٣١٠ هـ . فلم يدرس الفلسفة في بداية أمره وإنما بـدأ يحضـر دروسـاً للمـنطق على يد أبي بشر بن متى إمام المناطقة بعد أن أتقـن الـلغة العـربية كمـا درس المـنطق أيضاً على يد يوحنا بن حيلان في حـران المـتوفي بمديـنة السـلام في أيام المقتدر ثم كانت مرحلة نضجه العقلي والـتأثير فيمـن يتـلقي بـه ، وقـد فاق الفارابي من أخذ عنهم وتفوق عليهم . فقـد كـان رجـلاً متطـلعاً لاستكشـاف المجهـول وكـان من وسائله في ذلك الـرحلات والأسـفار مـن بـلدته فاراب إلي بغداد ومنها إلي حران ثم عاد إلي بغـداد ثانيـة وسـافر إلـي دمشق وإلي مصر وتنعم في حلب بظل سيف الدولة بـن حمـدان حيـث ارتـقى فـي مجلسـه وفاق مجالسيه من العلماء (لغويين وأدبـاء وفلاسـفة) وكـان مكـثه فـي بغـداد ما يقرب من عشرين عاماً كان ثمرتها نضجاً عقلياً ومؤلفات عديدة .

علاقته بسيف الدولة :

يـروي ابـن خـلكان قصـة يـبين مـن خلالها تميز العلاقة بين سيف الدولة والفـارابي : فتـلك الـبقاع كـان مشهوراً فيها تقريب العلماء من كل فن وكان ينـبري كـل واحـد مـنهم فيما لديه من علم ، فلما ورد أبو نصر الفارابي على سـيف الدولـة وكـان مجلسـه يجمـع الفضلاء في جميع المعارف فأدخل عليه وهـو بـزي الأتـراك وكـان ذلـك زيـه دائماً فقال له سيف الدولة أقعد فقال حيـث أنـا ، أم حيـث أنـت ؟ فقـال حيـث أنت .فتخطى رقاب الناس حتى

انتهى إلى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أفرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسايرهم به قلّ أن يعرفه أحد فقال لهم بذاك اللسان .

* إن هذا الشيخ قد أساء الأدب وإني سائله عن أشياء إن لم يوف بها فاخرجوا به . فقال أبو نصر بذلك اللسان أيها الأمير اصبر فإن الأمور بعواقبها . فعجب سيف الدولة منه وقال له أتحسن هذا اللسان ؟ فقال أحسن أكثر من سبعين لساناً ، فعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يقل حتى صمت الكل وبقى يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما يقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له : هل لك في أن تأكل ؟ فقال لا ، فهل تشرب فقال لا فهل تسمع ؟ فقال نعم .ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيداناً وركبها ثم لعب بها فضحك كل من كان في المجلس . ثم فكها وركبها تركيباً آخر ثم ضرب بها فبكى كل من كان في المجلس . ثم فكها وركبها وغير تركيبها وضرب بها ضرباً آخر فنام كل من في المجلس حتى البواب فتركهم نياماً وخرج . وعلى افتراض صحة هذه القصة فإنها تبين ماللفارابي من قوة علمه وأداء فكري واسع النطاق .

الفيلسوف الزاهد

لا شك أن حياة الأمراء حياة مترفة وقد كان الفارابي مقربا لسيف الدولة ومع ذلك لم يكن بالرجل الذي تغريه مظاهر الدنيا والجاه بل إنه قضى حياته كلها في شظف من العيش وكان يكسب قوته بعمل يده وكان يستطيع أن يستمتع برفاهية العيش بجوار سيف الدولة لكنه لم يتناول منه إلاّ أربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاج إليه من ضرورة العيش .

وهو في هذه المكانه كان لا يرى غالباً إلاّ عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ويؤلف هناك كتبه ويتناوبه المشتغلون عليه كما ذكر ابن أبي خلكان وغيره .

التصوف عنده

* والتصوف عنده يتخلل مذهبه وعبارات المتصوفه شائعة تقريباً في كل أقواله . وكأن التصوف عنده ليس نظرية من النظريات وإنما هو حالة ذاتية .

علاقته بالتراث اليوناني خاصة (أرسطو) يرجع تسمية الفارابي بالمعلم الثاني لمكانته الهائلة والكبيرة في عكوفه على التراث الأرسطي شارحاً ومعلقاً ومتابعاً لأكثر النظريات الأرسطية حتى لقد اعتبر أكبر الفلاسفة من بعده وأعظم ناشر وموضح لآرائه . ولما كان أرسطو يلقب بالمعلم الأول لذلك أطلق على خليفته في علم الفلسفة وناشر أرائه المعلم الثاني . وهناك آراء أخرى ترى أن السبب راجع لترجمته كتاباً لأرسطو يسمى بالتعلم الثاني وهذا مردود لأن الكتاب لم يكن معروفاً للناس فكيف يلقب الفارابي بلقب مشتق من اسم كتاب غير معروف ؟

* وهذا رد على صاحب كشف الظنون فيما ذهب إليه وهناك رأي ثالث يرى أن ذلك رأجع لجمع الفارابي الآراء الفلسفية في كتاب يسمى التعلم الثاني بناء على رغبة المنصور بن نوح الساماني وفي هذه الرواية خطأ تاريخي واضح لأن المنصور بن نوح قد ولي خراسان سنة ٣٤٣ هـ أي بعد موت الفارابي بنحو أربع سنين .

* بدأ الفارابي بفلسفة أفلاطون فعرف بغرضه منها وسمى تأليفه فيها ثم اتبع ذلك بفلسفة أرسطوطاليس وبدأ يصف أغراضه وشتى مصنفاته .

ولعل في محاولته الجمع بين رأيي الحكيمين – أفلاطون أرسطو ما يبين لنا نهمه لهذا التراث الفلسفي اليوناني على الرغم من اعتماده على كتاب منحول خطأ إلى أرسطو وهو كتاب الربوبية والذي اعتقد خلافاً للواقع أنه لأرسطو وهو من تاسوعات أفلوطين كما حاول من خلال كتاب أرسطو السماء والعالم أن يؤكد قول المعلم الأول بحدوث العالم ، بناء على أن الكل ليس له بدء زماني والزمان ما هو إلا عدد حركة الفلك ووجود الفلك إذن خارج عن الزمان وهذا إجمال يرجع إليه في موضعه إن شاء الله.
وخلاصة الأمر أن الفارابي عكف على مؤلفات أرسطو فمحصها وكشف عن غامضها فاستحق أن يلقب بالمعلم الثاني .

تجاربه الحياتية : يرى د/ السبهي أنه كان يميل إلى الميتافيزيقا لأنه كان من أتباع مدرسة مرو وأنه أخذ قسطاً من ثقافته بالتلمذة أو الصحبة لعلماء مسيحيين منطقيين وأنه غلب على حياته الزهد والتصوف والميل إلى الناحية الروحية .

آثار الفارابي الفكرية

تعتبر الحقبة التي قضاها الفارابي متنقلاً بين بغداد ودمشق من أرقى فترات حياته ونضجه العقلي ، ففيها ألف معظم كتبه كما يذكر ذلك ابن خلكان في وفياته وبلغت مؤلفات الفارابي من الكثرة ما جعل المستشرق الألماني (ستينشنيدر) يخصص لها مجلداً ضخماً ولكن فقد عدداً كبيراً من كتبه ورسائله وبقي منها كما يذكر بروكلمان أربعون رسالة منها اثنتان وثلاثون رسالة بالخط العربي مترجمة إلى العبرية ورسالتان وصلتا إلينا مترجمتين إلى اللاتينية .

* أمـا عـدد مصـنفاته فقـد بـلغت عـند بعـض المحققين إلى مائة وثمانية وعشـرين كـتاباً ورسـالة وهـي في كل فن تقريباً – ثم أنها تنقسم طبيعياً إلى قسمين :–

(أ) قسم هو شرح أو تعليق أو بيان لأراء أفلاطون وأرسطو .

(ب) قسم هو تأليف شخصي للفارابي .

<u>ومن أشهر مصنفاته :-</u>

١– مقالـة فـي أغـراض الحكيـم فـي كـل مقالـة مـن الكتاب المرسوم بالحروف وهو تحقيق غرض أرسطاليس في كتاب ما بعد الطبيعة .

٢– رسالة في إثبات المفارقات .

٣– شرح رسالة زينون الكبير اليوناني .

٤– رسالة فيما يجب معرفته قبل تعلم الفلسفة .

٥– رسالة في مسائل متفرقة . ٦– رسالة في العقل

٧–رسالة فيمال ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة .

٨–عيون المسائل . ٩–كتاب الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون وأرسطو.

١٠– كتاب تحصيل السعادة. ١١– كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة .

١٢– كتاب السياسة المدنية . ١٣– كتاب الموسيقى الكبير .

١٤– فصوص الحكم . ١٥– التنبيه على سبل السعادة .

١٦– كتاب المنطق . ١٧– فضيلة العلوم والصناعات .

وغير ذلك من المؤلفات المفقودة .

* عمت كتب الفارابي مشارق الأرض ومغاربها – خاصة في القرنين الرابع والخامس الهجريين وانتقلت إلي الأندلس في المغرب فتتلمذ عليها كثير من

الأندلسيين وترجم بعضها إلي اللغة اللاتينية وكذا إلي العبرية . واستأثرت مكتبات أوربا بمخطوطات الفارابي سواء المترجمة إلي العبرية أو غيرها .

كما امتد أثرها إلي الإسكولاتية والمسيحية وترجم قسط كبير منها إلي بعض اللغات الأوربية .

وقد كان لمؤلفات الفارابي وابن سينا أثرها في المؤلفات الفلسفية التي خلفها إبراهام بن داود الطليطلي (٥٠٣هـ/ ١١١٠م – ٥٧٥هـ/ ١١٨٠ م) الذي حاول أن يوفق بين كتب اليهود المقدسة وفلسفة أرسطو .

ولم يقدر لكتب الفارابي حظ الانتشار الواسع بالرغم من كثرتها مثلما كان لابن سينا ، ولعل ذلك راجع إلي أن أكثر مؤلفاته تقع في رقاع منثورة وكراريس متفرقة إلي جانب ذلك لم يترك من الكتب الطويلة والرسائل المفصلة إلاّ القليل الذي لا يلفت النظر ، ولعل ذلك يكون واضحاً إذا علمنا أن ابن سينا لم يكن يعلم أن للفارابي كتاباً يسمى أغراض ما بعد الطبيعة ، يشرح فيه غموض أرسطو في كتابه ما بعد الطبيعة والذي قرأه أكثر من أربعين مرة فما فهمه إلاّ بعد ذهابه لسوق الوارقين ببغداد وشرائه من دلال بثلاثة دراهم ، فيقول (وإذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوارقين (سوق الكتب) وبيد دلال مجلد ينادي عليه فعرضه علي فرددته رد متبرم معتقداً ألا فائدة من هذا العلم فقال لي اشتر هذا مني فإنه رخيص ابيعكه بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج إلي ثمنه فاشتريته فإذا هو كتاب أبي نصر الفارابي – في أغراض ما بعد الطبيعة ، ورجعت إلي بيتي وأسرعت قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظاً عن ظهر قلب وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يوم

بشـــئ كــثير عــلى الفقراء شكراً لله تعالى ، وهذه القصة تدلنا أيضا على مدى تعمق الفارابي في كتب أرسطو وفضل الفارابي على ابن سينا .

أسلوبه :

يمــتاز اســلوب الفــارابي بالوضـــوح والجـــلاء إلي جانب ذلك فهو يجمع بين المــتقابلات كمـــا جـــاء فـــي رســـالة في جواب مسائل سئل عنها ويعمم ويرتب ويؤلـــف بيـــن آرائـــه كمـــا يحـــلل ويركب ويفرغ ويركز ويصنف كل فن تحت مصـــنفه . وخيـــر دليـــل عـــلى ذلـــك أســـلوبه في رسالته المسماة ما ينبغي أن يقـــدم قـــبل تعـــلم الفلســـفة . فهـــي أشبه ما يكون بفهرس مقسم مبوب لعرض المدارس الفلسفية اليونانية مبيناً مصدر تسميتها وأسماء رؤسائها .

وفاته : ٣٩٣هـ

وإذا كـــان لكـــل بـــدء نهايـــة فإن نهايته كما يذكر معظم المؤرخين أن الفارابي قـــد توفـــي وفـــاة طـــبيعية بدمشق سنة ٣٩٣هـــ وأنه دفن بظاهر دمشق خارج الـــباب الصـــغير . وخـــالف فـــي ذلـــك البيهقي في كتابه تاريخ حكماء الإسلام فذكـــر أن بعـــض اللصـــوص قتـــلوه فـــي أثناء رحلته من دمشق إلي عسقلان ولكـــن هـــذا الكـــلام مـــردود كمـــا أشـــار إلـــي ذلـــك الأستاذ المرحوم الشيخ مصـــطفى عـــبد الـــرازق فـــي كـــتابه فيلسوف العرب والمعلم الثاني قائلاً (إنه لـــو صـــحت حكايـــة قـــتل الفارابي لأشار إليها من ترجموا له ممن كان زمنهم قريـــباً مـــن زمـــنه كـــأبي الحسن علي المسعودي المتوفي سنة ٣٦٤هـــ / سنة ٩٥٧م عـــلى أنـــنا لاحظـــنا فـــي ترجمة البيهقي خلطاً تاريخياً يزعزع الثقة بها . وهـــذه الـــرواية تشـــبه أن يكـــون نقـــلاً لمـــا رواه المؤرخون عن مقتل أبي الطيـــب المتنـــبي الشـــاعر المشـــهور فـــي أثـــناء عودتـــه من بلاد فارس إلي العراق سنة ٣٥٤هـــ .

إلـــي جـــانب ذلـــك فـــإن البيهقي قد خلط أيضاً في رواية أخرى تتعلق بالفارابي وصلته بالصاحب بن عباد .

* ومـــن هـــذا يتـــبين لـــنا أن الفارابي توفي وفاة طبيعية وهو في جوار سيف الدولـــة أثـــناء حملـــته عـــلى دمشق وقد بلغ من العمر ثمانين عاماً وصلى عليه سـيف الدولـــة فـــي نفـــر مـــن خاصته عرفاناً بمكانته ، وبذلك انطوت صفحة الفارابي التاريخية وما زال تراثه عذباً يستقى منه كل أناس مشربهم .

(أ.هـ)

الفارابى

خلق العالم

ظرية العقول العشرة

يقول الفارابى [٣٩](ويفيض من **الاول** وجود الثانى فهذا **الثانى** هو ايضا جوهرغير متجسم اصلاولاهو فى مادة فهو يعقل ذاته • ويعقل الا ول وليس ما يعقل مـــن ذاته هو شىء غير ذاته فبما يعقل من الا ول يلزم عنـــه **وجود ثالث** وبما هو متجوهر بذاته التى تخصه يلزم عنه وجودالسماء الاولى والثالث ايضا وجوده لافى ماده وهو بجوهرة عقل وهو يعقل ذاته ويعقل الاول فبما يتجوهر به من ذاته التى تخصه يلزم عنه وجود كرة **الكواكب الثابته** وبما يعقله من الاول يلزم عنه **وجود رابع** وهذا ايضا وجوده لافى مادة فهو يعقل ذاتـــه ويعقل الاول فبما يتجوهر به من ذاته التى تخصه يلزم عنه وجود **كرة زحل** وبما يعقله من الا ول يلزم عنه وجود **خامس وهذا الخامس** ايضــــا وجوده لا فى مادة

[٣٩] راجع كتاب اراء أهل المدينه الفاضلة ،للفارابى

فهو يعقل ذا ته ويعقل الاول فبما يتجوهر به من ذاته
يلزم عنه وجود كرة المشترى

** وبما يعقله من الاول يلزم عنه **وجود سادس** ·
وهــذا ايضا وجوده لا فى مادة وهو يعقل ذاته ويعقل الاول
فبما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجــود **كرة المريخ** وبما
يعقله من الاول يلزم عنه **وجود سابع** وهذا ايضا وجوده لا
فـــــى مادة وهو يعقل ذاته ويعقل الاول فبما يتجوهربه
من ذاته يلزم عنه وجــود **كرة الشمس** وبما يعقل من الاول
يلزم عنه **وجود ثامن** وهو ايضا وجوده لا في مادة فبما
يتجوهر به من ذاته التى تخصه يلزم عنه وجود **كرة
الزهرة** وبما يعقل من الاول يلزم عنه **وجود تاسع** –
وهذا ايضا وجوده لا فى مادة فهو يعقل ذاتــــه ويعقل
الاول فبما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود **كرة عطارد**
وبما يعقل من الاول يلزم عنه **وجود عاشر** وهذ ايضا
وجوده لا فى ما دة فهو يعقل ذاته ويعقل الاول فبما
يتجوهــر به من ذاته يلزم عنه وجود **كرة القمر** وعند
كرة القمر ينتهى وجود الا جسام السماوية والتى هى
بطبيعتها تتحرك دورا

قبل إن نتكلم عن هذه النظرية عند الفارابى ينبغى إن نعود الى زعيم المشائية لنطالع رايه بايجاز حول الاله ومسالة الخلق ٠

أرسطو [٤٠]:-وان مال الى الواقعية الا انه من خلال ملاحظاته لعلم الفلك وحركات الافلاك وما فيها من نظام

---

[٤٠] واما **أفلاطون:-** فيتضح للناظر من خلال فلسفته تقسيمه للعالم الى قسمين احدها حسى وهو الغالم المشاهد وهو دائم التغير عبر الادراك وليس جديرا بان يسمى موجودا ولا ان يسمى ادراكه علما بل هو شبيه بالعالم لانه ظل وخيال للموجود الحقيقى والثانى عالم المجردات وفيه اصول مافى عالم الحس وهو مثاله الذى صيغت عليه الموجودات كلها ففيه مثال لانسانية الانسان وحيوانية الحيوان٠الخ ومن بينهما العقل الانسانى (الموجود الذهن غير الخارجى للكليات مجردة عن المحسوسات وبواسطتها يمكن الحكم على المحسوسات كما انها وسيلة لمعرفة المجردات فى عالم المثل ٠ويعطينا افلاطون مثالا توضبحيا لنظريته هذه فيقول لو ان جماعة يجلسون فى كهف مظلم ذى جدران اربعة مقيدين بالأرائك ومتجهين الى احد جدران هذتا الكهف بينما توجد فى الجدار الواقع

خافهم نافذه او نزافذ وامامها قوم يحملون قضبانما او صلبانا ركبت فى اعاليها تماثيل تصور الانواع المختلفة للموجودات فيمرون بها امام النافذة قاطعبن بعها ضوء الشمس فتعكس خيالاتها داخل الكهف على الجدار الماجهة للجالسين فيه فعتدما يرونها يحكمون بان هذه الموجودات الحقيقة لانهم لم يروزا سواها حيث كبلوا بقيود واغلال فى أماكنهم مع ان هذه الصور التى امامهم فى الواقع ليست اى خيالات وظلالا لحقائق اخرى لم يروها ولو اتيح لاحدهم او لهم التحرر من قيوده ويلتفت الى الوراء لراى العالم الحقيقى والموجودات الواقعية [٤٠]
وتسعى النفس الإنسانية لنيل كمالها بطريقيين احهما **الجدل الصاعد** ويهدف للوصول من خلال الكثرة المحسوسة الى الوحدة المعقولة التى تشملها او يصعد من المعقولات المتعددة الى اعلاها مرتين وهو يشير لتلك الكيفية الى يلزمها الاشرافى من خلال صعوده الارضى والذى يبدأ بالتجريد رويدا رويدا ...الخ ... واما الطريق الاخر فهو الجدل الهابط فبعد صعوده يهبط الى الانواع التى تندرج تحته الوجود الاعم وله ان يسير فى هذا الهبوط على منهج التحليل او باستخدام الاقسمة الثنائية المستنيرة

بحدس المثل ٠[٤٠]ومن هذا المنطلق فان النفس تسعى دوما للوصول والتعرف على عالمها الأعلى واما النفوس الارضية تستدعى خلاصا من قيودها البد
نية فلا سبيل لتلقى الاشراقات الا بتمزيق تلك القيود التى تربطنا اليه وفك حصار الشهوات التى تحجب عنا طريق كشف الحقيقة [٤٠]٠

وهذا الوصول غير ممنوح للكل فتتفاوت الطبقات فيه على رأسها الفلاسفة فهم الذين يميزون بين الاشياء المشاركة ٠٠٠مكما انهم يؤثرون الحكمة ةعلى الظن وفى هذا يقول فان كان من أفراد هذه الفئة القليلة العدد وقد تذوق حلاوة المباحث الفلسفية وغناها ٠٠٠فهم اتقى النفوس معدنا يتلك النفوس الطاهرة التى وصفها فى محاورة بايدوس انها قد حظيت فى الزمان الغابرة بالرؤية الصحيحة [٤٠] واما النفوس التى لم تستطع الرقى فانها تعود مرة اخرى لتتصل بجسم مادى ثم تعود بعد عمليات التصفية والتكرير الى المكان الذى جاءت منه فلم من يصل فهخو عدو للحكمة وجاهل بها ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠الخ[٤٠]

حاول ان يصبغ على الاله اقصى درجات الكمال فوجد ان الحل الوحيد القول بكائن مطلق الكمال موجود وهو يحرك العالم كمعقول ومعشوق بمعنى انه فعل محض وكمال مطلق فهو يعقل ذاته فالتعقل فيه عين المعقول واذا عقل غيره فقد عقل اقل من ذاته وانحطت قيمة فعله فان من الاشياء ما لاعدم رؤيته خير من رؤيته ففى الله العاقل والمعقول والعقل واحد ، واما العالم فهو ليسعى الا له عاشقاأياه فهو علة الخير فى العالم فاننا نرى كل شئ منظما فى ذاته ونرى الاشياء منظمة فيما بيها وكما ان خير الجيش نظامهه وان القائد خيره ايضا وبدرجة اعظم لانه علة النظام فكذلك للعالم غاية ذاتية خهى نظامه وغاية خارجية هى المحرك الأول علة النظام ،فعلى هذا لابعغقل الاله سوى ذاته فهو لايقل العالم ولايهتم به ،[41]

[41] الجمع بين راى الحكميين الفارابى تقديم البير نصرى ص ٣١ الرابعة دار المشرق

* في صفحات سابقة كنا قد عرضنا للوجهة اليونانية لتلك المسأله ومارأه أرسطو فيها وهناك يقتضينا المقام ان نبرز شيئاهاما يتعلق بتلك النظريه مـــن حيث تسميتها فالفلاسفه ومن تابعهم يطلقون عليها اسم الصـــدور لاالخلق كما يقول استاذنا الدكتور مزروعـــه ذلك لان الخلق يثبت للخالق ارادة وقدره وعلما وتصرفا فى المخلوق وهم لايؤمنون بذلك وقد اختاروا لفظة الصـــــدور لانهم يؤمنون بان العالم صدر عن الله تعالى كما تصدر الحرارة عن النـــــار وكما تصدر الحرارة عن النار بلا اراده أو قدره أو تصرف حر من النار كـــذلك الامر عندهم بالنسبة لصدور العالم تعالى عن الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا٠٠٠

*ان نظريه العقول العشرة اساس اعتمد علية الفارابى ليفسر به مشكلة الصلة بين الواحد والمتعدد ويوفق به

من ناحيه اخرى بين هيولى أرسطو الازليه الابديــه والخلق الذى قال به الدين الاسلامى .[42]

وقبل ان نتكلم عن رؤية المتكلمين نستانس بما سطره د/ مدكوروغيره [43] حول قضية التوفيق عند فلاســفة

---

[42] الفارابى – سعيد زايد

[43] قبل ان نين ما اجملناه سابقا حــول نظريــة الفيض او الصدور وكون الواحد لايصــدر عنــه الاواحد كما هو معروف مسبقا فاننا بصدد بيــان لافكار معينة ترتبت على لالقول بالصدور واليك بيانها

فكرة الإله الخالق

الله فى الاسلام هو الخالق لكل شىء الذى لايوجد شىء الا بأمره ولايدوم إلا بحفظه ، والذى يعلــم كل شىء كبيرا كان أو صغيرا فى أدق تفاصــيله والذى لاوساطه بينه وبين أحد من خلقه

هذا الإله كما يؤخذ من القرآن الكريم لايمكن أن يتفق مع اله أرسطو وهو (المحــرك الأول)

الذى لايتحرك ولا مع فكرة " الواحد" كما نعرف من الافلاطونية الحديثة

ومن أجل هذا كان هم الفارابى وغير من فلاسفة الاسلام محاولة التوفيق بين الاله كما جاءت به الفلسفة وبين الاله كما جاء بالقرأن وان كان لم يصحبه التوفيق فى محاولته كما سنرى فيما بعد

وليس من عملنا ولا من الممكن هنا أن نأتى بما ذهب اليه ابو نصر فى هذه المشكلة ولذلك يكتفى أن نقول بأيجاز بأنه – مستلهما أرسطو وأفلاطون والافلاطونية الحديثة – قد أنتهى الى الذهاب الى الله أن الله هو الواحد والموجود الضرورى من نفسه والبرىء من كل أنحاء النقص والذى ليس بمادة وهو مباين بجوهره لكل ماسواء وليس مركبا بوجه من الوجوه فهو واحد من كل وجه ٠

وهو ، لانه ليس بماده عقل بالفعل يعقل ذاته فالعقل والعاقل والمعقول شئ واحد هو الذات

الاسلام (اذا كان التوفيق بين أرسطو وافلاطون يعـــد
أساسا من الاسس التى قامت عليها الفلسفة الاسلامية
فان أساسها الثانى هو التوفيق بينها وبين الدين وقـــد
سبق لنا وأن اشرنا الى أنها فلسفة ذات طـــابع دينـــى
واضح حاولت فى جد التوفيق بـــين النقـــل والعقـــل
ونستطيع أن نقرر أن فلاسفة لرســـرم دون أســـتثناء

وكذلك فيما يتصل بالعلم ذاته علم وعالم ومعلـــوم
والله هذا لانه سبب وجود كل موجود يلزم ، متى
كان له هذا الوجود أن يصدر عنه ضرورة سائر
الموجودات بطريق غير مباشر وذلك على مـــاهو
معروف فى نظرية " العقول العشرة "

وهكذا رأى الفارابى أنه وفق بين الاله كمـــا
جاء فى الفلسفة وبين الاله كما جاء بالقرأن ! كما
لم ينس أن ينسب لله كل صفات العظمة والجلال
والكمال[٤٣] •بين الدين والفلسفة دمحمـــد يوســـف
موسى

شغلوا بهذا التوفيق من الكندى الى أبن رشد وبـــذلوا فيها جهودا ملحوظة وأدلوا باراء لاتخلو مـــن جـــده وطرافة وكان لمجهودهم أثر فـــى أنتشـــار الفلســـفة ونفوذها الى صميم الدراسات الاسلامية الاخرى ٠

والتوفيق تقريب بين جانبين وجمع بين طرفين وفـــى الفلسفة نواح لاتتفق مع الدين وفى بعض النصـــوص الدينية ماقد لايتمشى مع وجهة النظر الفلسفية لـــذلك عنى فلاسفة الاسلام بأن يصبغوا الفلسفة بصبغة دينية وأن يكسوا بعض التعاليم الدينية بكساء فلسفىوبكادر يدور توفيقهم حول هذين البابين ٠

ولاشك فى أن التوفيق الذى حاوله الفلاسفة المسلمون يعد وشيجة من وشائج القربى بين الفلســـفة العربيـــة والفلسفة اللاتينية ففـــى ---- أخـــذ العـــرب عـــن أفلاطون ماقربهم من الاوغسطينين ورجال المدرسة الفرنسسكانية بوجة خاص وقد رأى هؤلاء فى بعض

النظريات الاسلامية ما يتلاقى مع أراء الفوها من قبل ، فأستساغوا وأطمأنوا اليها

وفىتعلق فلاسفة الاسلام بأرسطو ماوجه اليه أنظـــار المسيحين وحملهم على ترجمة كتبه ودفع كثيرين من رجال القرن الثالث عشر الى دراسة والتعليق عليـــه وبخاصة القديس توماالاكوينى ١٢٧٤ الذى يعتبر فى هذه الناحية بين اللاتنيين بمثابة أبن رشد بين العـــرب .

واذا كان المسيحيون فى القرون الوسطى قد حرصوا كل الحرص على اتلتفرقة بين الفلسفة والـــدين فـــان فلسفتهم فى اساسها دينية ولم يتـــرددوا أن يســـتعينوا بالعقل والمنطق على اثبات كثير من القضايا اللاهوتية ويرى البير الكبير ١٢٨٠ أن التعاون بـــين الفلســـفة واللاهوت ممكن ونافع وأن العقل والنقل لايتعارضان وأن كان للنقل أمور خاصة به وتلميذه القديس تومـــا الاكوينى فى أن واحد شيخ الفلاسفة وشيخ اللاهوتيين فى القرن الثالث عشر وقد سار على نهج استاذه فـــى التوفيق بين الفلسفة والدين فهو يرى كثيرا من الحقائق

النقلية يزداد وضوحا بالادلة العقلية ، وليس بلازم أبدا أن يكون كل مافوق الطبيعة مخالفا للعقل ·

*وللمتكلمين رؤيتهم الخاصة بهم حيث يرون على الضد من الفلاسفة ان العالم لم يوجد من شيء لان الله تعالى أوجده من عدم محض فالعالم ليس قديما فهو لم يكن وحين أراد الله ايجاده أوجده من عـــــدم وذلك أمر طبيعى واضـــح · لان العالم اذا كان من شيء فهذا الشيء اما ان يكون حادثا فينتقل السؤال الى ذلك الشيء ويتسلسل الامر وهو محال· واما ان يكون ذلك الشيء الذى منه العالم قد يما فيكون هناك قديما فيكون اذن الهان لااله واحـــد وذلك محال لان القدم من اخص صفات الاله والفارق بينهما واضح ·

*كما يرى المتكلمون ايضا ان العالم لم يسبق بزمان ليس لانه قديم كما

يرى الفلاسفه ولكن لان الزمان حادث بحدوث العالم فهو مرتبط بالعالم فـــى وجوده فان الزمان مرتبط بدورات الفلك من شمس وقمر واذا كانت الافـــلاك التى يقدر بها الزمان هى جزء من العالم فالزمان اذن مرتبط بوجود ذلك العالم وبالتالى لم يكن له وجود قبل خلق العالم واذن فالعالم لم يكن مسبوقا بالزمان ٠*

* كما يرى المتكلمون أن الله تعالى خلق العالم بعد أن لم يكن وأوجده من عدم محض أوجدة بارادته وقدرته على مقتضى علمة وحكمته وأنه تعالى قدر فى الازل وجـــود العالم فى زمانه ومكانه اللذين وجد فيهما وقدرصفاته التى يكون عليها ٠

وقد قامت الايات العديده فى كتاب ربنا عز وجل لتثبيت هذا الامر فمنها قوله تعالى (مأأصاب من

مصيبه فى الارض ولافى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير)[٤٤]

(ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض مايكون من نجوى ثلاثـــه الاهو رابعهم ولاخمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولااكثر الاهو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامه إن الله بكل شيء عليم)[٤٥]

* تلك رؤية المتكلمين والتى ناهضوا بها الفلاسفة فى زعمهم أن العالم يوجد من مادة سابقة عليه لأنه لم يسبق بمادة وذلك لانه كائن دائما فهو موجود أزلى قديم ومن ثم فهو غير مسبوق بشى فلا يوجد من شى لا نه لم يتناهى ،وقولهم إن العالم لم يتقدمه زمان لانه دايم أيضا أزلى فهو لم يكن معدوما قط وقولهم إن العالم قديم وأنه صدر عنه تعالى بالعلة

---

[٤٤] سورة الحديد
[٤٥] سورة المجادلة

بمعنى ان الله لم يكن له اراده ولاقدره ولكنه صدر عنه طريق العالم أو التعقل ..

ونستعرض الان تلك النظرية التى سار فى ركابها كثير من الفلاسفة لنرى خلطهم المزيف فيها -:

قسم أرسطو العالم الى قسمين عالم السماءوعالم مادون فلك القمـــــر (عالم الارض) والعلاقة بينهما واسعة النطاق فالاول عالم الاطهـــار .

والثانى عالم الادناس (الكون والفساد) ومادته قديمة ازليه .

حاولت تلك النظرية التقريب بين وجهة نظر الاسلام فى قوله بالخـــلق وبين قول الفلاسفة بالصدور أو بالفيض كما حاولت حل مشكلة الوحدة والتعد فى الذات الالهيه فالواحد فى زعمهم لايصدر عنه إلاواحد فمـــن تعقل الله لذاته أو علمه بذاته ومن حيث انه مبدأ

للخير والنظام صـــدر عنه موجود هو العقل الاول فالعلم هو القدره التى تخلق كل شيء ويكفى ان يعلم الشيء لكى يوجد ه ٠

وهذا العقل الذى صدر عنه له مهمتان اساسيتان

الاولى:ــ أنه يتوجه بذاته نحو معقوله الأول٠

الثانيه :ــ أنه يتوجه نحو ذاته الأقل شأنا ٠

ومن حيث توجهه نحو ذاته وهى أقل رتبه ينشأ عنه كوكبا معينا ،وهو فى ترتيبها من الأول إلى العاشر ترتب بحسب الأفضلية ترتيبا متناسقا تنازليا فالأول افضل من الثانى والثانى أفضل من الثالث٠٠٠٠٠٠٠)وكذا السماء الأولى أفضل من الكرات الأخرى والتى تليها وتمتاز هذه العقول بأن وجودها لايكون فى ماده (فهى مبرأه عن المادة) تبعا لما صدرت عنه ٠

ويلاحظ أن العقل الاول كان ممكنا قبل وجوده ثم اصبح بعد ذلك واجباوهذا أمر اعتبارى أما امكانه فذلك قبل وجوده وأما وجوبه فذلك بعد وجوده بفعل الموجدالاول ٠

ويمكننا أن نجمع جملة الأ فلا ك الخا صة با لعقول فى قو ل بعضهم٠٠٠

زحل شرى مريخه من شمسه فتزهرت لعطارد الأقمار

فهذه الأفلاك السبعة مضافا إليها السماء الأولى و كرة الثوابت ٠

فالاول (الذى صدر عنه كل ذلك مبرا عن الكثرة) وأما مافاض عنه ففيه كثره الاعتباريه) ثم تنتهى تلك العقول الى العقل الفعال أو الـــــروح الامين أوروح القدس كما يسمية الفارابى ٠

ويلاحظ أيضا أن انتقال العقل الأول إلى الثانى ٠٠٠٠الخ منزعة شوقاالادنى إلى الأعلى والعقل

الاعلى يرفع الادنى اليه٠ والتدرج يتم بمؤثر هو فعل بطبيعته يعمل على نقل حالة من القوه الى حالة الفعل وهذا المؤثر هو العقل الفعال فهو بالنسبة الى القوه كنسبة الشمس الى العين فان العين بصر بالقوه

مادامت فى ظلمه فان حصل الضوء وحصات صور المرئيات فى البصر صارت بصرا بالفعل ٠

وهذا العقل هو حلقة الاتصال بين عقول الافلاك وعالم الحوادث وهـــوالذى يوجه العقول الارضية التى ترقى اليه فهو يوجهها الى المدركات ويوحى اليها ويشرف عليها بالمعقولات وأذا أشرف العقل الفعال على عقـــل حادث بجميع المعقولات يكون قد بلغ به الى أرقى درجه من الحكمة وفيه مـــــن المحازير البالغه من مساواه صاحب العقول المتخليه القويه مع النبى فى تلقى الوحى من هذا العقل الفعال

أثـــار تلك النظرية

*عمت تلك النظرية أرجاء الارض من خلال انصارها فقد كان اها اثر كبير فى القرون الوسطى فأخذ بها أبن سيناء وزادها وضوحا وتأثر بها أبن رشد برغم تمسكة بارسطو وكـــاد أبن ميمون الفليسوف اليهودى ان يرددها حرفيا وعند المسيحين كانت فى مقدمه المشاكل الفلسفية لانها كانت تدور حول نظريةالمعرفه وتتصل كل الاتصال بخلود النفس

.

وقد نشأ عنها اتجاهات ومذاهب مختلفه ناصرت الفارابى وأبن سيناء أحيانا وناقتضهما أحيانا أخرى وهو فى جملتها لاأساس لها إلا أنها تلغى إرادة الله وقدرته فى إيجاد العالم وقد عرضنا من قبل لاهم مايمكن أن ينشأ عنها .

وهذا مادعا ابن خلدون لقوله (ان الذى ذهبوا اليه باطل بجميع وجوهه فأما أسنادهم الموجودات كلها الى العقل الاول وأكتفائهم به فى الترقى الـــــىالواجب فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله فالوجود أوسع نطاقا من ذلك ويخلق مالا تعلمون ٠

وقد أعتمد الفارابى وأبن سيناء من بعده فى أعتماد هذه النظريه على التراث اليونانى ٠ خاصة كتاب – التا سو عت والذى حاول من خلاله التوفيق بين الرؤيه اليونانيه والرؤيه الاسلاميه وهذا اجحاف وهو تلفيق وليس بتوفيق ٠

أما عالم الكون والفساد فله مقام أخر فهو يرتقى باصحابه من تدرج النفس الناطقه من القوه الى الفعل (الملكه) الى درجة المستفاد عندئذ يصبح أهلا لتلقى إشراقات العقول المفارقة وهذا لايتيسر إلا لفئة هم

اصحاب النفوس الخالده وبصبح اربابها فى غنى عن الماده قادرين على الاتصال بالعقل الغعال فتصبح تلك النفوس الهيه بعد ان كانت ماديه

وقد سجل بعض الباحثين بعض الانحرافات على نظرية الفارابى منها:-

الصدور فعل ضرورى ولايمكن ان يوصف بانه خلق ففكرة الخلق مرادفة للإحداث اى الإيجاد فى الزمان والحدوث من عدم اما الصدور عند الفارابي فهو أزلي قديم .

فعل الصدور فعل تلقائى يحصل نتيجة لخصوبة الواحد المطلقة وكل له الفائض كما تفيض الاشعة عن الشمس وهذا الصدور التلقائى معناه ان الفعل غيرل ارادى وان الواحد تصدر عنه الموجودات لانتيجة لفعل ارادى له تعالى بل هكذا تلقائيا اى اليا فيصبح الايجاد مماثلا لعدم الايجاد اى يتساوى الوجود والعدم.

*التسلسل اى فى ايجاد الوجودات ضرورى وواجب وكل حلقة فى السلسة تصدر بالضرورة عن الحلقة السابقة عليها .[٤٦]

النبوة بين الوهب والاكتساب[٤٧]

*النبوة فى رأى الفارابى ليست أمرا فوق الطبيعه ، ولاشيئا خارقا للعادة ان النبى ليس الا أنسانا بلغت قوته المتخيلة غاية الكمال وذلك بأن يحصل له أولا العقل المنفعل ثم بعده العقل المستفاد الذى يكون به الاتصال بالعقل الفعال وحينئذ يأخذ عنه بطريق الفيض الجزئيات الحاضرة والمستقبلية أو محاكياتها من المحسوسات ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها فيكون له بذلك نبوة بالاشياء الالهية.

وفيما يختص بالمعجزات التى يتقدم بها النبى دليلا على صحة رسالته نرى أيضا أن لها عند الفارابى

---

[٤٦] راجعلاالفلسفة الاسلامية فى المشرق أد سعيد الهوارى ص ١٥٤ .
[٤٧] بين الدين والفلسفة د/محمد يوسف موسى .

تفسيرها العقلى وذلك متى عرفنا كمـــا يقـــول أن النبوة مختصة بقوى قدسية يذعن لها عالم الخلـــق الاكبر كما يذعن لروح الواحد منا عـــالم الخلـــق الاصغر فتأتى بمعجزات خارجـــة عـــن الحيلـــة والعادات ويمنعها شىء من معرفة مـــافى اللـــوح المحفوظ

واذن على رأى الفارابى النبـــى والفيلســـوف يتصل كل منهما بالعقل الفعال والفرق بينهمـــا أن الاول ينال هذه الرتبة بكمال قوته المتخيلـــة بعـــد كمالالقوة العاقلة طبعا على حين يصل اليهـــا الفيلسوف بالنظر والتفكير وليس هذا فـــى رأينـــا بالفرق الكبير •

وينبغى هنا أن نلاحظ أن الفارابى فى تصويرة للنبوة على هذا النحو وتفسيرهما تفســـيرا نفســـيا وعقليا كما {اينا أنفا يجعلها أعلى من الفلسفة كمت يجعل النبى هو الانسان الذى بلغ أكمـــل مراتـــب

الانسانية والسعاده وهذا فى رأى دى بور" لايتفق مع مأيؤخذ من فلسفة الفارابى النظرية هذه الفلسفة التى ترى أن كل أمور النبوة من الرؤى والكشوف والوحى ونحو ذلك – هو مما يختص بالقوة المتخيلة فتكون المعرفة الحاصلة[٤٨] عن ذلك أدنى مرتبة من المعرفة الفلسفية ٠

*هكذا يرى : دىبور: ونعتقد أنه نسى أن المعلم الثانى يشترط فى النبى فضلا عن كمال القوة المتخيلة كمال القوة العاقلة وذلك بأن يحصل له العقل بالفعل ثم العقل بالمستفاد الذى به كما تقدم ذكرة يتصل بالعقل الفعال ٠

*هذا والفارابى عرف بتركيز الفكرة والايجاز فى التعبير عنها فلعل مما يعين على فهم نظرية النبوة أن نقتبس القليل من عرض الغزالى لهذه النظرية فى كتابه المشهور " تهافت الفلاسفة " ثم من عرض ابن ميمون وهو جد ثقة فى الفلسفة

[٤٨] راجع ايضا الاسلام بين الاديان محمد كمال جعفر ٠ص ٣١٧ و الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه د مدكور ص ٩٥

الاسلامية وفيما كان لرجالها من أراء لهـا فـي كتابه : دلالة الحائرين " فذلك كله تعبير صـادق عن نظرية النبوة لدى الفارابى وأبن سينا وأبـن رشد أيضا ، ومن ذلك نعرف تماما الفرق عنـد فلاسفة الاسلام بين النبى والفيلسوف ولهذا خطره فى مسألة التوفيق بين الوحى والعقل

*يذكر الغزالى عن الفلاسفة المسلمين أن النبـى انسان بلغت قوته المتخيلة الغاية من القـوة ولـم تستغرقها الحواس فاستطاعت أن تطلع فى اليقظة والنوم على اللوح المحفوظ وأنطبعت فيها صـور الجزئيات الكائنة فى المشتيقبل ويكون ذلك معجزة للنبى ، كما بلغت قوته العاقلة النظريـة الكمـال ايضا فصار قوى الحدس بمعنى سرعة الانتقـال من معلوم الى أخر من غير حاجة الى تعلم بـل يكون كأنه متعلم من نفسه ويعتبر هـذا معجـزة أيضا ولكن من نوع أخر ٠

وكذلك أخبرا بلغت قوته النفسية والعملية حدا تتأثر به الامور الطبيعية وتتسخر له فكما أن نفس الانسان تؤثر فى جسمه وتؤثر فى نفوس غيره اذا كانت هذه القوة النفسية العملية ثويه فيه ٠ كـذلك اذا بلغت هذه القوة درجة الكمال صار من الممكن أن تخضع لها أمور الطبيعة ويكون ذلك من النبى معجزة له من ضرب ثالث ٠

حتى أنه اذا تطلعت نفسه الى هبوب ريـح أو حدوث زلزلة أو نزول مطـر وذلـك موقـوف حصولة عادة على حدوث برودة أو سـخونة أو حركة فى الهواء يحدث ذلك من نفسه وتتولد منه تلك الامور من غير سبب طبيعى ظاهر على أنه يشترط أن يكون هذا يحدث ممكنـا فـى نفسـه لامستحيلا كقلب العصا ثعبانا أو أنشـقاق القمـر الذى لايقبل الانخراق والانشقاق

ويلاحظ القارئ ان هذه النظرية قد اعتمدت على اساس من علم النفس الارسطى في جـزء كبيـر منها وعلى اساس من التجربة الذاتيـة وبعـض العقائد الدينيةة

خلع الفارابى على العقل الفعال الصفات الماثورة لملك الوحى الذى أخبربه الإسلام كما لايخطـئ الباحث وجود الأثر الأفلوطينى في عملية الاتصال ومن كلرلافقد أراد أن يضع النبيوة ٠٠٠دعامـة فلسفية ليثبت اتفاقهما مع العقل ومن ثم لايصـح انكارهما مع اختلاف روح التوفيق الواضح بـين الدين والفلسفة اليونانية كما يلاحظ تسـوية هـذه النظرية بينت النبى والفليسوف وربما فهم منهـا تفضيل الثانى على الاول من حيث اعتمـاد الأول على المخيلة والثانى على العقل والحقائق المعلومة أعلى وأسمى من الحقائق المتخيلة ٠فهما يرتشفان من معين واحد على حد تعبير د مدكور ولاريب أنآهذا الكلام يمهد للقول باكتساب النبوة وفتح بابها لجميـع النـاس وهـذا يتنـاقض أساسـا مـع

المبدأالاسلامى القائـــل بـــان النبـــوة اختصـــاص واصطفاء الهى لانفس مخصوصة موهوبة للقيـــام بمهمة الهداية والارشاد وتبليغ الاروامـــر والقـــيم الالهية فهى عند المحققين رحمة يمن الله بها على من يشاء من عباده وليست راجعة الـــى شـــخص النبى او الدرجة العلمية التى يحصلها بكسبه ٠[٤٩]

هذا والقرأن ذكر الملائكة فى أيات كثيرة منه فلم يسع الفارابى انكار وجودهم لكنه لم يقل كمـــا يقول المتكلمون عنها انها أجســـام قـــادرة علـــى التشكل باشكال مختلفة بل ذهب الى أنها كائنـــات معقولة لارابطة لها بالمادة وبعبارة أخرى نـــراة يفسرها بأنها صور مجردة عن المادة وهى صلة مابين مصدر الوحى والموحى اليه ٠

وكذلك القلم واللوح وقد جـــاء ذكرهمـــا فـــى القرأن الكريم ليسا كما يقول المتكلمـــون أيضـــا

[٤٩] الاسلام بين الاديان د/محمد كمال جعفر ٣٢١ وما بعدها طمطبعة حسان ١٩٧٧

شيئين ماديين بل القلم ملك روحانى واللوح ملـــك روحانى والكتابه تصوير الحقائق

واليوم الاخر ومافيه من جزاء ، ثواب وعقاب لاينكر الفارابى شيئا منه فان للنفس

بعد الموت سعادات وشقاوات كما يقول لكن هــذا الجزاء لن يكون الا روحيا محضا فليس هنـــاك لذائذ ولاعقوبات جسمية كما يرى المتكلمون بـــل السعادة ليست عنده الا أن تتحرر النفس من قيود المادة فتصير عقلا كاملا ولذلك كان يدعو الله بأن يجعل الحكمة سببا لاتحاد نفسه بـــالعوالم الالهيـــة والارواح السماوية ، فتكون بعد فناء البدن مـــن جملة هذه الجواهر الشريفة الغالية

وبعد هذه القضايا المترتبه على القول بـــالتوفيق بين الدين الاســـلامى فـــي قضـــاياه والفلســـفة اليونانية يتساءل د/محمد يوسف موسى قائلا:-

وبعد ! هل نجح الفـــارابى فيمـــا أرادة مـــن التوفيق بين العقل والوحى أو بين الفلسفة والدين ؟

اننا نرى أنه مع مابذله من جهد فى هذه السبيل من السهل أن نقول لا .

وذلك أنه على الرغم من محاولة الفارابى الى حل مسألة الواحد وصدور العالم عنه وكيفية هذا الصدور قد بقى اله أرسطو غير مقبول فى الاسلام مع مانال نظرية أرسطو من تعديل يرجع الى افلاطون ومدرسة الاسكندرية .

وفى الحق أن الها يصدر العالم عنه بلا ارادة وخلق منه ولانشاط له وبينه وبين هذا العالم وسطاء عديدون ولايعلم الا ذاته - اله كذلك لايمكن ان يتفق والعقائد الصحيحة التى جاء بها الاسلام وان عسى الفارابى فى نظرية الفيض التى أراد بها على ماهو معروف التوفيق بين أرسطو والاسلام - يجعله سببا فاعلا

وكذلك تسمية الفارابى للعقول التى ذهب اليها ليفسر صدور الكثير وهو العالم عن الواحد ملائكة ليوافق القران فى التسمية لايجعلها حقا ملائكة كما جاء فى الاسلام .

فان هذه العقول عنها صدر فى رأيه فهى خالقــة
على هذا النحو وملائكة القرأن لاشئ لها مطلقــا
من الخلق او الآمر بل هم لايعصون الله ماأمرهم
ويفعلون مايؤمرون ، فكيف وتلك العقول[٥٠].

---

[٥٠] بين الدين والفلسفة د/محمد يوسف موسى .

المبحث الأول

ابن سينا " عصره – حياته– آثاره "

أولا– عصره :

من البقاع التى دخلها نور الإسلام البقعه الفارسية والتى تداولتها الخلافات الإسلامية على مر العصور منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم إلى إبان الدولة العباسية التى ضعف سيطرتها على أمصارها التابعه لها وذلك (لأن عوامل الضعف والوهن قد سرت إلى السلطة المركزية)(١).

وسرعان ما انسلخت أمصارها عنها فقد (كانت دولة العباسين قد تحللت تماما فى الشرق وأسست على أنقاضها دولة الفاطميين فى مصر وورثت بقاياها أحفاد المغول من الأتراك الذين مكن لهم العباسيون بأنفسهم فى ملكهم كما مكنوا للفرس من قبلهم)(٢).

وأصبحت الدولة العباسية مزرعة لغيرها من الدويلات التى كانت تابعة لها وبدأ قيام دويلات فى المناطق النائية التى كانت تدين بالولاء الظاهرى للسلطان العباسى دون خضوع كامل لدولته.ويرجع هذا الأمر إلى عدم إحكام رجال الخلافة سيطرتهم على أمصار الدولة فضلا عن توالى الخلفاء على الخلافة فى مدد قصيرة وكان من أبرز الدويلات التى قامت على أنقاض الدولة العباسية فى فارس (الدولة السامانية والتى كانت عبارة عن إمارات متفرقة تضم (خوارزم – كركانج – خراسان – جرجان – الرى – همذان – أصفهان) والتى تكونت رويدا رويدا (وأول ما كان ذلك فى عهد الخليفة المستعين بـا لله.ولم يكد القرن الرابع أن ينتهى حتى كانت فارس قد طرحت رداء الخضوع لبغداد)(٣).

وقد توالى على تأسيسهاعدة أمراء يرجع إليهم الفضل فى نشأتها منهم (طاهر بن الحسين) والذى كان واليا على خراسان من قبل الخليفة المأمون والذى ولى بدوره أحمد بن سعد بن سامان ،على ولاية سمرقند واستطاع الثانى أن يحصل على ولاية بلاد ماوراء النهر – فى عهد المعتمد العباسى وهكذا تشكلت الدولة السامانية من تلك الإمارات. المختلفة وكانت عاصمتها بخارى

---

(١) الفكر الاسلامى وتراث اليونان – أميرهحلمى مطر ١٢٩.

(٢) الدين والفلسفه والعلم – السيد محمود أبو الفيض ١٥٨.

(٣) ابن سينا بين الدين والفلسفه د/ حموده غرابه ٣٥ .

وتمتاز هذه البقاع التى تقلب الشيخ الرئيس بين أراضيها وإماراتها(بانتشار المباحث الفلسفية فيها وذلك لأن الدعوة العلوية كانت على أشدها فى تلك الأطراف النائية)(١).

وهكذا ساعد استقلال الدولة السامانية على استقلالها الفكرى وذلك (لأن الفرس الذين شاهدوا هزيمة كبيرة لتراثهم القومى بدأوا فترة إحياء لهذا التراث وظهرت هذه النهضه خاصة فى حاشية دولة السمانيين فى بخارى)(٢).

وكان من أقرب المقربين للشيخ الرئيس بدعوه لإحياء تراث أجداده وهو والده حيث إنه كان من أتباع الشيعه الإسماعيلية.

وإذا كان الإنسان ابن بيئته وهى بدورها تؤثر على عقول أبنائها بما حوته من تقلبات واضطرابات فمما لا شك فيه أنها أثرت على فكر الشيخ الرئيس.وقد نعم ابن سينا فى عصره بأعلام برزوا فى الناحية الفكرية وكان منهم الشعراء المشهورون والعلماء النابغون ومنهم (البيرونى – وابن مسكويه – وأبو العلاء المعرى – والشريف الرضى – وبديع الزمان الهمذانى)(٣).

وغيرهم وقد التقى ابن سينا فى أسفاره بكثير من علماء عصره (وكان لا يشعر بفضل لأحد من المتقدمين عليه إلا للفارابى فهو كذلك لا يعترف بفضل لأحد من أهل زمانه إلا للأمراء الذين أظلوه فى كنفهم)(٤)

إذ لم تك هناك صلة دائمة بينة وبينهم وهكذا حفل عصر الشيخ الرئيس بنهضة فكرية أثمرت عن تراث محفوظ إلى يومنا هذا لعلماء عصره،وإحياء لأثار الشيعة الإسماعيلية التى عضدها التغلب الفارسى على البقعة السامانية.وهكذا يتبين أن فكر الرجل هو نتاج الاستقلال الفكرى وحرية الرأى فى الفكر الذى صاحب الاستقلال فضلا عن الثقافات البينية المتكثرة فى عصره.

ولنمض الأن بعد هذا الإيجاز عن عصر الرجل لنتعرف على شخصيته ولندرك مدى تأثير عصره وثقافته عليه. تفصيلا....

---

(١) ابن سينا – العقاد ٨.

(٢) الفكر الأسلامى وتراث اليونان د/ أميره مطر ١٢٩.

(٣) ابن سينا – محمد كامل الحر ٨.

(٤) تاريخ الفلسفه فى الأسلام – دى بور تعليق د/ محمد عبد الهادى أبوزيده ٢٦٩

ابن سينا

(٣٧٠هـ-٤٢٨هـ) (٩٨٠م - ١٠٣٨م)(١)

حياته - نسبه:

(هو أبو على الحسين بن عبدالله بن الحسن بن على بن سينا)(٢).

ويلقب بالشيخ الرئيس لتبحره فى فنون العلوم على اختلاف مشاربها. وتقلده الوزارة إثر تقريب الأمراء وتزيين مجالسهم بالعلماء،والتى كانت لا تخلو من وجوده واسمه ينبئ عن الوجه الشيعى حيث (يدل على نسب عريق فى نصرة أل على)(٣).

مولده:-

ولد الشيخ الرئيس بقرية أفشنة التابعة لبخارى عاصمة الدولة السامانية حيث كان والده من أهل بلخ وانتقل منها لبخارى،واستطاع أن يحصل على عمل بقرية خرمتين كمتصرف فيها ويقربها قرية أفشنة وبها كان زواجه من ستاره والدة الشيخ الرئيس وبالقرية ولد (وبعد خمس سنين ولد الأخ الأول لابن سينا واسمه محمود)(٤).

ويذكر ابن خلكان فى وفياته (أن ولادته كانت يوم ظهور نجم السرطان فى السماء)(٥).

فقد كانت بيئته حافلة بأراء الصابئة عبدة الكواكب واعتقادها بنفعها وضرها من خلال الأبراج التى تظهر للمشتغلين بهذا الشأن.فالهدف يبدو ظاهرا فما هو إلا محاولة لإصباغ هذه الولادة بعلم النجوم الذى اشتهر به أرباب الوجه الباطنى وإلحاق القداسة بهذه النجوم.

---

(١) لم يخالف فى هذا التاريخ الا ابن أصبيعه ، حيث يرى (أن ولادته سنة خمس وسبعين وثلثمائة وكان موته فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة) راجع عيون الأنباء فى طبقات الطباء ابن أصبيعه ٤٤٥.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق د/ إحسان عباس.

(٣) ابن سينا العقاد ١١

(٤) ابن سينا بين الدين والفلسفه د/حموده غرابه ٣٦.

(٥) وفيات الأعيان ابن خلكان تحقيق إحسان عباس ١٥٧.

نشأته :-

نشأ الشيخ الرئيس في بيئة ثقافية وفي بيت علم كان له الأثر المبكر في نبوغه حيث نعم منذ نعومة أظفاره بحياة الترف فقد كان والده متصرفا في أعمال الدولة السامانية على قرية خرمتين.فضلا عن حب والده للعلم وتقريبه للعلماء وعقده لمجالس المناقشات في بيته إلا أنها كانت مناقشات من نوع خاص حيث (كان والده محبا للفلسفه والفلاسفه فكان يطالع رسائل إخوان الصفا كما كان يستضيف الحكماء في داره وقد كان أيضا على صلة وثيقة بدعاة الشيعة من المصريين)(١).

وقد أراد الوالد جذب ابنه لهذا الطريق. وعن هذا يتحدث الشيخ الرئيس بقوله (وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعد من الإسماعيلية وقد سمع ذكر النفس والعقل على الوجه الذى يقولونه ويعرفونه وكذلك أخي ....وأنا أسمعهم وأدرك ما يقولونه ولاتقبله نفسي وابتدأوا يدعونني أيضا إليه)(٢).

وعلى الرغم من التصريحات المبكرة للشيخ الرئيس بالتبرؤ . إلا أنه لم يسلم ليجد نفسه مهيأ لأن يكون فيلسوفا يقول العقاد عن هذا (بعض العباقرة ينبغون في وطن من الأوطان أو عصر من العصور فيستغرب نبوغهم فيه . أما ابن سينا فلا يستغرب نبوغه في عصره ولا في وطنه ولا في بيئته. بل الغريب أن يكون العصر والموطن على تلك الحالة ثم لا يظهر فيه نابغ فيلسوف)(٣).

رحلته العلمية :- (٤)

نبغ ابن سينا منذ نعومة أظافره فحفظ القرآن الكريم وهو ابن العاشرة.ثم درس الأدب واشتاقت نفسه للاطلاع على كتاب الحياة من خلال علومها المختلفه .فدرس اللغة على يد أبي بكر ابن البرقي الخوارزمي.ثم درس الفقه على يد إسماعيل الزاهد وبرع حتى ألف طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب على ما برع فيه أهله . ثم درس الحساب الفلكي (حساب الهند)

----

(١) ابن سينا الدين والفلسفه د/ حموده غرابه/٣٥.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن اصبيعه / تحقيق نزار رضا ٢١٧

(٣) ابن سينا – العقاد ١١.

(٤) انظر في ذلك عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن اصيبعه نزار رضا ٤٣٨.

على يد رجل اسمه محمود المساح.ثم درس المنطق على يد عبدالله الناتلي الذى استدعاه والده لتدريس المنطق له فقام بتعليمه.ودرس على يديه كتاب إيساغوجى فى المنطق . وظهر نبوغه فى هذا الفن فحقق لأستاذه مفهوما جديدا لحد الجنس/ المقول على كثيرين مختلفين فى الحقيقة واقع فى جواب ما هو . مما أظهر إعجاب أستاذه به وحذر والده من شغله بغير العلم. ثم توجه بنفسه فقام بحل غامض الرموز وأشكال المنطق. وكان منها كتاب المجسطى فى علم الهيئه الجغرافية لبطليموس ثم درس الطب فكثيرا ما رأى المرضى يتساقطون حوله فرغب فى دراسته ولم يك الأمر صعبا فهو يرى أن علم الطب من العلوم الميسرة بقوله (فلا جرم أنى برزت فيه فى أقل مدة) وتلقى هذا العلم على يد أبى منصور الحسن بن نوح القمرى كما كان يتردد إلى سهل المسيحى. وقد ضم لدراسته النظريه الطبية الدراسة العملية . حيث كان يتعرف على ظروف المرضى وأحوالهم النفسية والاجتماعيه يقول (وتعهدت المرضى فانفتح على من أبواب المعالجات المقتبسه من التجربة ما لا يوصف........).

ثم أعاد الشيخ الرئيس قراءة ودراسة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة فقرأ فلسفة أرسطو الطبيعية من غير معلم. ثم توغل فى فلسفته الإلهيةوما كتب عليها من شروح القدماء . وقرأ رسائل إخوان الصفاء ثم كان اطلاعه على تراث أستاذه الفارابى الذى فتح له أبواب الفكر الأرسطى المغلقه بعد قراءته لكتاب (ما بعد الطبيعة) أربعين مرة فلم يستطع فهمه إلا بعد اطلاعه على تفسير الفارابى لهذه الأراء فى كتابه (أغراض ما بعد الطبيعة) بعد يأس تام من هذا العلم وجد ضالته وفى هذا يقول (فانفتح على فى الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب إنه كان لى محفوظا على ظهر القلب)(١).

ويلاحظ القارئ على الشيخ الرئيس سعه أفقه وصبره فى مدارسة العلوم وقوة احتماله التى ينبغى أن يتصف بها طالب العلم.ورحلة الشيخ العلمية وما حوته من احتفاءلأكثر العلوم ـ' دعتبعض الباحثين وصف رحلته العلمية بالخيال. ولكن الغموض يزول من خلال بيان لمنهج الشيخ الرئيس فى دراسته للعلوم التى طالعها بدون معلم .

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ابن اصبيعه نزار رضا ٤٣٨.

منهجه :-

اتخذ الشيخ الرئيس منهجا خاصا به فقد كان العلم يشغله يقظة ومناما،وما عسر عليه حله من مسائل .كان يستعين على حل غامضها وفك رموزها بالصلاة والابتهال إلى مبدع الكل حتى ينفتح عليه غامضها وكان يرى حلها أيضا في منامه . يقول العقاد: (وليست هذة الحالة بغريبة على أرباب العلوم فهى حالة يعرفها الدارسون ولا يستغرب في رأى العلم الحديث لأن الوعى الباطنى ينبه في هذا الحال فيتعاون العقلان ولا ينفرد العقل الظاهر بالتفكير)(١).

وهكذا كان الشيخ الرئيس نشيطا في طلبه للعلم ومنهجه كان من نوع خاص في دراسته للكتب بنفسه فكانت طريقته في الاطلاع بعد أن تمكن من العلم أن يتصفح (..ولا يتتبع حتى يمتحن قدرة المؤلف بأصعب موضوعات في الكتاب)(٢).

وهذا ما يفسر قوله عن قراءة كتب مكتبة " نوح بن منصور " سلطان بخارى على الرغم من ضخامتها في فترة يسيرة يقول (فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها وعرفت مرتبة كل رجل في علمه)(٣).

وقد كان للتنظيم أثره في حياة الشيخ الرئيس وعلمه . فعلى الرغم من تلك الحياة المضطربة إلا أنها (كانت زاخرة بالنشاط والعمل حافلة باللهو والمتعة وغشيان مجالس الشراب والطرب فلقد كان مقبلا على الحياة بقدر إقباله على العلم)(٤).

فكان يصرف أعمال دولته نهارا ويعمد للتأليف والكتابة ليلا فإذا ما انتهى حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم وهيئ مجالس الشراب بالآته.

ابن سينا والسياسة :-

كانت شهرة الشيخ الرئيس سببا في تقريب الأمراء له لنبوغه النظرى والعملى يقول العقاد : (وكانت شهرته بالطب وبالعلم تغريان الأمراء بتقريبه وتزين مجالسهم باسمه وفضله)(٥).

---

(١) ابن سينا العقاد ١٣. (٢) ابن سينا – العقاد دار المعارف ١٥.

(٣) عيون الأنباء فيطبقات الأطباء ابن اصبيعه نزار رضا ٤٣٨.

(٤) من الفلسفه اليونانية الى الفلسفة الاسلامية د/ محمد عبدالرحمن ٤٧٧.

(٥) ابن سينا – العقاد ١٨.

فقد استطاع علاج الأمير نوح بن منصور سلطان بخارى فأغدقه بعطاياه وفتح له أبواب مكتبته على مصراعيها فنهل منها ما شاء. كما نال عملا من أعمال الدولة واستطاع أن ينال ثقة أمير كركانج . الذى حماه من سلطان غزنة والذى اشتهر بتعصبه ضد الفلسفة والفلاسفة وفى كنف وزيره استقر به المطاف قليلا.وفى إمارة الرى استطاع علاج أميرها مجد الدولة والذى كان مريضا بالسوداء.فأتحفه بعطاياه ولم يلبث كثيرا حتى عمد إلى همدان فقربه أميرها نظرا لعلاجه إياه وألحقه بالوزارة ولكن الوزارة لم تدم له طويلا.فقد تكالب عليه الجنود نظرا لإفشاء أسرارهم على يد الشيخ الرئيس من تلاعبهم بأموال الإمارة لحسابهم الخاص (وقاموا بإعلان العصيان ضده وكسروا داره وأخذوه إلى الجيش وطلبوا من الأمير قتله فاكتفى بنفيه)(١).

ولكن شمس الدوله سرعان ما جد فى طلبه مرة أخرى نظرا لمعاودته علته فأحضره واعتذر له وبعد ممات شمس الدولة تقلد الأمارة سماء الدولة والذى دفع بفيلسوفنا إلى السجن فلبث فيه بضعة شهور وكانت تهمته مراسلاته السرية مع أمير أصفهان وكان يظن أن الخروج محال فأنشد يقول :- دخولى باليقين كما تراه وكل الشك فى أمر الخروج.

وبعد أربعة أشهر كان خروجه حيث استقر به المطاف فى كنف أمير أصفهان والذى كان محبا للشيخ الرئيس واستمرت علاقتهما مدة أربع عشرة سنة بين حب متبادل يتخلله نهضة ثقافية كان رائدهاالشيخ الرئيس والذى حمل على عاتقه وقتذماكلفه به علاء الدولة أمير أصفهان من أمور.

وتمتاز حياة الشيخ الرئيس السياسية بالتقلب والاضطراب جعلته كما يقول ديبور (ينتقل من قصر أمير إلى قصر أمير أخر يشتغل بتدبير الدولة حينا وبالتعليم وتصنيف الكتب حينا أخر)(٢). وألبت عليه الأعداء كما جلبت له الأصدقاء فوضعها لا يستقر على حال.

وفاته :-

على الرغم من هذه الحياة العريضة القصيرة التى رغبها ابن سينا وفضلها على الحياة الطويلة الضيقة إلا أن نجمه أفل.فعلى الرغم من علاجه للأمراء إلا أنه لم يستطع معالجة نفسه فلم يشفع طبه له فأصيب بالقولنج (احتباس الريح إثر ما تسببه قرحة المعدة) وكان مما زاد الأمر عليه حرصه على تلبية رغباته الجسدية ريثما المزاجية وحرصه الدائم على ملازمة علاء الدولة فى سفره وإقامته أدى الى سوء علته .

---

(١)عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ابن اصيبعه نزار رضا ٤٣٨.

(٢) تاريخ الفلسفه فى الإسلام دى بور د/ محمد عبدالهادى أبو ريده ٢٤٧.

(وفى أثناء إقامته حقن نفسه فى يوم واحد ثمان مرات فتقرح بعض أمعائه فظهر به هناك الصرع فاتخذ طبيبا مساعدا له)(١) .

فكان لرداءة علمه وقلة فهمه أن خلط التركيبات العلاجية (فوضع له عمدا أو خطأ زنة خمسة دراهم)(٢).

فأزداد المرض عليه ناهيك عن استعجال موت الشيخ طمعا فى ماله من قبل بعض غلمانه الذين (قاموا بوضع الأفيون بالمتزود الخاص بعلاجه لأجل الصرع وكانوا قد خانوه فى مال كثير فتمنوا هلاكه)(٣).

فنقل الشيخ إلى أصفهان فاشتغل بعلاج نفسه فلم يزل يعالج نفسه إلى أن أهمل مداواة نفسه وأخذ يقول:

(إن المدبر الذى كان يدبرنى قد عجز عن التدبير فلا تنفع المعالجة ثم اغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء إلى من عرف ممن اتصل بهم واعتق مماليكه وأقبل على قراءة القرآن فكان يختمه مرة كل ثلاثة أيام)(٤).

إلى أن وفاته المنية.

وكما اضطربت وتقلبت حياة الشيخ الرئيس تقلب المؤرخون فى تحديد يوم وفاته ومكان دفنه (فيذكر البيهقى أنه انتقل إلى الرفيق الأعلى فى يوم الجمعة الأولى من رمضان سنة ٤٢٨هـ . أما غيره فلا يحدد اليوم بل يرى أن الشهر شهر رمضان فقط)(٥). دون تحديد ليوم بعينه وقد تابعه ابن خلكان أيضا (فيرى أنه توفى بهمذان فى يوم الجمعة من شهر رمضان سنه ثمان وعشرين وأربعمائة ودفن بها)(٦).

ويرى ابن حجر فى لسان الميزان (أنه توفى بهمذان فى يوم الجمعة فى رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وله ثمان وخمسون سنة)(٧).

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ابن اصبيعه نزار رضا ٤١٤.

(٢) سير اعلام النبلاء الذهبى تحقيق شعيب الارنوؤطهحمد نعيم ٥١٤.

(٣) نفسه ٥١٤.

(٤) وفيات الأعيان - ابن خلكان د/ احسان عباس ١٦٠.

(٥) ابن سينا الدين والفلسفه د/ حموده غرابه ٤٨.

(٦)وفيات الأعيان ابن خلكان تحقيق احسان عباس ١٦٨.

(٧) لسان الميزان - ابن حجر ٣٢٣.

ويوافقه ابن كثير في بدايته فيرى.....
(أنه مات يوم الجمعة قبل شهر رمضان عن ثمان وخمسين سنة)(١).

ويخالف ابن الأثير في تاريخه السابقين من المؤرخين فيرى إنه (توفي في شهر شعبان ولم يكن موته في رمضان ولم يكن بهمدان بل كان بأصفهان)(٢).

وإذا كانت جل الروايات تجمع على دفنه بهمدان دون أصفهان فإن ابـن أصيبعة صاحب عيون الأنباء يجمع هذه الأراء بقوله (ودفن تحت السور من جانب القبلة في همدان وقيل إنه انتقل إلى أصفهان ودفن في موضع على باب كونكيد)(٣).

ونميل إلى رأى إبن خلكان على ما ذكره فـي وفياته . وهكـذا دفـع ابـن سـينا (ضريبـة العظمـة يدفعها النوابغ ثمناً لميزتهم على سائر الناس)(٤).

ولم يك الإضطراب خاصا بالمؤرخين المسلمين فحاول بعض الأوربين أن ينالوا من الشيخ الرئيس فيرون (أنه دفن بالمغرب في الأندلس بسعي ابن رشد وتدبيره)(٥).

ولا شك أن هذا الرأى يظهر تهافته وقيل بسمرقند. وهكـذا حـاول كـل فريـق أن ينسب الشرق إليه خاصة من الأوربيين.

وكما اختلف حول تحديد يوم وفاته ومكان دفنه حاول بعض حاسديه إبداء وجهتهم بـأن الشيخ مات محبوسا مستشهدين بأقوال بعض حاسديه فيـه (وهـو كمـال الدين بـن يونـس الـذى أنشد يقول : (رأيت ابن سينا يعادى الرجال * وبالحبس مات أخس الممات)
(فلم يشـف مـا نالـــه الشفـاء * ولـم ينـج من موتـه بالنجـاة)(٦).

والمشهور أن الاحتباس إنما هو احتباس الريح الناتج عن قرحة المعـدة المتسـبب فيهـا كـثرة وعلو قواه الشهوانية على ما صرح الشيخ الرئيس نفسه.

---

(١) البدايه والنهايه - ابن كثير ٤٢ ،١٣.

(٢) الكامل في التاريخ - ابن الأثير ٤٥٦.

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن اصيبعه / نزار رضا ٤١٥.

(٤) ابن سينا بين الدين والفلسفه د/ حموده غرابه ٤٨.

(٥) ابن سينا العقاد ٢٣.

(٦) وفيات الأعيان ابن خلكان د/ أحسان عباس ١٦٢.

ابن سينا بين أنصاره وخصومه:-

هكذا تنازعته الآراء حسب كل عظيم يبرز فى أى ميدانفلم يسلم من معاداة الرجال له بيد أنه لم يعدم أنصارا يرفعونه إلى الثريا فلقد بلغ ببعض أنصاره من المؤيدين له أن رأى أن كل من يعترض على الشيخ الرئيس (بأنه يزج نفسه من زمرة أهل العقل ويسلكها فى مسالك المجانين ويعرضها فى مجمع أهل العته)(١).

وعلى الوجه المقابل وصفه ابن الصلاح (بأنه لم يك من علماء الإسلام بل كان شيطانا من شياطين الإنس)(٢).

وتابعه فى وصفه ابن حجر بقوله (ما أعلمه روى شيئا من العلم ولو روى لما حلت الراوية عنه لأنه فلسفى النقلة ضال لا رضى الله عنه)(٣).

وعلى الزغم من الحب الجارف والبعض الدانى فانهما ليسا بوجهين يتصف بهما طالب العلم ومعلمه فإن التعصب قبولا ورفضا مرفوض فكل يؤخذ منه ويرد.فالعصمة من شيم الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) وإلا فسنغلق الأبواب على كثير من الفلاسفة وغيرهم والمعول عليه أن ما وافق الحق منها قبلناه وما خالف عزلناه ونبهنا عليه والتمسنا العذر لصاحبه وإلا فلا محاكمة لأشخاص قد مضموا إلى ربهم وهم اليوم رهائن أعمالهم وبقيت أقوالهم وهى التى يحكم فيها إما بأخذ أو برد.

مؤلفاته:-(٤)

إن التخصص فى فن معين من العلوم لم يك ليعرف طريقه فى فكر الشيخ الرئيس فقد كتب بنفسه وألف وألمى على تلميذه الجوزجانى فى شتى العلوم وبرز نجمه وفاق أربابها على الرغم من الصعوبات التى واجهته أثناء تدوينه.فكان نتائج هذا العمر تراثا فلسفيا ما بين مخطوط ومنسوخ وما بين كتاب ورسالة ومقالة وقد.حاول بعض الباحثين حصر مؤلفاته بحسب رحلاته لكن الحصر أسقط بعضا منها.

وعلنا نقف عند أشهرها فلم يكن أعجب من سرعته فى التحصيل من سرعته فى التدوين فقد كان يكتب فى اليوم خمسين ورقة فجاءت مصنفاته تزيد على المائتى مؤلف كان منها:-

---

(١) التفكير الفلسفى فى الأسلام د/ عبدالحليممحمود ٢٧١.

(٢) شذرات الذهب العماد الحنبلى ٢٣٧.

(٣) لسان الميزان ابن حجر ٢٩١.

(٤) ابن سينا مؤلفاته وشروحها المخطوطة فهرسة فؤاد سيد.

١- الشفاء :

جمع فيه العلوم الأربعة وصنف طبيعياتها وإلهياتها فى عشرين يوما بهمذان وألف بعض أجزائه أثناء اختفائه فى دار أبى غالب العطار والكتاب عبارة عن موسوعة فلسفية (تشتمل على أربعة أقسام – المنطق – الرياضيات – الطبيعيات – الإلهيات)(١).

٢- القانون فى الطب :

دون بعضه بجرجان وبالرس وثمة بهمذان وعول أن يعمل له شرحا وتجارب وهو عمدة المعارف الطبية والتى عملها ابن سينا لمريديه ولكنه لم يسلم من النقد (فتناوله الدهماء واعتقدوا القدرة فى ابن سينا على إحياء الجسوم أما الخاصه فقد جعلوه مرجع الطب أربعة قرون فى الجامعات الأوربية)(٢).

(وبقى يتدارس فى جامعات أوربا إلى القرن السادس عشر وفى بعض المعاهد الإسلامية إلى أوائل هذا القرن)(٣).

وقال عنه صاحب الأعلام (أنه بقى معولا عليه فى علم الطب وعمله ستة قرون وترجمه الفرنج إلى لغاتهم وكانوا يتعلمون فى مدارسهم وطبعوه بالعربية فى روما ١٤٧٦ فى أربع مجلدات بعد اختراع ألة الطباعة بنحو ثلاثين عاما)(٤).

٣- النجاة :

صنفه فى طريق سابور خوارست وهو فى خدمة علاء الدولة ويعد اختصارا لكتابه الشفاء ويقال أنه تركه ناقصا فأكمله تلميذه الجوزجانى (ويبدو أن ما يتعلق بالرياضيات فى هذا الكتاب كتبه أبو عبيد الجوزجانى ويشتمل على المنطق والرياضيات والطبيعيات والإلهيات)(٥).

---

(١) ابن سينا محمد كامل الحر ٢١.

(٢) ابن سينا العقاد ٢٦.

(٣) فى الفلسفه الإسلامية منهج وتطبيقه ابراهيم مدكور ١٦١.

(٤) الأعلام الزركلى ٢٤٢.

(٥) ابن سينا محمد كامل الحر ٢١.

٤- الإشارات والتنبيهات :

يقول عنه ابن أبي أصيبعة،(أخر ما صنف في الحكمة وأجوده وكان يضن بها)(١).
وقال عنه/د/عبدالحليم محمود :

(لقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة بين أرجاء العالم شرحه الكثيرون من متفلسفي العرب من بينهم ابن كمونه والطوسي والرازي)(٢).

والكتاب يلخص أبواب المنطق فيعشرة مناهج ومسائل الحكمة في عشرة أنماط يقول د/مدكور (هذا الكتاب من المؤلفات السينوية يتمية العقد وجوهريته ثمينه وثمرة النضوج والكمال يمتاز بسمو أسلوبه وعمق أفكاره...)(٣).

ومن مقالاته التي ذكرها ابن أصيبعة :

١-(مقالة في الإشارة إلى علم المنطق .
٢- مقالة في تعاليم الحكمة والعلوم .
٣- مقالة في هيئة الأرض من السماء وكونها في الوسط .
٤- مقالة في الأجرام السماوية وغيرها من المقالات .

ومن رسائله أيضا :

١- رسالة حي بن يقظان والتي وصنفها أثناء سجنه بالقلعة .
٢- رسالة الطير المرموزة وتصف ما يوصله إلى علم الحق .
٣- رسالة الأضحوية في المعاد وصنفها للأمير أبي بكر محمد بن عبده.
٤- رسالة في العشق ألفها لأبي عبدا لله الفقيه .
وغيرها من الرسائل)(٤) .

---

(١) عيون النباء في طبقات الأطباء - تحقيق نزار رضا ٤٥٥.
(٢) التفكير الفلسفي في الأسلام د/ عبدالحليممحمود ٢٧٢.
(٣) نفسه ٢٧٢.
(٤) عيون الأنباء في طبقات ابن اصيبعه تحقيق نزار رضا ٤٥٥.

ومن مؤلفاته المخطوطة على ما يذكرها محمد كامل وإن طبعت فيما بعد .

١ -(عيون الحكمة توجد منه نسخ خطية فى مكتبة الفاتيكان مكتبة لندن ومكتبه يوهار فى الهند وفى برلين وجامعة كمبردج بلندن وغيرها....)(١).

وهو مطبوع الآن حققه د/ عبدالرحمن بدوى(٢).

٢ -(شرح أسماء الله الحسنى) يعتز به المتحف البريطانى بنسخة خطية له .

٣ - (إثبات وجود الله) يعتز بها المتحف البريطانى)(٣).

وله أثار شعرية ومن أهمها قصيدته العينية فى النفس .

تلك إشارة موجزة عن أهم مؤلفات الشيخ الرئيس والتى حملت اسمه وخلدت ذكره على مر العصور .

---

(١) عباقره خالدون - محمد كامل حسن المحامى ٨٦ .

(٢) أنظر عيون الحكمة - ابن سينا تحقيق عبدالرحمن بدوى .

(٣) عباقرة خالدون - محمد كامل حسن المحامى ٨٧ .

وحدانية نور الأنوار :

حرص الشيخ الرئيس فى أكثر من موضع من كتبه على إثبات وحدانية واجب الوَجود .. نور الأنوار – وانتهى الرجل لتلك النتيجة التى صور فيها وحدانيته تعالى فهو (واحد من جهة أن حده له وواحد من جهة أن لكل شىء وحده تحصل بها كمال حقيقته ، الذاتية وأيضا هو واحد من جهة أخرى وتلك الجهة أن مرتبته من الوجود وهو وجوب الوجود ليس إلاله) (١).

ومن حرصه لإثباته مغايرةواجب الوجود للموجودات يقول(واجب الوجود لايشارك شيئا من الأشياء فى ماهية ذلك الشىء لأن كل ما هية لما سواه مقتضية لإحكامه الوجود وأما الوجود فليس بماهية لشىء ولا جزأ من ماهية شئ أعنىالأشياء التى لماماهية لايدخل الوجود فى مفهومها بل طارئ عليها فواجب الوجود لايشارك شيئا من الأشياء فى معنىجنس ولا نوعى ..) (٢).

وفى المقابل نجد شيخ الإشراق يتابع الشيخ الرئيس فى إثبات وحدانية نور الأنوار بقوله (ولا يتصور وجود نورين غنيين فإنهما لاختلفان فى الحقيقة،لما مضى ولايتأثر أحدهما عن الأخر بنفس ما اشتركا فيه ولا بأمر يفرض أنه لازم لتحقيقه إذ يشتركان فيه ولايعارض غريب كان ظلمانيا أو نورانيا فإنه ليس وراءهما مخصص وإن خصص أحدهما نفسه أو صاحبه فيكونان قبل التخصص معينين لا بالمخصص ولا يتصور التعين والاثنينية إلا مخصص فالنور المجرد الغنى واحد وهو نور الأنوار)(٣).

وهكذا نراه يقترب بدليله من دليل المتكلمين حول إثبات الوحدانية الإلهية . ومع الجهد المبذول من الرجلين فى إثبات وحدة نرر الأنوار أو واجب الوجود " إلا أنهما قد حرصا على التوفيق بين الدين والفلسفة .

(إذ كيف يستقيم تصور البساطة فى مفهوم الله الذى هو واجب الوجود والذى هو تبعا لذلك لا حد له ولا ينقسم فى الكم والمقدار مع ما يجب أن يتصف به من الخلق والقدرة والإرادة والحياة) (٤).

---

(١) النجاة – لابن سينا – تقديم ماجد فخرى ، ص ٢٦٧ .

(٢) الإشارات والتنبيهات – لابن سينا – تحقيق د / سليمان دنيا . ٤٩ القسم الثالث.

(٣) حكمة الإشراق – السهروردى – تحقيق هنرى كوربان . ١٢٢.

(٤) الجانب الالهى من التفكير الإسلامى . د / محمد البهى ٣٨٨ .

والسهروردى نفسه ينفى صدور الكثرة عن الواحد بقوله (لايجوز أن يحصل من نـور الأنـوار نـور وغير نور من الكلمات كان جوهرها أو هيئتها فيكـون اقتضاء النـور غير اقتضاء الظلمة فذاته تصير مركبه مما يوجب النور ويوجب الظلمة) (١).

فأخص خصائص نور الأنوار أو واجب الوجود لديهما البساطة فى وحدته فكان نتاج هذا الأمر انبثاق الكثرة عنه أو صدورها كما تصدر الحرارة عن النار. فكان عالم العقول أو عالم الأنوار ثم عالم العناصر ، وذلك تفاديا المكثرة فى ذات الواجب ، أو نور الأنوار .

خيرية ومعشوقية نور الأنوار :

قبل أن نتكلم على عالم الأنوار وصفاته وينبغى أن نعلم أن نـور الأنـوار يمثل الخير المطلق والعشق الدائم لدى الرجلين ، حيث يرى الشيخ الرئيس أن العشق تابع لخيريته تعالى المطلقة فهو عاشق لذاته معشوق لذاته عشق من غيره أو لم يعشق كما بين الشيخ الرئيس أن العشق هو (مبدأ النزوع إليه عند بينونته إن كان مما يباين والتأحد عند وجوده) (٢).

ويرى أيضا أن الموجودات نفسها لا تخرج عن إطار العشق فى وجودها بقوله (فالموجودات إما أن يكون وجودها بسبب شىء فيها وأما أن يكون وجودها هو العشق نفسه) (٣).

كما تسعى تلك الموجودات لديه لنيل الكمال بمعشوقية منورها.

حيث إنه هو (الغاية فى المعشوقية والغاية فى عاشقيته الغاية فى معشوقيته أعنى بذلك ذاته تعالى إذ الخير يعشق الخير) (٤).

ويبين أيضا أن هذه الخيرية الفائضة عنه والتى هى كرم جوده نابعة من ذاته فيقول (من المحال أن يستفيد العلة الأولى خيرية غير ذاتية فيه ولا ضرورية فى قوامه وذلك لأن العلة الأولى يجب أن يكون فائزا فى ذاته بسمة الخيرية) (٥).

---

(١) حكمة الإشراق - السهروردى - تحقيق هنرى كوربان ١١٥ .

(٢) الإشارات والتنبيهات - لابن سينا - تحقيق د / سليمان دنيا - القسم الرابع ٤٢٠ .

(٣) نفسه - ص ٢٤٧ . (٤) رسالة فى ماهية العشق . لابن سينا . تحقيق د . حسن عاصى - ٢٤٧ .

(٥) نفسه - ص ٢٦٢ .

ويتأتى هذه الخيرية منه باعتباره يتسم بسمة الخلق (إذ هو السبب الأول لقوامها واثباتها على أخص وجوداتها واتساقها فى كمالاتها إذ العلة الأولى خيرمطلق من جميع الوجوه) (١).

لكن ما الداعى لهذا العشق-السائر فى الموجودات علوية أو سفلية إذ لولاه (لما لابست المادة صورتهما لا طلب النبات غذاءه ولا نزع الحيوان إلى الانتقام) (٢).

إذ أن صلاح حياة الكائنات لا يتم إلا فى تعشقها لمبدعها إذ هو سبب الحياة ورقيها نحو الكمال وهذه الدرجة من الكمال لا تتحقق الا بالعشق ، يقول : جميل صليبا . (وقد اقتضت حكمه الخالق أن يغرز فى كل موجود . . . عشقا كليا من الكمال كما خلق فيه نزوعا إلى إكتساب الكمال عند خلوه عنه فمن الضرورى إذن أن يوجد العشق فى جميع الموجودات) (٣).

كما لايقف الأمر العشقى عند هذا الحد فى توليد تلك الموجودات وجهها شطر الحق سبحانه كمعشوق يتسم بسمات الكمال بل إن العمل نفسه يدور فى دائرة العشق (حيث إن النفوس السماوية مثلا لاتحرك أجسامها إلا لتنال من وراء ذلك كمالا فلولا شوقها إلى الكمال لما حركت أجسامها ولولا رغبتها فى الخير ما جهدت فى الدوران ذلك لأن الخير بذاته معشوق والخير عاشق للخير) (٤).

فالأمر لدى الشيخ الرئيس لايخرج عن وجود تيارين أحدهما صاعد ويتمثل فى العشق الدائم والآخر هو ما يتمثل فى محض جوده وكرمه لمن هيأ نفسا واستعد لنيل إشراقات الإله ونفحاته . ومن الشيخ الرئيس ننتقل للشيخ المقتول لنتعرف على تلك الخيرية المطلقة لنور الأنوار .

يرى الشيخ المقتول السهروردى (أن نور الأنوار يمثل القهر والعشق معا فهو يقهر كل شىء آخر ويعشق الذات العليا الكلية الجمال التى هى نفسه

---

(١) رسالة فى ماهية العشق ابن سينا تحقيق حسن عاصى ٢٦٣ .

(٢) الكتاب الذهبى ، مقال بعلوان - نظرية الخير - بقلم / جميل صليبا . ١٩٥ .

(٣) نفسه ، ١٩٤ .

(٤) نفس المرجع ١٩٥ .

وفى هذا العشق الثانى ينال منتهى السعادة وهى الشعور بحيازة الكمال الأقصى والاستغراق فى تأمله) (١).

ولذلك يقول (.. الأنوار إذا تكثرت فللعالى على السافل قهر وللسافل إلى العالى شوق وعشق فنور الأنوار له قهر بالنسبة لما سواه ، ولا يعشق هو غيره ، ويعشق هو نفسه ، لأن كماله ظاهر له وهو أجمل الأشياء وأكملها وظهوره لنفسه أشد من كل ظهور لشيء بالقياس إلى غيره ونفسه وليست اللذة إلا الشعور بالكمال الحاصل من حيث إنه كمال وحاصل)(٢).

فالإله – نور الأنوار – لدى الرجل يمثل العشق والمعشوقية وكل الكائنات تسعى لنيل لذة الوصول به والاتصال بجوده وهكذا (ينتظم الوجود كله من المحبة والقهر) (٣).

فالقاسم المشترك بين الرجلين يبرز فى بيان علاقة نور الأنوار بمخلوقاته علوية أو سفلية فى إطار العشق والمحبة والقهر والغلبة فهما التياران الساريان فى الكون كله ليكون من خلالهما علاقة متبادلة بين العالم السفلى ونور الأنوار وأيضا الموجودات العلوية فى سعيها المتواصل لنيل الكمال فيسيران تحت شعار واحد ألا وهو القهر والمحبة .

مشكلة الاتحاد والوحدة الوجودية :

على الرغم من جهد كل من الشيخ الرئيس وشيخ الإشراق فى إبراز الدلائل التى تبرز وحدانية الله سبحانه وتعالى وبيان معشوقيته لغيره ولنفسه إلا أن للوحدة جانبا آخر تبرز من خلاله وذلك عند انتهاء معراج السالك الإشراقى عند الرجلين فهل ينتهى معراجه بالاتحاد أو بالوحدة ؟

فالشيخ الرئيس يرى أن السالك-العارف-ينتهى بمعراجه لدرجة تصبح فيها (..نفسه مرآة صقيلة تعكس نور الله فهو ينسى نفسه ويغيب عنها ولكنه لايفنى فى الله وهو يملأ نفسه من النور الذى يغشاه ولكن نفسه لاتنحل انحلالا تماما فى منبع النور لأن الرائى يبقى عند ابن سينا غير المرئى والعالم غير المعلوم) (٤).

---

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامى ماجد فخرى ترجمة كمال اليازجى ٤٠٨ .

(٢) حكمة الإشراق السهروردى تحقيق هنرى كوربان ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) أصول الفلسفة الإشراقية د / محمد على أبو ريان ١٦٥ .

(٤) الكتاب الذهبى نظرية الخير جميل صليبا ١٩٨ .

الفصل الثانى

عالم العقول - عالم الأنوار

تمهيد :

لقد حاول فلاسفة اليونان ومن بعدهم فلاسفة الإسلام تنزيه الحق سبحانه وتعالى عن كل ما يشوب ذاته من نقص وأفرطوا فى تنزيههم وكان موقف فلاسفة الإسلام موقف حيرة وتذبذب بين فكر يونانى يفسر وحدته تعالى بمفهوم خاص يتنافى مع كمال علمه وإحاطته بخلقه ويسلبه بعض صفاته الواجبة له . وبين مفهوم إسلامى عاشوا وتربوا على تعاليمه قرآنا وسنة . يثبت لله الخلق والأمر والعلم والقدرة . وسائر صفاته الأخرى فما كان منهم إلا أن حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة ومحاولة فهم الوحدة فهما خاصا لا يتعارض مع كلا الأمرين ومع الاعتقاد الخاطىء منذ البداية كان الاعتماد على كتابين قد نسبا خطأ لأرسطو طاليس (حيث كان الاعتقاد قائما بأن كتاب أثولوجيا وكتب الخير المحض هما لأرسطو مع أن الأول ملخص لبعض أبواب التاسوعات لأفلوطين والثانى ملخص مهموش لكتاب المبادىء الإلهية لأبروقلس) (١).

فعمليه التوفيق منذ بدايتها كان يشوبها عدم الدقة والأمانة العلمية التى لم تكتشف إلا بعد المحاولة التى قام بها الفارابى معتمدا على هذين الكتابين ولكن الوجه المشترك لكلا الفريقين يتمثل فى نظرية الصدور الأفلوطنية الأصل يقول د / محمد العدل (٢) .

(وهكذا تلاقى الإشراقيون والمشاؤن فى اعتقادهم بنظرية الصدور الأفلوطنية نظرا لاعتقادهم ضرورة الحاجة إليها من باب التوفيق بين الدين والفلسفة) .

ولما كان ارتباطنا بتلك النظرية ارتباطا وثيقا كان علينا أن نسير معها ليتبين لنا كيف نشأت العقول النورانية مع بيان مرتبة كل عقل أو نور ومدى صلته بمنوره .

إلا أن عرضنا هذا يمتاز بإبراز وجوه إلتقاء واختلاف الرجلين فيما يختص بالفلسفة الإشراقية وإلا فالنظرية نفسها قد خط الباحثون فيها كتبا ومقالات عديدة فلا حاجة بنا لتكرار ما ذكر .

---

(١) الجانب الإشراقى من التفكير الفلسفى د / محمد العدل الباز ٢٧٨ .

(٢) نفسه ٢٧٨ .

أولا : الشيخ الرئيس ومحاولة تفسير الوحدة :

تبدأ تلك النظرية لدى ابن سينا من زاوية التوحيد حيث يرىأن الواحدلايصدرعنه إلاواحد فكيف نشأت هذه الكثرة عنه مع أحديته المطلقة من كل وجه حيث إنه (لو صدر عنه اثنان لاقتضى ذلك أثنينية فى ذات الواحد وهو واحد) (١) .

فكان من محض جوده الذى لا ينقطع لا لعوض أو نقص فيه فهو (الجواد الحق هو الذى تفيض منه الفوائد لا لشوق منه وطلب قصدى لشىء يعود إليه) (٢).

فاضت تلك العقول النورانية عنه والتى فى قمة الترتيب الفيضى فهو يمثل (غاية الجمال والكمال والبهاء الذى يعقل ذاته بتلك الغاية فى البهاء والجمال وبتمام التعقل ... يكون ذاته لذاته أعظم عاشق ومعشوق وأعظم لاذ وملتذ) (٣).

ومن هنا كان كيان العقول وصدورها بمحض خيريته المطلقة .

ثانيا : كيفية نشأة العقول :

إذا كانت هذه الجواهر المفارقة والتى وسمها الشيخ الرئيس بالمفارقة للمادة ولغيرها وجارى الشرع فى تسميتها بالملائكة حيث يوضح ذلك بقوله :

(وهى الملائكة المقربون المسماة عند الحكماء بالعقول الفعالة) (٤) .

يرى أن واجب الوجود نشأ عنه بطريق الفيض عقل أول فيه تقع الكثرة الاعتبارية ويمتاز بتبرئته عن المادة فالكثرة فى الأول الواجب ممتنعة (لأن تكثر الاعتبارات والجهات ممتنع فى المبدأ الأول لأنه واحد من كل جهة) (٥) .

ويمتاز العقل الأول بحيثيتين أن له تعقلا لذاته وتعقلا لمبدئه فمن حيث تعقله لمبدعه نشأ عنه عقل آخر ومن حيث تعلقه لنفسه نشأ عنه نفس الفلك ثم جرمه التابع له فالقسمة لديه ثلاثية . عقل ثم نفس فجرم. (أما العقل فهو القوة المحركة لفلك له على الدوام تحريكا غير مباشر وهو مفارق له ومعشوق له وغاية له.ونفس الفلك وهو القوة المتصلة به والمحركة له تحريكا مباشرا فى اتجاهه الخاص به.وحاجة الفلك مع هذه النفس إلى عقل مفارق.

---

(١) الاشارات والتنبيهات ابن سينا تحقيق د / سليمان دنيا ١٢٧ القسم الثالث .

(٢) نفسه ١٢٧ . (٣) النجاة ابن سينا تحقيق ماجد فخرى ٢٨٢ .

(٤) رسالة فى الدعاء والزيادة ابن سينا تحقيق حسن عاصى ٢٨٤ .

(٥) الإشارات والتنبيهات ابن سينا تحقيق د/ سليمان دنيا ٢١٧ القسم الثالث .

وحاجة الفلك مع هذه النفس إلى عقل مفارق هو محرك له أيضا لأجل دوام الحركة واستمرارها.وجرم الفلك هو الجزء المادى الآثيرى فى الفلك وهو الذى يتحرك بناء على تحريك محركه القريب (١) .

وتستمر سلسلة العقول لديه فى تنازل إلى أن تصل للعقل العاشر أخر العقول فى السلسلة الفيوضية. ويوجز الشيخ الرئيس تلك النظرية بقوله (وقد عرفت أن الله تعالى خلق أولا عقلا ثم بواسطة عقلا آخر وفلكا وبواسطة العقل الأخر عقلا ثالثا وفلكا ثانيا على الترتيب) (٢).

والعلاقة المتبادلة بينهما وبين خالقها الغير مباشر علاقة شوق ومحبة وتؤثر العقول بعضها فى بعض يقول الشيخ الرئيس (إن الراجب يؤثر فى العقول والعقول تؤثر فى النفوس والنفوس تؤثر فى الأجرام السمارية حتى تحركها وإنما بالحركة الدورية تشبها بتلك العقول واشتياق إليها على سبيل العشق والاستكمال) (٣).

ثالثا : علاقة الفيض بالاشراق :

تتجلى تلك العلاقة لدى الشيخ الرئيس فى الدافع لنشأة العقول إنما هو الخير المحض الذى يؤدى إلى الفيض وأن ما يدفع العقول لإستمرار حياتها إنما هو عشقها وشوقها لمبدعها فهو تيار سار فى الكون كله.كما أن العلاقة بين العقول نفسها بعضها البعض هى علاقة شوق ومحبة فكل عقل يتجه مرة للذى فوقه ومرد للذى تحته وتحدد مكانته حسب قربه أو بعده من مبدعه فى تسلسل تنازلى تصاعدى . بالإضافة لوصف الشيخ الرئيس تلك العقول بالطهارة وكمال العلم فيرى أنها مبرئة من الأمزجة والكيفات المتضادة مما يدعوها للعشق لمبدعها لترتقى فى طهارتها ولهذا يدعو الشيخ الرئيس السالكين للتشبه بالجواهر النورانية أو العقول المفارقة بقوله عن النفوس (إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابه جواهر أوائل العلل أى العقول) (٤).

---

(١) الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى د / محمد البهى ٣٤٦ .

(٢) رسالة فى النفس وبقائها لابن سينا تحقيق د / أحمد فؤاد الأهوانى ١٩٨ .

(٣) رسالة الدعاء والزيارة لابن سينا تحقيق حسن عاصى ٢٨٠ .

(٤) رسالة فى النفس وبقائها لابن سينا تحقيق د / أحمد فؤاد الاهوانى ١٩٨ .

فلها كل كمال ومرونة عما يلحقها من شوائب المادة ويسميها أحيانا بالسبع الشداد وبما هو لمشاكلتها بقوله (وشاكل بها السبع الشداد)(١).

ويقصد أفلاك العقول وهى زحل - المشترى - المريخ - الشمس - الزهرة - عطارد - القمر. فمن شاكل فقد فاز فى سلوكه وأشرقت عليه الأنوار الإلهية وهكذا تكون التزكية والتشبه بالعقول المفارقة من وراء صفاء النفس وشفافيتها. فتصبح كالمرآة الصقيلة التى تحازى شطر العقل الفعال أو اللوح فتنتقش فيها علوم الغيب ويفيض عليها العقل وتشرف عليها أنواره وعلومه .

رابعا : ترتيب الأنوار العلوية :

إن تفاوت العقول أو الأنوار إنما يرجع لديه فى قربها أو بعدها عن منورها ولذا نرى الشيخ الرئيس يرتبها على هذا الوضع بقوله إن (أجل مبتهج بشىء هو الأول بذاته لأنه أشد الأشياء إدراكا لأشد الأشياء كمالا الذى هو برىء عن طبيعة الإمكان والعدم .. والعشق الحقيقى هو الابتهاج بتصور حضرة ذات ما ... والأول عاشق لذاته معشوق لذاته عشق من غيره أو لم يعشق) (٢).

وفى المرتبة التالية (يقول ويتلوه المبتهجون به وبذواتهم من حيث هم مبتهجون به وهم الجواهر العقلية القدسية ثم تلى هذه المرتبة مرتبة ثالثة وهى مرتبة النفوس الناطقة الفلكية .. وبعد المرتبتين مرتبة العشاق والمشتاقين فهم من حيث هو عشاق.. ويتلو هذه النفوس نفوس أخرى)(٣).

وشاهدنا يتجلى فى ترتيب تلك العقول يرجع بأصله إلى مدى استعداد كل قابل من العقول وقربه وعشقه لمبدعه فالعقول - جواهر الأنوار - درجات متفاوتة وكذلك السالكون تتفاوت طبقاتهم حسب قرب المريد واستعداده فغايتنا ترجع للمشابهة والمشاكلة فكلما ذكى السالك نفسه وشابه تلك الجواهر المفارقة كان حييا بقربه وارتقاء درجته ونيله من إشراقات مبدعه وكلما بعد حيث لابس الأجساد صار مقام القرب بعيدا والإشراق أمله ضعيفا.

---

(١) رسالة فى النفس وبقائها لابن سينا تحقيق د / أحمد فؤاد الاهوانى ١٩٨ .

(٢) الإشارات والتنبيهات لابن سينا تحقيق د / سليمان دنيا القسم الرابع ٤٠ .

(٣) نفسه ٤٠ .

- وهكذا تتفاضل تلك الجواهر العلوية فهي (تسبح في بر من الخير فسرد ذلك إلى أن العالم يفيض عن الله كلما صعدت من الأدنى إلى الأعلى في مراتب الوجود إزداد الخير ونقص الشر)(١).

خامسا : العقل الفعال - دوره - مرتبته :

تنقطع السلسلة العقلية عند العقل العاشر وهو مايسميه الشيخ الرئيس بالعقل الفعال وعلى الرغم من انحدار رتبته إلا أنه يمتاز بالإشراق على نفوس السالكين فهو هاديهـ لعالم العقول ويعتبر همزة الوصل بين عالم العقول - الأنوار - وعالم الأنفس الأرضية فهو يهب الصور المطبوعة فيه على نحو كلي وفي النفوس على نحو جزئي وينقش صور العالم الغيبي. هذا بالنسبة للنفوس القاصرة أما القدسية لدى الشيخ الرئيس فلا تحتاج إليه ليساعدها كثيرا خلاف المتعلمين وعن هذا يقول (... يكون شخص من الناس مؤيد النفس لشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادىء العقلية إلى أن يشتعل حدسا أعلى قبولا لها من العقل الفعال في كل شيء وترتسم فيه الصورة التي في العقل الفعال إما دفعة وإما قريبا ... وهذا ضرب من النبوة بل أعلى قوى النبوة والأولى أن تسمى هذه القوة قوة قدسية وهي أعلى مراتب القوى الإنسانية)(٢).

،فالعقل الفعال ، تسمية وافق ابن سينا فيها الحكماء في تسميتهم إياه يقول (وبالجوهر العقلي الذي يكون الفيض الالهي بواسطته ويسمى هو في لسان الشرع ملكا وفي لسان الحكمة عقلا فعالا_) (٣).

ويشبه د/ أبو العلا عفيفي العقل الفعال بجهاز إنذار فيقول (نسبة إلى النفوس أشبه شيء بنسبته جهاز إصدار إلى أجهزة استقبال يستقبل كل منها ما يشبه الجهاز المصدر بحسب استعداده ومزاجه وغاية النفوس العالية الشريفة الاتصال بالعقل الفعال على الوجه الأكمل)(٤).

فهو أقرب للكمال والعلو لعالم الأنفس الأرضية بعيد في درجته عن منوره . نور الأنوار .

---

(١) تاريخ الفلسفة العربية جميل صليبا ٢٣١ .

(٢) الشفاء ابن سينا ٢٤٦ .

(٣) رسالة في النفس وبقائها د / أحمد فؤاد الهواني ١٩٨

(٤) الكتاب الذهبي مقاله - الناحية الصوفية في فلسفة ابن سينا د / أبو العلا عفيفي ٤١٠ .

تعقيـــب

يعد هذا العرض لدى الرجلين فيما يختص بعالم الأنوار يمكننا أن نقف على أساسيات هذا العالم العلوى القائم على الفيض النورانى وقد اعتمد كلاهما عليه فى تفسير صدور الكثرة عن الواحد انطلاقا من خيريته تعالى وجوده واندفاعا من معشوقيته وعاشقيته فى تيار ثابت لا ينقطع ولكن هذه النظرية أثبت كثير من الباحثين تهافتها عقلا ونقلا وعلميا وسنحاول الوقف على بعض هذه النقاط : –

أولا : إن النظرية قامت منذ بدايتها على أساس قضية التوفيق بين الدين والفلسفة والقضية يجانبها الصواب إذ كيف نوفق بين شرع إلهى من لدن حكيم خبير يثبت لله كل كمال وينزهه عن كل نقص كما يثبت له الخلق المباشر للكون فضلا عن العناية التامة به.فهو سبحانه لايعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء .وبين جهد بشرى ينفى عنه سبحانه الخالق المباشر ويعزل القدرة الإلهية عن مباشرة فعلها (والعجب من هؤلاء جميعا كيف يحاولون عزل القدرة الإلهية عن مباشرة تأثيرها فى الكون والكائنات ...) (١) .

ثم إن الأمر لم يقم لديهم على ما تقضية عملية التوفيق من تقريب لوجهة نظر الأمرين دون اخضاع أحدهما للآخر .

فالتوفيق جانبه الحياد التام لدى هؤلاء القوم .

ثانيا: إن هذه النظرية جعلت العلاقة بين الله وخلقه بعيدة المدى حيث لابد للسالك أن يتصل بالجواهر النورانية أو (العقول) متمثلة فى شخص العقل الفعال لينعم بإشراقات الإله مع أن الله سبحانه وتعالى لم يحجب نفسه عن خلقه بوسائط بل بين سبحانه وتعالى قرب الصلة بقوله(وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان..)(٢).

---

(١) الروح فى دراسات المتكلمين والفلاسفة د/ محمد السير ٧٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٦ .

ثالثا إن اختلاف أرباب هذه النظرية ومعتنقيها في تحديد عدد العقول أو الأنوار لمن أقوى الدلائل على بطلانها فبينما نجد الشيخ الرئيس يحددها في عشرة عقول تبعا لنظرية بطليموس الفلكي حول عالم الأفلاك لا نجد السهروردى يتقيد بهذه الكمية وإن كان قد اعتمدها سابقا في مذهبه إلا أنه خرج بنزعته الإشراقية فالعقول لا تحد لديه في كم معين فالسوانح النورانية لاتقف عند حد معين فخدمة لرأيه الإشراقي وسع من دائرتها . ولا ندرى لأى شئ يحددها أو يطلقونها إلا أن يكون الأمر عقل واختلاف وجهات القوم هي التي كانت من وراء هذا الأمر .

رابعا : إن هؤلاء القوم بنوا نظريتهم هذه على قياس الغائب على الشاهد (فالفاعل على الغائب فاعل مطلق والفاعل الشاهد مقيد فاعل مقيد والفاعل المطلق ليس يصدر عنه إلا فعل مطلق والفعل المطلق ليس يصدر عنه إلا فعل مطلق والفعل المطلق ليس يختص بمفعول دون مفعول) (١) .

وهذا الأمر حكاه القرآن الكريم عن قوم جادلوا في الله بغير علم وأنى لهم بعلم وهم بعد لم يشهدوا خلق أنفسهم يقول القرآن الكريم (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم.....) (٢) .

خامسا: إن هذه النظرية قامت على أنقاض شتى فهي ترجع لبطليموس الفلكي والذى ادعى (أن الارض مركز العالم وأن الكواكب السيارة تسعة وقد ثبت علميا خطأ هذه النظرية حيث تبين أن الشمس هي مركز العالم وأن الأرض والكواكب الأخرى هي التي تدور حولها كما اكتشفت حديثا كواكب جديدة بالإضافة إلى أن الإنسان وطء بقدمه فلك القمر في أول مركبة فضائية تقل رجلين امريكيين يوم الأحد ٢٠ من يوليو ١٩٦٩ م الموافق ٦ جمادى الآخر١٣٨٩) (٣) .

---

(١) الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة د / محمد السيد ٧٤ .

(٢) سورة الكهف الآية ٥١ .

(٣) الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة د / محمد السيد .

ومازال العلم يكشف لنا عن أمور خاطئة الاعتقاد فى نظرنا المسبق انطلاقا من قوله (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ...) (١) .

فالسفر إلى الأجرام السماوية بات سهل المنال(يستطيع معه المرء أن يحقق الأحلام القديمة الخاصة بإمكانية السفر إلى الأجرام السماوية الأخرى) (٢).

سادسا: إن هذه النظرية وإن اعتمدت فى جذورها الأولى على الفكر اليونانى الأفلاطونى إلا أنها تعود بجذور أصلية اختلطت بها فأدلى الصابئة فيها أصحاب الهياكل والتى كانوا يتخذونها تقربا لآلهتهم حيث كانوا يعتقدون نفعها وضرها فكان من شاكل هذه السبع الشداد .كما حدث الشيخ الرئيس فقد اطلع على الغيب مما أدى بدوره لشيوع الخرافات والأساطير(فعالم ما تحت القمر خاضع لتأثير الكواكب السبعة وأفلاكها ومن هذا انقسم البشر الى سبعة أصناف كل صنف يقع تحت تأثير برج من البروج السبعة وهذا أساس علم التنجيم) (٣).

كما أن هذه القداسة أخذت دورها لدى الرجلين حيث يذكر ابن خلكان (أن ولادة الشيخ لرئيس كانت يوم اجتماع النجوم) (٤).

ويتابعه السهروردى محاولا إبراز أهمية الأفلاك يقول عن كتابه حكمة الإشراق (فرغت من تأليفه فى آخر جمادى الآخرة من شهور سنة أثنين وثمانين وخمس مائة فى اليوم الذى اجتمعت الكواكب السبعة فى برج الميزان فى آخر النهار) (٥) .

وهكذا كان للصابئة ... أصحاب الهياكل وإخوان الصفاء تأثير كامل على كلا الرجلين فمما لاشك فيه (أن السهروردى تأثر بمذهب الصابئة عن طريق الإسماعيلية وهم قد تأثروا بدورهم بهذا التيار فنراهم يرمزون للكواكب السبعة بسبعة أشخاص روحيين هم رؤساء العالم الروحانى وهم عندهم الأئمة السبعة) (٦).

---

(١) سورة فصلت الآية ٥٣ (٢) الحياة فى الكون جوهان دورشتر ترجمة د / عيسى على عيسى .

(٣) الموسوعة الفلسفية العربية - الإشراق بقلم د / أبو الوفا التفتازانى ١٤١ .

(٤) وفيات الأعيان ابن خلكان تحقيق د / احسان عباس ١٥٧ .

(٥) حكمة الإشراق السهروردى تحقيق هنرى كوربان ٢٥٨ .

(٦) هياكل النور السهروردى تحقيق هنرى كوربان ٢٥٨ .

وهكذا تعد هذه النظرية بمثابة وعاء اجتمعت فيه أنظار السابقين واللاحقين في أسلوب يمتاز بالقداسة .

سابعا: إن هذه النظرية لم تلق رواجا عند المتكلمين حيث (إنهم يؤمنون بأن الله تبارك وتعالى خلق العالم بعد أن لم يكن وأنه أوجده على غير مثال سبق أوجده بإرادته وقدرته على مقتضى علمه ورحمته) (١) .

وأنه سبحانه قدر في الأزل كل صغيرة وكبيرة فيه وقضى وقدر بدايته ونهايته فهو القائل في كتابه . (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) (٢) .

ثامنا : إن هذه النظرية وإن صدرها كل من الرجلين بصدور العقل حيث يرى ابن سينا أن أول ما خلق الله هو العقل وكذا السهروردى بقوله (فأول ما أبدع الله تعالى أبدع أمرا عقليا عالما كما قال عليه السلام أول ما خلق الله تعالى العقل) (٣).

والثابت (أن علماء الحديث قاطبة قد أجمعوا على وضع الحديث) (٤)

وإذا كان الله قد ميز الإنسان بالعقل فليس معنى هذا أن نقرر رأى من رأى أن أول ما خلق الله تعالى هو العلة الأولى المطلقة . العقل. كالفارابى وابن سينا.

تاسعا: إن القول بالفيض لدى هؤلاء القوم وعند الرجلين يتنافى مع ما أراده من تفسير لصدور الكثرة عن الواحد وإثبات الوحدة وذلك (لأن هذه الأشياء الفائضة عنه أين كانت قبل الفيض هل كانت مستكملة في ذاته مع مغايرتها له ؟ أم كانت جزءا منه ؟ وكلا الإحتمالين يؤدى إلى نفى البساطة عنه اللهم إلا أن يكون القول بالفيض أمرا مجازيا لا ندرك له معنى حقيقيا) (٥).

---

(١) حولية كلية أصول الدين بالمنوفية التوفيق بين الدين والفلسفة محمود مزروعه ٣٤ .

(٢) سورة الحديد . الآية ٢٢٠ .

(٣) رسالة في اعتقاد الحكماء السهروردى تحقيق هنرى كوربان ٢٦٤ .

(٤) المقاصد الحسنة السخاوى صححه عبد الله محمد الصديق ، عبد الوهاب عبد اللطيف ١٣٤ .

(٥) ابن سينا : الدين والفلسفة د/ حمودة غرابة ١٩٤ .

وهكذا تتسم هذه النظرية بالاضطراب والتضارب الفكرى .

عاشرا : إن جعل – العقل الفعال – مركزاً لفيضان الصور الغيبية عن العالم النورانى يعد سمة مشتركة لدى الرجلين إلا أن الشيخ الرئيس أخر رتبته وجعله آخر العقول بينما نجده عند الشيخ المقتول من جملة الأنوار لكنه أشرفها فهو بمثابة الأب المانح لأولاده الهبات . ولا ندرى كيف اتفق الرجلان على تسمية هذا العقل باسم جبريل عليه السلام . مع أن الشرع نفسه لم يصرح بهذا القول فقد سماهم بالملائكة وجبريل منهم وإن خلقوا من النور(فالقرآن الكريم لم يتكلم عن نفس إلهى تقبل صور الموجودات أو عن نفس إلهية تنتسخ فيها صور العالم فلم يحدثنا عن جوهر روحى عام تتعين فيه صور الموجودات فى العالم...) (١) .

ثم إن طبيعة الملائكة التى حدها القرآن الكريم تختلف عنها عند الفلاسفة .

فالعقل جوهر روحانى مفارق والملك جسم نورانى فهو غير مفارق والعقل لاينتقل فى المكان والملك ينزل ويصعد والعقل لا يحدث فى الزمان والملك مخلوق حادث فى الزمان ناهيك عن قصور هذا العقل فهو يمنح النور من غيره فكيف يتولى شئون عالم الأرض من شأنه القصور والفقر وذلك لأنه (.ليس متصلا بالفيض بل فيضه متوقف على ما يحدثه غيره من الاستعداد والقبول وإحداث غيره له من فعل غيره) (٢) .

ونخلص من هذا إلى أن من وراء هذه النظرية والتى اعتمدها الشيخ الرئيس وحاول السهروردى التنكر منها إلا إنه وقع فيها.

قصور العقل وتدخله فيما لاطائل له من ورائه ومحاولة بائسة قصد بها التوفيق بين الدين والفلسفة فاصبحت تلفيقا لا توفيقا وصدق الله إذ يقول (فذالكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال ...) (٣) .

---

(١) فصوص الحكم ابن عربى د/أبو العلا عفيفى ١٩٢ ، ١٩٣ .
(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٩٤ .
(٣) سورة يونس الآية ٣٢ .

الفصل الأول

النفـس والبـــدن

تمهيــد :

النفس فى منظور الإشـــراق :

إن الحديث عن النفس الإنسانية مر بمراحل عديـدة تناولتها أفكار الباحثين للتعرف على السر المكنون الذى به قوام الإنسان . ما بين مثبت لوجودها وبين نـاف لها. فـدارت الأفكـار بين الروحانية والمادية على نزاعات شتى ووقفـات متباينة . وقـد امتـلأت الساحة الفكرية الفلسـفية بآراء شتى ولعل هذا الأمر يرجع لكون النفس أقرب الأشياء إلى الإنسـان وقربها يفرض على صاحبها البحث عنها أصالة وموضوعـا خاصـة إذا رأى الأشخاص يتسـاقطون حولـه واحـدا بعـد واحد . فكان سعى الإنسان الدائب والدائم للتعرف على هـذا السـر العجيب الذى يفصل بين الحياة والموت . وإذا كان الفلاسفة قد أدلوا بدلوهم فى هذا الميدان فقد كان للإشـراقيين نصيبهـم من هذا الفكر . والحديث لديهم يتخذ طابعا آخر فالنفس باعتبارها محل الإشـراقات صعـودا ونزولا من حيث المشاهدة والإشراق تمهدها صاحبها بتوجيهها نحو الملأ الأعلى لتنـال مـن أنـواره وتشرق بمعارفه وعلومه .

حيث إن (... تعالم الإشراقية تهدف فى مجموعها إلى تطهير النفس وتوجيهها للوصول إلى نور الأنوار العالية ولما كان البدن هو مانعها من تحقيق هذا الهدف كان الهروب منه واجبـا لتحقيـق الخلاص والتحرر العقلى) (١) .

ولذا فإن حديثنا فى هذا المقام من خلال فلسفة الرجلـين الإشـراقية سـوف ينحصـر حول نقاط منها :

أولا : مـاهيــــــة النفـــــــس .

ثانيا : بين قدمها أوحدوثها.

ثالثـا : إثبـــــات وجـودهــــــا.

رابعا: مدى علاقتهـا بالبدن.

خامسا: كيفية اتصالها بالملأ الأعلى.

---

(١) أصول الفلسفة الإشراقية – محمد على أبو ريان ٢٨٦ .

وقبل أن نتناول هذه النقاط ينبغي ان نبين أن هذا الميدان الفكرى حول النفس الإنسانية قد خط الباحثون فيه بأقلامهم الكثير والكثير ولذا فإن ما نقصده في هذا المقام كما أسلفنا يتمثل في كيفية تأتى العروج والاختراق للسالك الإشراقى . لتلك الحجب للوصول لبغيته حتى تتوالى عليه نفحات الإله وإشراقاته وذلك كله من خلال فلسفة الرجلين.

ونتناول الآن – بعون الله – هذه النقاط من خلال فكر الرئيس أولا ثم نعقبه بفكر الشيخ المقتول.

أولا : الشيخ الرئيس :

ماهية النفس وطبيعتها :

يرى الشيخ الرئيس أن النفس هى (كمال أول لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة أى مصدر الأفاعيل الحيوانية بالقوة) (١).

وقد فسر ابن سينا كلامه بقوله (كمال أول لأنها مبدأ لإصدار عن المبدأ والكمالات منها ما هى للأجسام ومنها ما هى للجواهر الغير الجسمانية فالنفس كمال أول جسم . والأجسام منها ما هى صناعية ومنها ما هى طبيعية.والنفس ليست بكمال جسم صناعى فهى كمال أول لجسم طبيعى.والأجسام الطبيعية منها ما تفعل أفاعليها بالآت ومنها ما لا تفعل أفاعليها بالآت ..)(٢).

ويقسمها الشيخ الرئيس إلى ثلاثة اصناف – نباتية ، وحيوانية ، وإنسانية ، ويتحدث عن هذا الأقسام بقوله (والنفس كجنس واحد ينقسم بضرب من القسمة إلى ثلاثة أقسام . أحدها النباتية وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى ، من جهة ما يتولد ويربو ويغتذى – الثانى النفس الحيوانية وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة – الثالث النفس الإنسانية وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يفعل الأفعال الكائنة بالاختيار الفكرى والاستنباط بالرأى ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية) (٣).

---

(١) رسالة فى القوى النفسانية ابن سينا . ضبطها – أدور رداين كرنيليوس ٢٦ .

(٢) نفسه .

(٣) النجاة ابن سينا تحقيق ماجد فخرى ١٩٧ .

فمن حيث طبيعة كل نفس وعملها كانت التفرقة . ولما كان مقصدنا النفس الإنسانية باعتبارها مناط الفكر ومحل الإشراقات فإن الشيخ الرئيس يصفها بصفات متباينة وهو يعرضها من خلال وجهات وأنظار القوم المختلفة بقوله (..تسمى تارة نفسا ناطقة وتارة نفسا مطمئنة وتارة نفسا قدسية وتارة روحا روحانية وتارة روحا أمريا وتارة كلمة طيبة وتارة كلمة جامعة فاصلة..)(١).

وهذه النفس الناطقة أشرفها جميعا حيث إن فعلها وعملها منوط فى (التأمل فى الصنائع والتفكر فى البدائع موجهة إلى العالم الأعلى)(٢) .

وهى موجودة لدى جميع البشر على اختلاف مستوياتهم الفكرية وأجناسهم المختلفة وفى هذا يقول ابن سينا (.. وهى موجودة لكل واحد من الناس سواء أكان طفلا أو كبيرا أو مراهقا كان أو بالغا مجنونا كان أو عاقلا مريضا كان أو سليما..)(٣) .

ثانيا : النفس بين القدم والحدوث:

إن المستقرىء لفكر الرجل ورأيه فى النفس تأخذه الحيرة حول الوقوف على رأى يقف عنده الشيخ الرئيس فى النفس من حيث قدمها أو حدوثها فأحيانا نراه يذهب لنقول بقدم النفس وأزليتها مع رؤيته لجوهريتها وشفافيتها وهو يتابع أفلاطون فى قوله بقدمها .

ويتضح ذلك من خلال قوله فى قصيدته العينية :

(هبطت إليك من المحل الأرفع .. ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف .. وهى التى سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره إليك وربما .. كرهت فراقك وهى ذات تمنع)(٤)

وهو لا يبين لماذا أهبطت ولأى سبب كان وجودها فيقول :

(فلأى شئ أهبطت من شامخ .. سام إلى قعر الحضيض الأوضع

إن كان أرسلها الإله لحكمة .. طويت على الفطن اللبيب الأروع)(٥)

---

(١) رسالة فى الكلام على النفس الناطقة ابن سينا بقلم ولى الهندى المالكى ١٩٥ .

(٢) رسائل ابن سينا فى أسرار الحكمة المشرقية . ميكائيل المهرنى ٣٣ .

(٣) رسالة فى الكلام على النفس الناطقة ابن سينا بقلم ولى الهندى المالكى ١٩٠ .

(٤) نفسه ٢٦١ . (٥) نفس المرجع ٢٦٠

وهكـذا يضـع الشيـخ الرئيـس الحكمـة الإلهيـة مـن وراء هبـوط النفـس وهـى لديـه (جوهـر شفـاف هبـط إلى الأجسام البشريـة من عـالم الأزل وحكـم عليـه البـارئ بالبقـاء فيهـا زمنا محدودا ..) (١).

وفى المقابل نجده يذهب إلى القول بحدوث النفس وأنها صورة للبدن متابعا أرسطو مما دعـا بعض الباحثين للتشكك في قصيدته العينية فهويناقض نفسه فيحل فى موضع ويربـط فـى موضـع أخر ما أحلـه.وأخيرا يعطينا رأيا ثالثا وهو أن النفس حادثـة بـحدوث البـدن فيقـول (فقـد صح إذا أن النفس تحدث كلما يحـدث البـدن الصـالح لاستعمالها إياه ويكـون البـدن الحـادث مملكتها وآلتها ويكون فى هيئة جوهر النفس الحادثة مع بدن ما ذلـك البـدن الـذى اسـتحق حدوثهـا مـن المبادىء الأوليه نزاع طبيعى إلى الإشتغال به وإستعماله)(٢).

فإلى أى رأى يذهب الشيخ الرئيس وقـد يرتفـع التنـاقض إذا فسـر موقـف الرجـل بوجهـة فلسفية فيرى الدكتور أبو العلا عفيفى (٣) .

(إنه يريد بحدوث النفس مجرد تعلقها بـالبدن لا خلقهـا مـن العدم وهـذا لايتعـارض مـع وجودها على نحو ما في عالم الصور الذى هو عالم العقل الفعال وجـودا سـابقا علـى وجـود البـدن وفى هذه الحالة نفسر قوله ، لا وجود للنفس إلا بوجود البـدن علـى معنـى أنـه لا وجـود لهـا مـن حيث هى نفس جزئية معينة متشخصة مدبرة لبدن خاص إلا بوجـود البـدن الـذى يتهيأ لقبولهـا) وهكذا تكون النظرة السينوية قد حاولت التوفيق بـين مذهـب أفلاطـون فـى النفـس وبـين موقـف الإسلام فجاء فكره مضطربا وهو فى كل يرى أن النفس جوهـر مخالف للبـدن هبـط إليـه لحكمـة يعلمها الله سبحانه وتعالى . وعلى النفس أن تسعى لتحل رباط وقيود البدن لـترقى لموطنهـا الأول . وأما رأيه بأنها صورة للبدن فهو متأثر فيه بأرسطو وهو رأى مخالف للإسلام لأن الصورة لاتبقـى بعد فناء البدن بل تفنى بفنائه وهو ما يخالف رأى الاسلام فى بقاء النفس بعد بوار الجسـد، وبهـذا يكون ابن سينا قد لفق بين رأى كل من أرسطو وأفلاطون محاولا التوفيق بينهمـا مـن جـانب وبـين الدين من جانب آخر .

---

(١) رسـالـة فى الكـلام على النفـس الناطقة ابن سينـا بقلـم ولى الهندى المالكى ٢٦٠ .

(٢) النجاة ابن سينا تحقيق ماجد فخرى ٢٢٢ ، ٢٢٣ . راجع الشفاء ابن سينا ٢٢١ .

(٣) الكتاب الذهبى مقال الناحية الصوفيه فى فلسفة ابن سينا د/ أبو العلا عفيفى ٤٠٨ .

ثالثا : إثبات وجودها :

يعطينا الشيخ الرئيس أكثر من دليل حول إثبات وجود النفس وكونها غير البدن فمن ذلك ما يعرف ببرهان الرجل الطائر أو المعلق يقول فيه (لو خلق الإنسان دفعة واحدة وخلق متباين الأطراف ولم يبصر أطرافه واتفق أن يمسها ولا تماست ولم يسمع صوتا وجهل جميع أعضائه علم وجود أنيته شيئا ما مع جهل جميع ذلك وليس المجهول بعينه هو المعلوم وليست هذه الأعضاء لنا فى الحقيقه إلا كالثياب التى صارت لدوام لزومها إيانا كأجزاء منا عندنا وإذا تخيلنا أنفسنا لم نتخيلها عراة بل نتخيلها ذوات أجسام والسبب فيه دوام الملازمة إلا أننا قد اعتدنا فى الثياب من التجريد والطرح ما لم نعتاده فى الأعضاء وكأن ظننا الأعضاء جزءا منا أكثر من ظننا الثياب جزءا منا، فبين من هذا أن لهذه القوى مجمعا هو الذى تؤدى كلها إليه وأنه غير جسم وإن كان مشاركا للجسم) (١) .

وبصيغة أخرى يدلل بقوله (يجب أن يتوهم الواحد منا كأنه خلق دفعة . وخلق كاملا لكنه حجب بصره عن مشاهدة الخارجات وخلق يهوى فى هواء أو خلاء هويا لا يصدمه فيه قوام الهواء صدما مايحوج إلى أن يحس وفرق بين أعضائه فلا تتلاق ولم تتماس ثم يتأمل هل يثبت وجود ذاته ؟ ولا يشك فى إثباته لذاته موجودا ولا يثبت مع ذلك طرفا من أعضائه ولا باطنا من أحشائه ولا قلبا ولا دماغا ولاشيا من الأشياء من خارج بل كان يثبت ذاته ولا يثبت لها طولا ولا عرضا ولا عمقا ولو أنه أمكنه فى تلك الحالة أن يتخيل يدأ أو عضو أخر لم يتخيله جزء من ذاته ولا شرطا فى ذاته)(٢) .

فالرجل يرى أن النفس لا تحتاج لدليل على إثباتها فإن صاحبها لايغفل عنها لحظة ما يعكس عوراضه الأخرى . وأنها غير البدن لأن الإنسان قد يغفل عنه وهو يزيد وينتقص . ومع ذلك يبقى شعور الإنسان بأنيته ووجوده دون بدنه أو أعضائه ومن هذا المنطلق كان تأثر ديكارت (١٥٩٦م- ١٦٥٠م)، بالشيخ الرئيس حول استقلال النفس عن البدن وذلك (لأن الكتب السنية قد ترجمت إلى عدد من اللغات الأوربية قبل ديكارت بعهد غير قصير)(٣).

---

(١) المعرفة عند مفكرى المسلمين د / محمد غلاب ١٤٨ .

(٢) الشفاء ابن سينا ١٨ .

(٣) دراسات فى الفلسفة الحديثة د / زقتى زاهر ٦٩ ، ٧٠ .

علاقة النفس بالبدن :

يذكر الشيخ الرئيس فى أكثر من موضع من كتبه مبينا أن علاقة النفس بالبدن ليست أكثر من التدبير والسياسة للبدن.وللنفس تعلقان تعلق بالبدن وهو مجرد التدبير والسياسة ، وتعلق بالمبادىء العليا والأمور العقلية فيقول(إن النفس لها فعل بالقياس إلى البدن وهو السياسة وفعل بالقياس إلى ذاتها وإلى مبادئها وهو التعقل) (١) .

كما يذكر مغايرة النفس للبدن إذ كيف يحتاج النور إلى الظلام وفى هذا يقول (إن النفس ليست منطبعة فى البدن ولا قائمة به فيجب أن يكون سبيل اختصاصها به سبيل مقتضى هيئة فيهاجزئية جاذبة إلى الإشتغال لسياسة هذا البدن الجزئى على سبيل عناية ذاتية مختصة به) (٢) .

بيد أن هذه العلاقة تستمر ما دام للنفس السلطان فإذا ما فارقت البدن فإن العلاقة تنقطع بين النفس والبدن وفى هذا يقول (وله علاقة ما ببدن الإنسان ما دام حيا وليس تلك العلاقة كتعلق الشيء بمحله بل كتعلق مستعمل الآلة بالآلة وهو حادث مع البدن لا قبله وليس يفسد بفساد البدن وموته بل يبقى كما كان ....) (٣) .

وهذا النص يرينا الرأى الثانى للشيخ الرئيس فى النفس والذى يميل إلى رأى الإسلام فى أن النفس حادثة بحدوث البدن لاقبله وأنها باقية بعد فساده وموته . ونحن لا نريد أن نسجل عليه التضارب والتناقض . ولكننا نرى أن الرجل كان له مذهبه الفكرى والفلسفى الذى تابع فيه رأى الفلاسفة وقد سجله وأبداه للخاصة من الناس دون عامتهم . وأما الرأى الآخر وهو الذى أظهره للعامة ففيه قد وافق رأى الدين حتى لا يثير الجمهور عليه . ولذلك نجد فى كتابه النجاة والشفاء ما لم نجده فى الإشارات والأضحوية لأن الأول للعامة والثانى للخاصة . ويرى الشيخ الرئيس أن النفس الملكوتية تسعى دائما للانفكاك من البدن لنيل إشراقات الإله وهذه الفترة المؤقتة تكتسب النفس خلالهامعارفها.فالبدن وإن كان سبب احتجازالنفس بداخله إلاأنه يمكن للنفس

---

(١) النجاة ابن سينا تحقيق ماجد فخرى ٢١٩ .

(٢) نفس المرجع ٢٢٠ .

(٣) رسالة فى النفس الناطقة ابن سينا بقلم ولى الهندى ١٩٦ .

التصرف فيه ، ومن خلاله تتطلع لنيل مقامها الأول فليست العلاقة بينهما علاقة تنافر. ولكن يمكن للنفس أن تسعى لتكميل ذاتها بالرياضة والمجاهدة حتى تشف لتلتقى بعالمها الأول وحينئذ تبقى سعيدة ملتذة وتتلقى علومها ومعارفها وإشراقاتها.

كيفية اتصالها بالملأ الأعلى :

إن حنين النفس الدائم كان من وراء سعيها للاتصال بعالم الأنوار بدافع الشوق وهو (يفسر لنا صلة النفس الإنسانية بعالم القدس وحنينها الدائم للرجوع إليه) (١) .

بيد أن النفس فى سبيل وصولها لإدراك إشراقات الإله تمر بمرحلتين :

الأولى : تعليمية .ويشترط فيها الشيخ الرئيس الثقافة الفلسفية التى لابد منها للسالك وهذا ما يؤكده فى رسالته قائلا (والنفس الإنسانية غير متخلصة من حالة هذه القوة إلا بعد تقديم يعرف بالحقائق بإتقان العلم الفلسفى .فالواجب أن لا يتباعد من تحصيل الفلسفة التى هى النجاة) (٢).

فالمرحلة التعليمية يقف السالك فيها على الثقافة الفلسفية والتى تساعد السالك فى التعبير عما يراه فى هذا العالم النورانى والذى تعجز الألسنة فيه عن الكلام إلا من أعطى لسانا فلسفيا وبهذا (تكون الفلسفة هى الطريق الموصل إلى الاتصال بالعالم المعقول) (٣).

وذلك لأن الجهل والابتعاد عن الإطار الفلسفى لا يؤهل صاحبه للرقى والانطلاق ومواجهة الخصوم والمجاهرة بالرأى (لأن التنسك مع الجهل عنده لا يجدى ما دام أن العلم وحده الذى يؤهل النفس إلى انطباع العالم العقلى فيها) (٤) .

وهذه المرحلة لديه لا بأس فيها من ممارسة رياضات خاصة حيث (.. إن سعادة المرء تكون بتكميل جوهره . وذلك بتزكيته بالعلم بالله،والعمل لله،وتزكيته بالعمل لله هو تطهيره عن الأخلاق الرزيلة الردية. وتقويمه عن الصفات الذميمة والعادات السيئة القبيحة ....

---

(١) الناحية الصوفية فى فلسفة ابن سينا د / أبو العلا عفيفى ٤١٠ .

(٢) رسالة فى السعادة - ابن سينا ١٨ .

(٣) الناحية الصوفية فى فلسفة ابن سينا د / ابو العلا عفيفى ٤١٢ .

(٤) المعرفة عند مفكرى المسلمين د / محمد غلاب ٢٦٢ .

عقــلا وشرعــا وتحليتــه بالعــادات الحســنة . والأخــلاق الحميــدة والملكــات الفاضلــه المرضيــة عقلا وشرعا) (١) .

وهو جانب كسبى تجريبي وتمتاز هذه المرحلة التعليمية بأنهـا تسـلم للمرحلـة الثانيـة وهـى مرتبة أصحاب النفوس القدسية الحدسية . بيد أن النفس ترتقى فى مراتب معينة لكى تحصـل على صور المغيبات وذلك عن طريق العقل الفعال. وهذه المراتب هى مراحل للنفس لتكتمل فى قواها حتى تكون مهيئة لتلقى إشراقات العقل الفعال واهب الصور.فالمعقولات لديه تكون أولا فى إطـار الهيولى (وهى معان متحققة من غير قياس وتعلم واكتساب) (٢).

وتكون النفس وقتئذ مهيئة ومستعدة لقبول ما هيات الأشياء مجردة عن المواد وقـد أوضـح تلك المرحلة جميل صليبا بقوله (وسميت هيولانية تشبها لها بالهيولى الأولى التى ليسـت هـى بذاتهـا مشتملة على صورة من الصور) (٣).

وهى أشبـه بعقـل الطفـل الصغير والـذى يولـد مهيئا لتلقى المعـارف ومسـتعدا لهـا.كمـا أنه يحـاول الارتقـاء فى الفكر.وتلك مهمة المرحلـة الثانيـة وهـى أن يكـون عقـلا بالملكـة ، وبهـذا العقل يتعرف على ما حولـه فيعرف به أسمـاء الحيوانـات أو أسماء مـن يجاورنـه ويتـدرج فـى هـذا الفكر(... بأن يحصل لها بهذه المعقولات المكتسبة هيئة وحالة تتهيأ بهـا لإحضـار المعقـولات متـى شاءت من غير افتقار إلى اكتساب وهذه الهيئة تسمى ملكـة وتلـك القـوة فـى هـذه الحالـة وبهـذا الاعتبار تسمى عقلا بالفعل.وإذا كانت المعقولات حاصلة لها بـالفعل مشـاهدا متمثـلا فيهـا سميـت بهذا الاعتبار عقلا مستفادا) (٤) .

وهذه العقول يسلم بعضها لبعض فى تدرج تعليمى يمر السـالك بـه ليصـل لدرجـة العقـل الفعال وعندئذ يكون مهيئاً لتلقى إشراقاته .

---

(١) رسالـة فى الكلام على النفس الناطقة ابن سينا ١٩٠ ... راجع ايضا الحقيقة عند فلاسفة المسلمين نظمى لوقا ١٧٥ .

(٢) رسالـة فى الكلام عن النفس الناطقة ابن سينا ١٩٥ .

(٣) تاريـخ الفلسفـة العربيـة جميـل صليبـا ٢٥٤ .

(٤) رسالة فى الكلام على النفس الناطقة ابن سينا ١٩٥ .

فالنفس الإنسانية التى تمر بتلك المرحلة التعليمية (... تحتاج لمطالعة العقل الفعال كلما أرادت إدراك أحد المعانى العقلية ...) (١) .

كما أنه سبب رقى العقول عبر مراحلها فهو (الجوهر العقلى الذى يخرج النفوس الناطقة من القوة إلى الفعل...) (٢) .

ومع هذه الدرجات المتوالية إلا أن السالكين يتفاوتون يقول الشيخ الرئيس (واعلم أن التعلم سواء حصل من غيرالمتعلم أو حصل من نفس المتعلم فإنه متفاوت ...)(٣).
ونصل إلى المرحلة التالية وهى مرحلة أصحاب النفوس القدسية .

أما أصحاب النفوس القدسية :-

فهؤلاء يتلقون الإشراقات مباشرة دون احتياج لعون خارجى فهم يتعدون مرتبة العقل الفعال حتى (تصير نفوسهم مرآة صقيلة ينطبع فيها صور الأشياء كما هى عليها من غير اعوجاج ..) (٤).

وهذه المرتبة لا يصل إليها إلا الواحد بعد الواحد ولذا يقول ابن سينا (... ...يكون شخص من الناس مؤيد النفس لشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادىء العقلية إلى أن يشتعل حدسًا...) (٥).

ثم إن هؤلاء القوم ما عليهم إلا توجيه نفوسهم شطر الحق تعالى وقطع همومهم دونه سبحانه . يقول ابن سينا حينما وصف حال السالك القدسى بأنه (إذا تعهد مع ذلك تعويد نفسه الشوق إلى عالمه والنزاع إلى مبدعه يقطع الهمة عن هذا العالم والامتناع عن جميع عوارضها الضارة ورفع الهمة الخالصة التى هى تجريد ذاتها للاطلاع إلى عالمها ومبدعها، حتى يصير ذلك ملكة فيها ومقطعة عما سوى ذلك فتصير كالمجرد بذاتها ويصير لها بذلك قوة على اشتياق الصور المعقولة والأشواق الفعلية ...) (٦).

---

(١) النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام د / محمود قاسم ٢١٥ .
(٢) رسائل ابن سينا فى اسرار الحكمه المشرقية ابن سينا ٣٣ .
(٣) الشفاء ابن سينا ٢٤٤ .
(٤) رسالة فى الكلام على النفس الناطقة ابن سينا ١٩٥ .
(٥) الشفاء ابن سينا ٢٤٦ .
(٦) رسالة فى السعادة ابن سينا ١٩ .

ويتجلى هدف أصحاب هذه النفوس في الوصول للغبطة العظمى وهى الاتصال بمدبر العالم وارتفاع الوسائط بينها وبينه يقول ابن سينا (ثم الشأن الأعظم والسعادة الكبرى التى تنالها هنالك هو ارتفاع الوسائط بينها وبين معشوقها ومعشوق جميع الموجودات وإليه حركتها وبسبب الوصول إليه سكونها وبالعشق له قوامها أعنى الحق المحض والخير المحض) (١).

ويدلل الشيخ الرئيس على تلك الحالة بقوله تعالى (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) (٢).

فالوصول هو هدف هذه النفوس . فالأمر لدى الشيخ الرئيس يدور فى محيط اتجاهين .

الأمر الأول يتأتى من خلال تذكر النفس لعالمها الأول وتعشقها لمبدعها فهى تتشبه به على قدر طاقتها .

والأمر الثانى يبرز من خلال النفوس ومدى تحققها بكمالها الوجودى الفائض عليها من الله.

والأولى تأتى كطريق لأصحاب النفوس القدسية ، والثانية لأصحاب التعليم والكسب والتجريب وكل هذه الأمور تنصب من جوده سبحانه فهو واسع العطاء يفيض على كل موجود إذ (... الرحمة واسعة والبخل منفى الذات عنه إلا أن الأشياء متفاوتة فى قبول الجود على حسب تفاوتها فى الاستعدادات ....) (٣).

فصعود النفس لعالم الأنوار ليس بالأمر الهين بل تتخلله العقبات. ولذا كان السالكون فى معراجهم على طبقتين وفى تيارين (يتجه أحدهما نحو عالم العقول ويتجه الآخر نحو عالم الأمر أو للجناب الإلهى وتستطيع النفس إدراك الصورة والمعانى الكلية عن طريق العقل الفعال . كما تستطيع الاتصال بعالم العقول عن طريق العقل المستفاد . وتلك المعرفة الأخيرة هى المعرفة الحقة ...) (٤).

---

(١) رسالة فى السعادة ابن سينا ١٨ . (٢) سورة الإنسان الآية ١٢٠ .

(٣) رسالة فى السعادة ابن سينا ٨ .

(٤) النفس والعقل لفلاسفة الأغريق والأسلام د / محمود قاسم ٢١٥ الثالثة ط مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢ .

الفصل الثانى

مراحل الإشراق الفلسفى

أولا : مراحل الإشراق الفلسفى عند الشيخ الرئيس :

يعتبر العارف السينوى أرقى درجات السالكين الإشراقيين حيث يمر بدرجات معينة ذكرها ابن سينا فى كتبه وتتمثل هذه الدرجات فى صور :

أولا : الإرادة :

تتمثل فى أن السالك الإشراقى ينبغى أن تكون لديه إرادة نحو التوجه والعروج بنفسه للملأ الأعلى والمريد لدى الشيخ الرئيس (هو الذى يتحرك سيره نحو عالم القدس لينال من روح الاتصال) (١).

وهذه الإرادة ينبغى أن تكون مصحوبة بالعشق والمحبة لنور الأنوار وهو يختلف عن أقرانه ممن قصرت إرادتهم عن الوصول أو التفكر فى المبدأ من أصله نحو توليتهم شطر الحق وأنواره وهذه الإرادة (تعد نتيجة مترتبة على الإيمان اليقينى بوجود الله) (٢).

فكل يسعى فى فلك الله انطلاقا من الفطرة الأصلية التى فطر الله الناس عليها.

ثانيا : الرياضة :

بعد شحذ الهمة وتوجيهها نحو مقصدها الأسمى، عالم القدس، يمر المريد بمرحلة أخرى غايتها الخلاص من البدن وأدرانه فالنفس مشتاقة لنورها ولعالمها الأول ومن أجل وصولها تمر بمراحل ثلاث فى رياضاتها.

الأول : (تنحية ما سوى الحق عن مستن الإيثار) (٣)

---

(١) الاشارات والتنبيهات ابن سينا تحقيق د / سليمان دنيا القسم الرابع ٧٨ .

(٢) ثورة العقل فى الفلسفة العربية عاطف العراقى ٢٢٨ .

(٣) الإشارات والتنبيهات ابن سينا تحقيق د / سليمان دنيا القسم الرابع ٧٩ .

والأمر يعنى لديه أفراد السالك غاياته المتعددة تحت غاية واحدة وهى إيثار الحق دون غيره فى معرفته والإ فقد خلع ربقة المعرفة الإشراقية.وهذا الأمر يسمى بالتولى والتبرى أو ما يسمى فى عرف الصوفية بالتخلية والتحلية أو التزكية وهى تقوم على جانبين. التخلية أولا ثم التحلية ثانيا وبدونهما تتعدد الغايات أمام العارف ويشوب معراجه النقص والقصور .

الثانى : (تطويع النفس الآمارة للنفس المطمئنة) (١)

والرجل يريد هنا إبراز صورة أخرى من صور الخلاص عن طريق إبرازه للعلاقة بين النفس والبدن وبيان مدى عنت النفس وشقائها فى ترويض البدن لحصول الطهر والنقاء فتصير الغلبة فى النهاية للنفس الناطقة.محور التعقل والضبط والتحكم.وحينئذ تتحول النفس إلى محور آخر قوامه الاطمئنان بعيدا عن الأفاعيل الحيوانية . وقد أردفها الشيخ الرئيس بقصصه وتعتبر قصة سلامان وأبسال تعبيرا صادقا عن هذه المرحلة فمحاولة إقصاء النفس عن شهوات البدن باتت واضحة.فقد استطاع أبسال متمثلا فى النفس الناطقه أن يتغلب على امرأة سلامان .
(المتمثلة فى القوة البدنية الأمارة بالشهوة والغضب المتحدة بالنفس ..) (٢)

وأن ينجو من تلبيسها الأمر.حيث أرادت الاستحواذ به دون أختها لكن إرادته القوية والتى عضدت بتلك (الخطفة الإلهية التى تسنح فى أثناء الاشتغال بالأمور الفانية وهى جذبة من جذبات الحق) (٣).

كانت أيضا من وراء تحويل تلك النفس من الأمر بالسوء والفحش إلى الاعتدال والبعد عن مزالق التيه ومهاوى الانزلاق .

الثالث : (تلطيف السر) (٤).

والتلطيف لديه يعنى تهيئة النفس لتلقى الصور العقلية بسرعة إبرازها جانبى العشق والشوق مع إعلاء شأن المخيلة واستعدادها المباشر المستمر لتجلى صفحة الغيب حتى لا يكون هناك نفور فينبغى الاستعداد السابق (فإن مناسبة السر مع الشيء اللطيف لا تمكن إلا بتلطيفه) (٥).

---

(١) الاشارات والتنبيهات ابن سينا تحقيق د / سليمان دنيا ٧٩ .

(٢) نفس المرجع ٥٥ .

(٣) نفس المرجع ٥٥ . ٥٦ .

(٤) نفس المرجع ٨٠ .

(٥) نفس المرجع ٨٢ .

وهذه المراحل الثلاثة المندرجة فى الرياضة تختص بالخلاص والذى يراه الإشراقيون سندا وعونا للعروج لعالم الأنوار .

ولا يقف الأمر العروجى عند هذا الحد بل يرى أن (... العبادة المشفوعة بالفكرة ثم الألحان المستخدمة لقوى النفوس الموقعه لما لحن به من الكلام موقع القبول من الأوهام ثم نفس الكلام الواعظ ...) (١).

يرى أن هذه الأمور تحيى موات النفوس وتهيىء لها العودة كتجلى البرق الخاطف للنفس فتطرب طروبا فلاغنى للسالك عن هذه الصور فالعبادة لديه(تجعل البدن بكليته متابعا للنفس)(٢).

مع التغنى بالألحان أملا فى المناجاة ناهيك عن استماع المريد أو السالك الذى لايملك قريحة إنشاد الألحان إلى قائل ذكى يكون بمثابة المعلم أو المرشد له إلى أنوار هذا العالم وفيوضاته ويمتاز هذا الملهم (بعبارة بليغة ونغمة رخيمة وسمت رشيد) (٣).

بعد قطع السالك الإشراقى لمرحلتى الإرادة والرياضة بمراحلها تتهيأ النفس للانطلاق والرقى إلى أنوار العالم العلوى بيد أن السالكين يتفاوتون فمنهم من يقف عند هذا الحد لكنه مع دنو همته ينعم بخلسات من أنوار الحق يسميها الشيخ الرئيس (بالأوقات) (٤).

وهذه الأوقات تزيد فى كمها إذا واظب سالكها على الرياضيات وفى هذا يقول (ثم إنه لتكثر عليه هذه الغواشى إذ أمعن فى الارتياض) (٥).

ومن هذه المرحلة المؤقتة ينتقل السالك الإشراقى فى التصور السينوى لمرحلة أخرى وهى مرحلة السكينة .

ثالثا : مرحلة السكينة :

بعد قطع السالك لتلك المراحل السابقة تتحول نفسه من الاضطراب إلى الاستقرار النسبى خشية فوات وذهاب ما فيه السالك بحيث يكسو العارف ولا ينصرف عن أمره بصارف عارض يلفته عما يجده من أنوار .

---

(١) الإشارات والتنبيهات ابن سينا تحقيق د / سليمان دنيا ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) نفس المرجع ٨٢ .

(٣) نفس المرجع ٨٣ .

(٤) نفس المرجع ٨٦ .

(٥) نفس المرجع ٨٦ .

وفى هذه المرحلة (يصير المخطوف مألوفا والوميض شهابا بينا وتحصل له معارف مستقرة كأنها صحبة مستمرة ويستمتع فيها ببهجته) (١) .

وعلى الرغم من هذه البهجة المؤقته إلا أن النفس لا تزال ...

(غير ثابتة الثواء لأن النفس أثناء هذه المرحلة لا تزال فى حالة سلبية خاضعة لما تتفضل به عليها من السماء من تقدم ورضوان وإجادة وإحسان) (٢).

رابعا : مرحلة الملكة :

يصل العارف خلالها لدرجة استحضار الصور الغيبية متى شاء ولا يتوقف أمره بل تتوالى عليه الإشراقات المتكثرة ، فيجاوز عالم الزور ليصل لعالم الحق ويمتاز عن أقرانه ممن وقفوا عند أسوار الحجب النورانية وحيل بينهم وبين ما يشتهون لقصور همتهم.فى حين أن غيرهم يستجلون الأنوار فى أى وقت أرادوه . ورغم هذه التجليات إلا أن السالك يريد غايته العليا ولايرضى لها بديلا،حيث تصير نفسه مرآه يحاذى بها شطر الحق تبارك وتعالى،وعندئذ يكون العارف قد وجد بغيته (فيغيب عن نفسه فيلحظ جناب القدس فقط وأن لحظ نفسه فمن حيث هى لاحظه لا من حيث هى بزينتها) (٣).

وهذه المرحلة معروفة لدى الصوفية من أرباب التصوف السنى بوحدة الشهود ولا يقف الأمر عند هذه المرتبة بل يجاوزها إلى انصرافه عن كل شىء حتى عن نفسه بل عز سر نفسه (... ولا ينظر إلا الى انعكاس أنوار الجلال الإلهى) (٤).

وهكذا تتحقق لديه أسمى درجات السعادة عبر رحلته المعراجية . والمراحل السابقة إنما كانت بمثابة إعداد للصوفى الإشراقى الفلسفى للوصول لغايته العليا . ومع صعوبة هذا الطريق لدى الشيخ الرئيس إلا أنه أعلن عن وجهته للسالكين مع تسليمه بأن المارين والصاعدين إليه قليل بقوله .

---

(١) الاشارات والتنبيهات ابن سينا تحقيق سليمان دنيا القسم الرابع ٨٨ .

(٢) المعرفة عند مفكرى المسلمين د / محمد غلاب ٢٦٧ .

(٣) الاشارات والتنبيهات ابن سينا تحقيق د / سليمان دنيا القسم الرابع ٩٢ .

(٤) المعرفة عند مفكرى المسلمين د / محمد غلاب ٢٦٨ .

(جل جناب الحق أن يكون شرعه لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحد بعد واحد) (١).

ثانيا : مراحل الإشراق الفلسفي عند شيخ الإشراق السهروردي المقتول :

إن مراحل الإشراق الفلسفي والتي يسير عبرها السالك الإشراقي عند شيخ الإشراق تسير في النهج السينوي.وإن كان الشيخ الرئيس قد امتاز شرحه بالتفصيل دون شيخ الإشراق الذي أجمل.ونستجلي الأن تلك المراحل عند شيخ الإشراق وهي عنده درجات .

أولا : الفكر القلبي والذكر اللساني :

إن السالك لديه من كان من أرباب الرياضة.والذي يحرص على العروج بنفسه قبل الموت حيث مشاهدة نور الأنوار . يلزمه فكرا دائما في الإله وعظمته وجبروته من خلال عشق دائم وتيار متبادل بينه وبين الإله يدفعه للوقوف على أسرار هذا العالم النوراني.وعن هذا الأمر يقول (اعلم أن أرباب الرياضة إذا حصل لهم العلوم وفكروا في معلوماتهم عن مسبب الأسباب وما دونه من مبدعاته فكرا لطيفا .. يحصل لهم أنوار روحانية) (٢).

بيد أن هذا الفكر يستدعي بدوره مسبقا إرادة من السالك تدفعه لتجلي صفحة العالم الغيبي.فالمفكر الإشراقي هو ما يسعى بإرادة صادقة للوقوف على عالم القدس وموجده ، وفي هذا يلتقي شيخ الإشراق مع الشيخ الرئيس في الإرادة المنبعثة من داخل السالك نفسه . وهذا الأمر لدى شيخ الإشراق يقتضي تشبها بعالم الطهر والنقاء . خاصة السالكين من إخوان التجريد ، فهم كما يذكر السهروردي قد قربوا بسبب الاقتداء بالأطهار العلويين . يقول عنهم :

(أولئك الذين اقتدوا بالصافين عند الله الأقربين) (٣)

فالتوجه إلى الله أو نور الأنوار ثم إلى عالمه النوراني يستدعيان إرادة مسبقة من السالك ثم يتبعها فكرا لطيفا من السالك وهو عين ما ذكره الشيخ الرئيس سالفا.

---

(١) الاشارات والتنبيهات ابن سينا تحقيق سليمان دنيا القسم الرابع ١٠٩ .

(٢) رسالة في اعتقاد الحكماء – السهروردي – تدقيق هنري كوربان ١٧١ .

(٣) حكمة الإشراق – السهروردي – تحقيق هنري كوربان ٢٤٩ .

ثانيا : الخـــلاص :

تحت مفهوم الخلاص الذى لم يبرح ساحة الإشراقيين سار شيخ الإشراق من خلال بيانه لتلك المراحل حيث يرى أن الوصول يقتضى خلاصا من البدن لتسعى النفوس لعالمها الأول حتى تطرب طربا وتتجلى لها تلك اللوائح الغيبية فتترك عالم الأجسام وتتوجه لعالم الأنوار وفى هذا يقول :

(وكيف يتوهم الإنسان هذه الماهية القدسية جسما وهى إذ طربت طربا روحيا تكاد تترك عالم الأجسام وتطلب عالم مالا يتناهى) (١).

فمن دواعى الخلاص ترديد الألحان والتى فحواها مناجاة لعالم القدس على سبيل التذكر وفى هذا يقول (وتارة يستعينون بنغمة رخيمة وبروايح طيبة وبرؤية أمور متناسبة) (٢).

ولايتوقف الأمر عند هذا الحد بل يتطلب الخلاص زهدا من السالك لتطوير النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة ويكون ذلك كما يرى شيخ الإشراق (بتقليل الغذاء فيوافق فكرهم بالقلب ذكرهم باللسان) (٣).

عندئذ يستبشر لهم بالخلاص فهم (أصحاب السكينة الكبرى سيجدون من الله البشرى بالخلاص) (٤).

ومن الخلاص ينتقل شيخ الإشراق لمرحلة أخرى تتطلع خلالها النفس لعالم الأنوار .

ثالثا : مرحلة الاطمئنان والوصول (الملكة) :

إن السالك الإشراقى بعد هذه المرحلة الرياضية لأجل الخلاص يعد مضطربا حيث لاتتوالى عليه الأنوار دائما فهو يخش فواتها. فقد تسرى وقد تنقطع فيصير الأمر لديه ملكة فلا يخاف فوات شيء مما يجده وعن هذا يقول (.. فتحصل لهم أنوار روحانية حتى يصير ذلك ملكة ويصير سكينة فتظهر لهم أمور غريبة ويتصل بها النفس اتصالا روحانيا) (٥).

---

(١) هياكل النور – السهروردى – تحقيق د / محمد على ابو ريان ٥١ .

(٢) رسالة فى اعتقاد الحكماء – السهروردى- تحقيق هنرى كوربان ٢٧١ .

(٣) نفسه ٢٧١ . (٤) حكمة الإشراق – السهروردى – تحقيق هنرى كوربان ٢٥٠ .

(٥) رسالة فى اعتقاد الحكماء – السهروردى- تحقيق هنرى كوربان ٢٧١ .

ويلاحظ على التدرج السهروردى أنه خالف فى هذه المرحلة الشيخ الرئيس مخالفة ظاهرية حيث قدم مرحلة الملكة على السكينة على خلاف الشيخ الرئيس والذى يرى أن مرحلة السكينة سابقة على مرحلة الملكة ويعلمنا شيخ الإشراق بعد تلك المراحل أن السالك الإشراقى يرى (الأشباح الروحانية على أحسن ما يتصور من الصور) (١).

والرجل ما زال يحدثنا عن مثلة المعلقة والتى توجد فيها تلك الصور الغيبية ولا يكتفى برؤية هذه الأشباح الروحانية بل يتعدى الأمر لديه حيث ينعم السالك وأقرانه بالاطلاع على نور الأنوار حيث (يسمعون منه الكلام العذب ويستفيدون منه العلوم وقد يرون أشياء مكتوبة فلهم الحظ الأوفر والمقام الأعلى فى الدنيا والآخرة) (٢).

وهكذا يكون السالك الإشراقى قد أدرك بغيته والتى جاهد من أجل الوصول إليها حيث ينعم إلى جانب الأطهار الأبرار برؤية – نور الأنوار – والاستظلال تحت لوائه حيث وجد هؤلاء الإشراقيون بعد تلك الرحلة الحق (مرتديا الكبرياء اسمه فوق نطاق الجبروت وتحت شعاعه قوم إليه ينظرون) (٣).

---

(١) رسالة فى اعتقاد الحكماء–السهروردى– تحقيق هنرى كوربان ٢٧١ .

(٢) نفســـه ٢٧١ .

(٣) هياكل النور – السهروردى – تحقيق د / محمد على أبو ريان ٨٧ .

تعقيب

بعد هذا العرض لمراحل الإشراق عند الرجلين يمكننا أن نقف على نقاط منها :-

أولا : إن المصطلحات التي استخدمها الرجلان واحدة وهي بدورها ترجع لأصولها الصوفية والأمر لا يخلو من تأثر بآراء الصوفية خاصة إذا علمنا أن ابن سينا كانت تربطه صداقات وعلاقات وثيقة بصوفية عصره – بيد أن غاية الطريق عند الرجلين تختلف عما أراده الصوفية من وراء هذه المقامات فالطريق الصوفي لايركن العبد فيه لنفسه فالانتقال من مقام إلى مقام (... لا يكون إلا بفضل الله وحده وما على العبد إلا أن يستجيب للأمر وأن يحفظ الحقوق لله) (١).

فحرص الثبات على مقام معين لدى الرجلين لايتأتى إلا بالمداومة على الرياضات الروحية فالأمر مختلف لدى أصحاب هذا الاتجاه عن غيرهم. من أصحاب النهج الصوفي السني .

ثانيا : أن التأثر لم يقف عند الاستعارة اللفظية لألفاظ الصوفية بل تعداه للأثر اليوناني والذى تلقاه الفارابي ومن بعده تلميذه ابن سينا ومن بعدهما شيخ الإشراق الذى نقل الكثير من آراء ابن سينا وإن أجمل في ذكر تلك المراحل.ففي مرحلتي الإرادة والرياضة نجد الرجلين لا يخلوان (عن تأثر بالتاسوعات الأفلوطنية التي أثرت فيهما عن طريق الفارابي من جهة وعن طريق ربوبية أرسطو والعلل اللذين عزيا إلى غير مؤلفيها الحقيقيين) (٢).

وما هذه الألحان والغبطة العظمى والحب الإلهي الذى اعتبره الرجلان حافزا (... يستحث النفس لتعلو على الجسد طالبة الجمال الإلهي أو المحبوب الأوحد إلانغمات رددها أفلوطين مستمدا إياها من جذور ملفقة وهي بعينها معرفة إشراقية مال إليها مفكروا الشرق القديم عامة ولا سيما الفكر الهرمسي والتصوف المسيحي ....) (٣).

---

(١) التصوف الإسلامي في ميزان الكتاب والسنة – عبد الله الشاذلي ٨٣ .

(٢) المعرفة عند مفكري المسلمين د / محمد غلاب ٢٦٦ .

(٣) مدرسة الاسكندرية الفلسفية د / مصطفى النشار ١٥٧ .

ثالثا : تبدو محاولة إصباغ التعاليم الفلسفية بالصبغة الدينية واضحة في تلك المراحل ريثما فى تحويل النفس الآمارة بالسوء لدائرة النفس المطمئنة – فإن هذا النهج – قرآنى – ذكر أنواع النفوس وكيفية ترويضها وهذا الأسلوب كان نتيجة لمحاولة التوفيق بين الدين والفلسفة عند الرجلين .

رابعا: اتسمت هذه المراحل بالغموض الفلسفى إلا أن ابن سينا كانت أفكاره واضحة خاصة فى نفية الاتحاد با لله فى نهاية مطاف النفس وإن فسرت أقواله فيما بعد لاتخاذ الفيض النورانى للقول بالاتحاد وبالوحدة عند السهروردى ومدرسته .

فالذى ساعد على ذيوع هذا الآراء لم يكن ابن سينا بل انطلقت بلسان سهروردى . وذلك لتركيز الشيخ الرئيس فى أكثر من موضع من كتبه على نفى الإتحاد والوحدة بالإله (١).

خامسا : تعد هذه المراحل صورة بارزة لبيان الأثر السينوى فى الفلسفة السهروردية.وهذا يحق لنا أن نختم ما بدأنا به من بيان حول الآثر الواضح الذى لايشك فيه مفكر خاصة إذا علمنا اطلاع السهرردى على أثار الشيخ الرئيس مما يدل على انتهاج السهروردى نفس النهج السينوى وإن أدخل عليه بعض العناصر الأخرى من الفلسفات كالهرمسية وغيرها وهذا كله كان نتاج تلك البيئة الفارسية والتى احتضنت الرجلين فنهل من وعائها وكان نتيجة ذلك الفلسفة الإشراقية والتى أكمل بنائها شهاب الدين السهروردى .

---

(١) يقول د / أبو العلا عفيفى عن هذه المرحلة عند الشيخ (... ولما كان العالم العقلى هو عالم القدس والعالم الالهى قال ابن سينا إن العارف يكاد يرى الحق فى كل شئ ولم يقل انه بالفعل يرى الحق فى كل شئ أوان الحق هوبالفعل كل شئ ..) وبذلك يخرج ابن سينا من تبعه القائلين بوحدة الوجود .

أنظر – الناحية الصوفيه فى فلسفة ابن سينا ابو العلا عفيفى – الكتاب الذهبى ٤٢٤ .

تمهيـــد :

يمر السالكون عبر درجات معينة يمحصون من خلالها لتأتى لهم المطالعات النورانية . بيد أن هـؤلاء عند الرجلين لا يتأتى لهم الرقى لتلك الدرجة (مرتبة العارف) عند ابن سينا (والحكيم المتأله) عند السهروردى إلا اذا مر صاحب المقام الأول عبر منزلتي الزهد والعبادة والثـانى عنـد شيـخ الإشـراق يجمعه بين الحكمة الفلسفية إلى جانب التأله الذوقى . وفى مقامنا هـذا سنعرض للمراحل التى يقطعها السالك لحين وصوله لتلك المرتبة القصوى عند الرجلين .

ليتبين لنا معرفة بصاحب هذه النفس القدسية والتى حظيت بمقام الإشراق الإلهى.

أولا : الشيخ الرئيس :

قبل أن يصل السالك لدرجة العرفان عند ابن سينا وهى أرقى درجـات التجـرد والصفـاء يمر بمرحلتين لينضـج فكـرة من خلالهما ويصل لتلك المرتبة والتى يطالع فيها جمال الحق وهما :

أولا : مرتبة الزهد :

والزاهد عند الشيخ الرئيس (هو المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها) (١).

فـلا يشغلـه عن مقـام الوصــول للحق عرضا دنيويا يمـلأ بطنـه ويشـغل فكـره عـن غايتـه فتجمـع الدنيــا أمامــه فــلا يصفــو بقلبـه ولا يرقى بعقله وقد وضح صاحب الرسالـة القشيريـــة (٣٧٦ هـ - ٤٦٥ هـ) هذا المقام بقوله (فمتى زهد فى شىء من الدنيا وبقى عليه شىء لم يزهد فيه لم يكمل زهده) (٢).

---

(١) الاشارات والتنبيهات - ابن سينا - تحقيق سليمان دنيا ٥٧ .

(٢) الرسالة القشيرية - الإمام أبى القاسم القشيرى . ٦٠

والزاهد فى مقامه لابد أن لا يشغل نفسه بهم غد ويمحو آثار الدنيا من قلبه وقد سئل الجنيد عن الزهد فقال (خلو اليد من الملك والقلب من الشبع)(١).

ولا ريب أن المنهج الإسلامى على خلاف هذا الأمر . فالملك وسيلة وليس غاية يسعى إليها المرء فى حياته – فهو فى يده وليس فى قلبه .

والزاهد السينوى فى أولى درجاته القدسية ينبغى عليه ألا يجعل فجوة بينه وبين ربه (فلا يفرح بموجود من الدنيا ولا يتأسف على مفقود)(٢).

وهو إن أراد أن، يرقى لدرجة الوصول فى الابتداء عليه (أن يعرض عما سوى الحق لا سيما ما يشغله عن الطلب أعنى متاع الدنيا وطيباتها) (٣).

وعلى الرغم من منزلة تلك الدرجة وكونها تساعد السالك للوصول لغايته إلا أن الشيخ الرئيس ينبذ الواقفين عندها ولا يجاوزنها ويشبههم بالذين يشترون متاع الدنيا بمتاع الآخرة يقول (كأنه يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة) (٤).

وهنا تقل تلك الدرجة ويظهر عيوبها لدى الواقفين عليها فهم لا يطلبون بزهدهم وجه الحق (فالزاهد غير العارف يجرى مجرى تاجر يشترى متاعا بمتاع) (٥).

فينبغى على الزاهد السينوى أن يرقى بزهده ولا يقصر غايته على طلب الثواب والأجر الآخروى دون الوصول لمقام التجليات الإلهية وهو مقام العارفين ومن أراد منهم الوصول فعليه أن يجمع إلى جانب زهده العبادة الخالصة وهى المقام الثانى عند الشيخ الرئيس .

ثانيا : مرتبة العابد :

وهى المرتبة الثانية بعد الزهد ، والعابد عند الشيخ الرئيس هو (من واظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما) (٦).

---

(١) الرسالة القشيرية . الامام أبى القاسم القشيرى ٦١ .

(٢) الإشارات والتنبيهات – ابن سينا – تحقيق د / سليمان دنيا ٥٧ .

(٣) الإشارات والتنبيهات – ابن سينا – تحقيق د / سليمان دنيا ٥٧ .

(٤) الإشارات والتنبيهات – ابن سينا – تحقيق د / سليمان دنيا ٥٩ .

(٥) نفسه ٥٩ .

(٦) الإشارات والتنبيهات – ابن سينا – تحقيق د / سليمان دنيا ٥٨ .

وهو في هذا المقام يتوجه لمعبوده بالطاعة الكاملة فلا يترك بابا من أبواب الخير إلا يسارع إليه وهو يشارك الزاهد في العمل لنيل الثواب فهو عند الشيخ الرئيس (يعبد لينال ما يريده جزاء عبادته) (١).

وفي هذا تقل درجته على الرغم من طاعته المستمرة وذلك يرجع لدنو غايته والتي طلب بها غير وجه الحق فهو عند الشيخ الرئيس (كأنه يعمل في الدنيا لأجرة يأخذها في الآخرة هي الأجر والثواب) (٢).

وهكذا يشارك العابد الزاهد في غايته على الرغم من اختلاف فعلهما لكن الغرض واحد فالأول (ترك الشهوات وآثر الزهد ليستأجل أضعافها في الآخرة) (٣).

والثاني (يعبد الله ويطيعه ليخوله في الآخرة بشبعة منها فيبعث إلى مطعم نهي ومشرب هني ومنكح بهي ...) (٤).

فكلاهما اتخذ الزهد والعبادة غايتين لا وسيلتين لتلك الدرجة العالية وهي مرتبة العارف ولذا كان قصور همتهما ودنو مرتبتهما عند الشيخ الرئيس .

ثالثا : مرتبة العارف :

وهي أقصى ما يسعى إليه السالك في معراجه القدسي فالعارف عنده هو (المنصرف بفكرة إلى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحق في سره) (٥).

فهو يركز على طلب الحق واتخذ من الزهد والعبادة وسيلتين يهديانه إلى بغيته ولذا قد تجتمع تلك الدرجات في شخص واحد .

---

(١) الإشارات والتنبيهات – ابن سينا – تحقيق د / سليمان دنيا ٥٨ .

(٢) الإشارات والتنبيهات – ابن سينا – تحقيق د / سليمان دنيا ٥٩ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) الإشارات والتنبيهات – ابن سينا – تحقيق د / سليمان دنيا ٥٧ .

(٥) نفس المرجع ٥٨ .

وتعتبر أرقى درجات الصفاء وقد تركب بعض هذه مع بعض والعارف قد أدرك حقيقة كلاً من الزهد والعبادة فهما بمثابة رياضة ما للقضاء على أدران البدن وشهواته المعطلة والتي تحجب السالك عن الوصول . فعرف كيفية الخلاص وارتقى منها لتلك الدرجي وهو يقصد بهما تعويد نفسه البعد عن الغرور النفسي - إلى جانب الحق فتصير قواه المعطلة (... مسالمة للسر الباطن حينما يتجلى الحق لا تنازعه ...) (١).

وهو يشبه هذا الموقف بالجلباب الذي يرتديه الشخص فترة ما مؤقتة ثم ينزعه ليلبس غيره فيقول (إن للعارفين مقامات ودرجات يخصون بها وهم في حياتهم الدنيا دون غيرهم فكأنهم وهم في جلابيب من أبدانهم قد نضوها عن أنفسهم وتجردوا عنها إلى عالم القدس) (٢).

وهكذا يجعل العارف بغيته طلب الحق والانصراف إلى قدس الملكوت وهو في مقامه هذا لايفتر عن غايته حتى يخلص لها (كلما شاء السر اطلع إلى نور الحق غير مزاحم من الهمم بل مع تشييع منها له فيكون بكليته منخرطا في سلك القدس) (٣).

وقد أورد صاحب الرسالة القشيرية بيانا عن غاية العارف بقوله (لا يكون العارف عارفا حقا حتى لو أعطى مثل ملك سليمان عليه السلام لم يشغله عن الله عز وجل طرفة عين) (٤).

وهكذا يتوجه العارف فهو (يريد الحق الأول لا لشيء غيره ولا يؤثر شيئا على عرفانه وتعبده له فقط لأنه مستحق للعبادةولأنها نسبة شريفة إلية لا لرغبة أو رهبة ..)(٥).

وهذا العارف الذي وصل لمقام التجليات الإلهية ينبغي أن يتسم بسمات من سواه، فهوعند الشيخ الرئيس(هش بش بسام يبجل الصغير من تواضعه كمايبجل الكبير ..)(٦)

---

(١) الاشارات والتنبيهات - ابن سينا - تحقيق د / سليمان دنيا ٥٩ .

(٢) نفس المرجع ٤٧ .

(٣) نفس المرجع ٦٠ .

(٤) الرسالة القشيرية ١٥٦ .

(٥) الاشارات والتنبيهات - ابن سينا- تحقيق د / سليمان دنيا ٦٨ .

(٦) نفس المرجع ١٠١ .

الفصل الأول

النبوة بين الوهب والاكتساب

تمهيـــد :

اقتضت حكمته تعالى وسعة جوده وفضله أنه لم يدع الخلق لأنفسهم فى هذا الكون الواسع الأرجاء دون أن يوقفهم على ما به صلاح دنياهم وآخراهم. نظرا لتفاوت العقول البشرية وقصورها عن إدراك الحقائق الغيبية. والوقوف على إجابات جامعة مانعة تغنى عن حيرة العقول وتسد عجزها. أرسل الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين بين يدى الساعة. رحمة منه وتفضلا. فالنبوة رحمة يضعها الله حيث يشاء فهو أعلم حيث يجعل رسالته . قال تعالى حاكيا موقف المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم - (وقالو لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) (١).

فبتلك الرحمة أرسل رسله حيث إنه أعلم بالنفوس ما تسره وما تعلنه فهو الخالق (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) وذلك لأنه (لو تركت أزمة الفكر الإنسانى للإجتهاد المحض لضل الناس رشدهم ولما اتفقوا على حقيقة واحدة تصلح حالهم ومآلهم) (٢).

وأنزل الله سبحانه على رسله الكتب لتبين للناس منهاج حياتهم وآخرتهم قطعا للتنازع وسدا لأبواب الفتن والتناحرات العقلية ولهذا كان الرسل والأنبياء بمثابة الأطباء الحذاق الذين يعرفون الأدوية وطبائعها مما لا يمكن لغيرهم التوصل إليه إلا فى حقب كثيرة . مما يعجل بضياع الأوقات وانعدام الفوائد. وأيدهم سبحانه بالمعجزات التى تقصر قدرتهم عن الإتيان بمثلها تصديقا لهم في دعواهم. انطلاقا من حاجات البشر لطلب مايدل على صدق دعواهم، وحكى القرآن طلب المشركين من النبى صلى الله عليه وسلم مقولتهم(... إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتنا بعذاب اليم ..) (٣).

---

(١) الآيتين ٣١ ، ٣٢ سورة الزخرف .

(٢) عقيدة المسلم محمد الغزالى ١٨٧ .

(٣) سورة الإنفال الآية ٣٢ .

وبين سبحانه أن هؤلاء الرسل ما هم إلا بشر كغيرهم غير أنهم فضلوا وخصوا بالرسالة والاصطفاء فقد قال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى ...) (١) .

وأرشد سبحانه أن الرسل مهما عظمت قوتهم مكانتهم فلا يستطيعون الإتيان بشيء معجز من قبل أنفسهم . ولذا قال تعالى حاكيا موقف رسوله مع المشركين (قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم ...) (٢).

وهكذا تمثل النبوة لبنى البشر حياة جديدة ، تدور فى نطاق إلهى ، يسعد فيه بنو البشر فى دنياهم وآخراهم . (إذ مهما عظمت نتائج الفلسفة فإن تخلو فى هذه السبل أشبارا بعد أشبار حتى يدركها العثار) (٣).

وكلامنا عن النبوة ودرجها فى هذا الإطار الفلسفى الإشراقى عند الرجلين يرجع بنا للوقوف على هذا المفهوم،وهو أن النبى فى البداية والنهاية بشر . تصديقا لقوله سبحانه (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى) (٤).

وهذه المهمة منه تستدعى إرشادا وتوجيها للآخرين انطلاقا من إعلانه البلاغ عن الله سبحانه وتعالى . وإذا كان النبى يمثل السراج المنير فمن أين يستمد هذا السراج نوره . هل يرجع هذا الأمر لنفسه ؟ أم لتأييد إلهى ؟ فهذه النفوس – نفوس الأنبياء – (التى تشبه القمر الذى يتلقى أشعة الشمس فيستحيل بذلك إلى كتلة مضيئة تبعث بدورها الضوء إلى ما يجاورها) (٥).

أنى لها بهذا التأييد الإلهى والوحى الربانى ؟ أو الاشراق،وهم معنا هنا باعتبارهم أدلة النور لغيرهم حيث قال الله عن رسوله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) (٦).

وقبل أن نتعرف على هذه الإجابة من الرجلين ينبغى أن نعرج على أهمية النبوة ومدى حاجة العالم إليها من وجهة نظر الرجلين .

---

(١) سورة الكهف الآية ١١٠ .
(٢) سورة الانعام الآية ٥٨ .
(٣) عقيدة المسلم محمد الغزالى ١٨٩ .
(٤) سورة فصلت الآية ٦ .
(٥) الاسلام بين الأديان محمد كمال جعفر ١٤٤ .
(٦) سورة المائدة الآية ١٥٨ .

أهمية النبوة للخلق (ضرورة اجتماعية)

يرى الشيخ الرئيس أن احتياج الخلائق للنبوة ، إنما يتأتى من مدنية الإنسان فالإنسان مدني بطبعه لا يمكن أن يعيش منعزلا عن بني جنسه ، ويبرهن على كلامه بقوله (لما لم يكن الإنسان بحيث يستقل وحده بأمر نفسه إلا بمشاركه آخر من بني جنسه وبمعاوضة ومعارضة تجريات بينهما يفرغ كل واحد منها لصاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لأزدحم على الواحد كثير .

وكان مما يتعسر إن أمكن وجب أن يكون بين الناس معاملة ، وعدل. يحفظه شرع . يفرضه شارع متميز باستحقاق الطاقة لاختصاصه بآيات تدل على أنها من عند ربه . ووجب أن يكون للمحسن والمسيئ جزاء من عند ربه القدير الخبير . فوجب معرفة المجازي والشارع . ومع المعرفة سبب حافظ للمعرفة.ففرضت عليهم العبادة المذكرة للمعبود . وكررت عليهم ليستحفظ التذكير بالتكرير حتى اشتهرت الدعوة إلى العدل المقيم لحياة النوع. ثم زيد للعارفين من مستعمليها المنفعة التي خصوا بها فيما هم مونون وجوههم شطره . فأنظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة والنعمة تلحظ جانبا تبهرك عجائبه ثم أقم واستقم) (١).

ويؤكد في أكثر من موضع من كتبه على ضرورة إرسال الأنبياء بقوله (فواجب إذا أن يوجدني وواجب أن يكون إنساناوواجب أن يكون له خصوصية ليست لسائرالناس حتى يستشعر الناس فيه أمرا لا يوجد لهم فيتميز عنهم فتكون له المعجزات التي أخبرنا بها ..)(٢).

وعلى الطرف المقابل يطالعنا شيخ الاشراق ببيانه حول أهمية النبوة ومدى حاجة الخلق إليها بقوله (إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبعوثون بالحق لمصلحة النظام العام وليذكروهم الأخرة ، فإن الناس غافلون عن الأخرة،غير منصفين في أحوال الدنيا،فلابد من يقنن لهم قانونا مضبوطا،ولابد أن يكون هذا الشخص شريف النفس عالما قادرا على ما لايقدر غيره في زمانه بشرف نفسه ...) (٣).

---

(١) الاشارات والتنبيهات - ابن سينا - تحقيق د / سليمان دنيا ٦٠ - ٦٧ .

(٢) النجاة - ابن سينا - تقديم - ماجد فخرى ٣٣٩ .

(٣) رسالة اعتقاد الحكماء - السهروردى - تحقيق هنرى كوربان ٢٧١ .

وهكذا كانت الضرورة والإيجاب فإننا مضطرون لما دعا إليه الرسل لأجل صلاح العالم فى دنياه وأخراه.من خلال ما حملوا معهم من الكتب وما أيدوا به من المعجزات.فى إطار من الأمر الإلهى حيث (يمتاز النبى عن غيره أنه مأمور بإصلاح الخلق وأداء الرسالة) (١).

إلى هنا يحسن كلام الرجلين فى مدى أهمية إرسال الرسل لأجل تحقيق الصلاح الدنيوى والأخروى.ولكن ما دور الإشراق الفلسفى فى نفس النبى والتى وصفها السهروردى / بأنها شريفة وابن سينا من قبله بالقـوة .

هذا ما سنتعرف عليه من خلال بيانهماحول النفس .

أولا : الشيخ الرئيس :

النفس النبوية (القدسية) :

يرى الشيخ الرئيس أن النبى هو من قويت نفسه فى قطع علاقتها بالبدن ووصلت لدرجة الصفاء والشفافية فهى مستعدة للانتقال من العلوم إلى المجهول وما يعرفه بالقوى الحدسية وعندئذ تستطيع الاتصال بالعقل الفعال فترتسم منه صورة الغيب المنقوشة فيه وهذا النوع بصفه بأنه (ضرب من النبوة بل أعلى قوى النبوة والأولى أن تسمى هذه القوة قوة قدسية وهى أعلى مراتب الإنسانية) (٢).

وكل سالك لابد أن يستعد لهذا الأمر فبحسب الاستعداد تتوالى الإشراقات يقول (... ولنفسك أن تتقش بنقش ذلك العالم بحسب الاستعداد وزوال الحائل) (٣).

ولا عبرة لدى الشيخ الرئيس للأحوال فلا فرق بين اليقظة والمنام فهو يرى (أن النفس الإنسانية لها أن تنال من الغيب نيلا ما فى حالة المنام فلا مانع من يقع مثل ذلك النيل فى حالة اليقظة إلا ما كان إلى زواله سبيل ولارتفاعه إمكان) (٤).

---

(١) رسالة اعتقاد الحكماء - السهروردى - تحقيق هنرى كوربان ٢٧١ .

راجع اللمحات أيضاً يقول (...... فلابد فى كل مصر من شارع فاضل النفس مطلع على الحقائق ...) ٢١٦ .

(٢) الشفاء - ابن سينا ٢٤٦ .   (٣) الاشارات والتنبيهات - ابن سينا تحقيق د / سليمان دنيا ١٢٤ .

(٤) الاشارات والتنبيهات - ابن سينا تحقبق د / سليمان دنيا ١١٩ ، ١٢٠ .

وإذا كان النبى الإشراقى هو من قويت مخيلته الداخلية فضلا عن الانعزال التام عن البدن وأدرانه فإن الإشراقات وتواليها مناما ليس من الأمر المستغرب والمستعجب لدى الاشراقى حيث يرى الشيخ الرئيس أن النوم يسبب تعطلا للبدن فهو شبيه بالمرض الذى يضعف البدن وقواه فيقول (على أن النوم أشبه بالمرض منه بالصحة فإذا كان كذلك كانت القوى المتخيلة الباطنة قوية السلطان ووجدت الحس المشترك معطلا فلوحت فيه النفوس المتخيلة مشاهدة فترى فى المنام أحوال فى حكم المشاهدة) (١).

وهكذا كان من وراء مشاهدة ومحاكاة العالم الغيبى والاطلاع على ما فيه صفاء النفس وانقطاعها عن البدن وأدرانه يقظه أو مناما ، هذا للجميع أما الخواص فهو من أرتقى فوق تلك الدرجة بارتفاع مخيلته واستعدادها.ويستدل الشيخ الرئيس على صدق أقواله بقياسه تلك الحالات التى لها اطلاع على المغيبات بحالات المرضى والمجانين وما يرونه فيقول(قد يشاهد قوم من المرضى والممرورين صورا محسوسة ظاهرة حاضرة ولا نسبه لها إلى محسوس خارج فيكون انتقاشها إذن من سبب باطن أو سبب مؤثر فى سبب باطن) (٢).

ويعجب ابن سينا ممن يتعجب من تلك الحاله المرئية المشاهدة لمثل هؤلاء القوم بقوله (ولا يتعجبن متعجب من قولنا إن المتخيل ينطبع فى البنطاسيا فيشاهد . فإن المجانين قد يشاهدون ما يتخيلون ولذلك علة تتصل بإبانه السبب الذى لأجله يعرض للممرورين أن يخبروا بالأمور الكائنة فيصدقون فى الكثير) (٣).

وهكذا لا يحتاج الأمر إلا قوة للمتخيلة لتختلس من الأنوار العلوية يقظة أو مناما لا فرق فى ذلك بين الصحيح والسقيم ، ويوضح الشيخ الرئيس المخيلة وعملها بقوله (إن القوة المتخيلة كالموضوعة بين قوتين مستعملتين لها سافلة وعالية . أما السافلة فالحس فى أنها ورد عليه صورا محسوسة يستعملها العقل فيها وإجتماع هاتين القوتين على إستعمالها يحول بينها وبين التمكن من اصدار أفعالها الخاصة بها على التمام حتى تكون الصور التى تحدثها ، بحيث تنطبع فى البنطاسيا إنطباعا تاما فيحس ...) (٤).

---

(١) الاشارات والتنبيهات - ابن سينا - تحقيق د / سليمان دنيا ١٣٣ .

(٢) الاشارات والتنبيهات - ابن سينا - تحقيق د / سليمان دنيا ١٢٩ .

(٣) رسالة فى إثبات النبوة - ابن سينا تحقيق د/ أحمد فؤاد الأهوانى ١٢٠ .

(٤) نفسه ١٢٠ .

وإذا كان الأمر الغيبي الجميع فيه سواء ، فإن الشيخ الرئيس يضع فارقا شرفيا فقط بين المجانين والأنبياء يوضحه د / سليمان دنيا بارجاعه الأمر (... لتوهمهم الفاسد وتخيلهم المنحرف الضعيف ويفعل في الأولياء والأخيار نفوسهم القدسية الشريفة القوية فهذا أولى وأحق بالوجود من ذلك) (١) .

ويوضح د / مرحبا كيفية تلقى الوحى الإلهى من منظور الرجل بقوله (أما كيفية تلقى النبى للوحى فلا يكون بتزويد الله له بالعبادات الصريحة ، ولا بأحاديث النفس ، وإنما يكون بفيضان العلوم من الله على لوح قلب النبى ، وهنا تأتى قوة التخيل فتتلقى ذلك كله وتصوره بصورة الحروف والأشكال وتجد لوح النفس فارغا فتنتقش تلك العبارات والصور فيه فيسمع كلاما منظوما ويرى شخصا بشريا فذلك هو الوحى) (٢).

وما على السالك الإشراقى أو النبى إلا أن يصفو بنفسه حتى تصير مرآة مجلوة تنتقش فيها تلك الصور الغيبية فى العالم النورانى . على تفاوت فى الدرجة بينهما، ولكن السالكين فى هذا الإطار قلة يستطيعون دون غيرهم الوصول ، وبذلك يشاركون الأنبياء (أصحاب النفوس القدسية) القوية فى تجلى صفحة الغيب وهذا التفاوت يرجع عند الشيخ الرئيس لأسباب يمكننا أن نقف عليها من خلال النقطة التالية عنده .

ثانيا : تفاوت السالكين :

يختلف السالكون فى درجات وصولهم بحسب تفاوت استعداداتهم لقبول الجزئيات المنتقشة فى العالم العلوى،وذلك يرجع إلى ضعف أو قوة المخيلة فيهم ، وعن هذا الأمر يتحدث الشيخ الرئيس بقوله (فبعض الأنفس يتضعف فيها ويقل هذا الاستعداد أصلا لضعف القوة المتخيلة أيضا،وبعضها يكون هذا فيها أقوى) (٣).

---

(١) الاشارات والتنبيهات – ابن سينا – تحقيق د / سليمان دنيا . ١٣٩ .

(٢) من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية د / محمد عبدالرحمن مرحبا ٥٥٤ .

(٣) رسالة فى النبوة – ابن سينا – تحقيق د / احمد فؤاد الأهوانى ١١٧ .

وعن الطبقات الجيدة وتفاوتها يقول (وطبقة أخرى أشد تهيأ من تلك الطبقة وهم القوم الذين بلغ من كان قوتهم المتخيلة وشدتها أنها لاتستغرقها القوى الحسية فى إيراد مـا يـورد عليهـا حتى يمنعها ذلك عن خدمة النفس الناطقة فى اتصالها بتلك المبادئ الموجة إليهـا الأمـور الجزئيـة فتتصـل كذلك فى حالة اليقظة وتقبل تلك الصور ..) (١)٠

" وهذا ما يسميه بدرجات النبوة "

وهكـذا يـرى الشيـخ الرئيس أن التجربة التى يقـوم بهـا الأشـخاص ، والقيـاس بحـالات النوم إلـى اليقظة أو المرض والمجانين إلى الأصحاء متطابقان على هـذا الأمـر الغيبـى وحدوثـه ، فـلا غرابة بعد ممن يستعبد هذا الأمـر . ويوضـح الشيـخ الرئيس أنواع هذه الغيبيات وصورها بقولـه (... تشاهد صور إلـهية عجيبة مرتبة وأقاويل إلهية مسموعة) (٢)٠

ويفصـل هـذه الصـور بقوله (وإذا فعـل هـذا صـار الأثـر مشـاهدا مبصـرا أو هتافا أو غير ذلـك وربمـا تمكن مثـالا موفـور الهيئـة أو كلامـا محصـل النظم وربمـا كـان فـى أجـل أحوال الزينة) (٣)٠

والرجل هـذا يشير لأنواع الوحى بصورة فلسفية . وتلك الأنـواع المعينـة بقـوله تعـالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء أنه على حكيم) (٤)٠

---

(١) رسالـة فى النبـوة – ابن سينـا – تحقيـق د / احمد فؤاد الأهوانى ١١٨ .

(٢) رسالة فى إثبات النبوات – ابن سينا – تحقيق د / أحمد فؤاد الاهوانى ١١٩ .

(٣) الاشـارات والتنبيهـات – ابن سينا – تحقيق د / سليمـان دنيـا ١٣٩ .

(٤) سورة الشورى الآية ٥١ .

تعقيب

ونخلص من هذا كله إلى الآتي بيانه :

أولا : إن النبوة رحمة وموهبة ومنحة منه سبحانه وتعالى لا تأتي لأحد - كما لا تستدعى مجاهدات أو رياضات من نوع خاص وصولا لنيلها - يقول الأيجى (ولا يشترط فيه شرط من الأعراض والأحوال المكتسبة بالرياضات والمجاهدات في الخلوات والانقطاعات ولا استعداد ذاتي من صفاء الجوهر وذكاء الفطرة) (١).

كما زعم الرجلان . بل الله يختص برحمته من يشاء ... وهو أعلم حيث يجعل رسالته . والأنبياء صلوات الله وصلواته عليهم أجمعين لم ينقل أو يتواتر عنهم أنهم توجهوا لأنفسهم برياضات خاصة قصدا لتوالى الإشراقات والتأييدات الإلهية - بل الثابت عنهم أنهم ما استطاعوا كشف الضر عن أنفسهم إلا بدعائهم لله رب العالمين قال تعالى حكاية عن يونس (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) (٢).

وعن أيوب (.... أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) (٣).

ثانيا : إن كلام الرجلين بمفهومهما عن النبوة يفتحان باب النبوة على مصراعيه فكل من ملك مخيلة قوية استطاع الاطلاع على العالم الغيبي وتجاوزه إلى الاخبار عما فيه.فلا فرق بينه وبين غيره . بل ولا حاجة للنبوة ما دام الشخص بنفسه يستطيع أن يطلع على العالم الغيبي . فهو قسيم النبي في عمله فلا حاجة به إليه (أي للنبي) . (فإذا صح أن يكون لإنسان ما مخيلة ممتازة لايشغلها شيء عن شيء ويمكنها التخلص من ربقة الجسد فإنه يستطيع بذلك أن ينفذ إلى عالم النور والمعرفة وأن يتصل بالعقل الفعال واهب الصور والمعرفة) (٤).

---

(١) المواقف والايجى بشرح الجرجاني صححه محمد بحر الدين النعساني ٢١٨ .

(٢) سورة الأنبياء الآيه ٨٧ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٨٣ .

(٤) الاسلام بين الأديان د / محمد كمال جعفر ٣١٨ .

وهكذا لن يخلو الميدان من الأنبياء فى وقت ما . على الرغم من التصريح الواضح بختمها بقوله تعالى (وخاتم النبيين) (١).

ويؤدى هذا القول إلى عدم التمايز (لأن ما ذكره للنبى يتصف به أحاد الناس فإن اتصال النفوس الفلكية وانعقاد الأقيسة العقلية فى النفس هو قدر مشترك بين الناس وإنما هو بحسب استعداد النفوس .. فلا اعتبار للفرق بين نفس النبى وغيره) (٢).

وهكذا تكون النبوة عند الرجلين مكتسبة تمتد إليها أيدى كل من (... قويت مخيلته وصفت نفسه واستعدت لتلقى فيض العقل الفعال فالنبوة عندهم مكتسبة .. وسار كثير منهم يطلب أن يؤتى مثل ما أوتى رسل الله وأن يؤتى صحفا منشرة ...) (٣).

ثالثا : ما استدل به الرجلان من حدوث الاطلاع على المغيبات لغير الأنبياء من المجانين وأصحاب العاهات مردود عليها لأنه حينئذ لا يمتاز به النبى على غيره وقد أشار صاحب المواقف (الأيجى) إلى ذلك بقوله (٤).

(.. الإطلاع على البعض لا يختص به أى النبى كما أقررتم به حيث جوزتموه للمرتاضين والمرضى والنائمين فلا يتميز به النبى عن غيره) .

فضلا عن ضياع هيبة النبوة والرسالة إذ كيف يتيقن الصحة لأقوال هؤلاء وقد ذهب عنهم ما هو مناط تكليفهم فضلا عن أداء الرسالة وإبلاغها.

رابعا : إمكان الاطلاع على المغيبات لدى الرجلين بقياس اليقظة على المنام ليجعل من المنام أصلا واليقظة فرعا. وماذا لو توقفت أحلام هؤلاء القوم ؟. مع أن الأمرين سواء لدى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث ورد عنه عليه الصلاة والسلام قوله (إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا) (٥).

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

(٢) الرد على المنطقين - أبن تيمية ٤٨٣ .

(٣) الرد على المنطقيين - ابن تيمية ٤٨٣ .

(٤) المواقف - الأيجى - شرح الجرجانى - تصحيحه محمد بدر الدين النعسانى ٢١٩ .

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة الألبانى ٢٨١ (أخرجه الألبانى فى سلسلته ٢٨١) .

وما كان من خبر إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك ..) (١).

وما ترتب عليه من تشريع إلهي . ومع أن الفارق بين الأمرين واسع الشأن لدى هؤلاء الإشراقيين والأنبياء فقد يكون وضع أحلامهم من قبيل أضغاث الأحلام فكيف يقاس اليقظة عليها مع أن رؤيا الأنبياء إنما هي وحي منه سبحانه وتعالى .

قال عبيد بن عمرو (رؤيا الأنبياء وحي يوحى ثم قرأ قول ابراهيم عليه السلام – إني أرى في المنام أني أذبحك) (٢).

خامسا: ترتبط نظرية الرجلين في النبوة بالأحلام وما يراه هؤلاء الإشراقيون في منامهم حيث إنه (لما كانت المخيلة لدى أرسطو ولدى الكندي والفارابي من بعده هي الوسيلة أو المصدر لصنع الحلم ونسجه مع مراعاة الطبائع والأمزجة والأحوال النفسية التي يحياها الرائي فإنها لاتستطيع أداء هذه الوظيفة إلا إذا تعطل الإحساس وتوقف نشاط الحواس . كما يحصل ذلك في النوم تماما وهذا ما يؤدي إلى اعتبار الأحلام ممثلة إلى حد ما لحالة صاحبها) (٣).

وينكر ابن تيمية مثل هذه الأقوال ويصادرها بقوله :-

(لو قدرنا أن الناس ما جربوا وقوع ذلك في النوم لكان استبعادهم محصول . هذا حال النوم اشد من استبعادهم لحصوله في اليقظة – فلو لم يجرب الأذكياء ما تصور ذلك من الضعفاء والنقصاء) (٤).

يقول السهروردي (ولنفوسنا الانتقاش بها كما عسى قد جربته من المنامات الصادقة والمانع لها عن الانتقاش شواغل بدنية. فإذا قلت في النوم أو المرض كما للمصروعين أو لقوة النفس كما للأنبياء وبعض الأولياء ، فلا تذعن نفوسهم للمادة الشاغلة فيتوصلون بالنقوش الفلكية)(٥) .

---

(١) سورة الصافات الآية ١٠٣ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني تحقيق طه عبدالرؤف ٤٠٢ .

(٣) الاسلام بين الأديان د / محمد كمال جعفر ٣١٦ . (٤) الرد على المنطقيين ابن تيمية ٤٨٤ .

(٥) اللمحات في الحقائق . السهروردي . تحقيق د / محمد علي ابو ريان ٢١٨ .

وهكذا يسقط قول ابن سينا التجربة والقياس متطابقان على أن النفس تنال من الغيب نيلا وعليه فالربط السينوى السهروردى بين مايراه النائم واليقظان يرجع لأصول مشائية أرسطية)(١) مختلطه بأفكار فارابية . كان لها دورها فى فوران مخيلة الرجلين وتصريحهما بمثل هذه الأراء.

سادسا : تشكل النبوة لديهما وجهة باطنية وهى تبرز فى أن كل عصر لا يخلو من هؤلاء الشارحين امتداد لكسبية النبوة . ويبرز من الداخل القطب والوتد أو يسميه السهروردى بالحكيم المتأله .

وهكذا كانت نظريتهم فى الإمامة مدخلا لتلك النظريات والأفكار الفاسدة والتى أعلت من شأن الإمام على النبى وضمنت له البقاء على طول القرون دون انقطاع .

فالبيئة الفارسية قد حفلت بآراء شتى خاصة فيما يتصل بالإمامة وتواليها والأثر الإسماعيلى الشيعى يتضح فيها جليا فهم كعاداتهم يحاولون اخضاع النصوص القرآنية لما يريدون.فهم يفسرون قوله تعالى (فمستقر ومستودع)(٢).

بقولهم إنه (إشارة إلى الإمام المستقر والمستودع وأنه لايدرك ما يفصل بينهما إلا من فتح الله بصيرته)(٣).

فالأمر لم يخرج عن النطاق الشيعى فى هذه البيئة يقول د / النشار (أود أن انتهى من هذا إلى أن نظرية النبى الروحى قد اخترعها متأخروا الإسماعيلية)(٤).

---

(١) من المعلوم أن أرسطو يرى أن القوى الباطنية للنفس الإنسانية يقوى فعلها أثناء النوم فى ابتعاد عن المؤثرات الخارجية ولهذا كانت فعل القوى المتخيلة أكمل وأكثر روحانية فى حالة النوم ويستدل على ذلك بحالة فاقدى الابصار يقول (أن الذين يستعملون الفكر كثيرا تميل قواهم الحسية إلى داخل البدن حتى إنه يغشاهم النوم بتسكين الحواس الخارجة لتجرد لهم الفكر ولهذا السبب كان الذين يولدون عدماء حاسة البصر وحاسة السمع أتم أفعالا فى القوى الباطنية ..) انظر - المقالة الثانية من كتاب الحاس والمحسوس لأرسطو تلخيص أبى الوليد رشد تحقيق د / عبدالرحمن بدون ٢٠٨ .

(٢) سورة الأنعام الأيه ٩٨ .

(٣) نشأة الفكر الفلسفى - النشار ٤٩١.

(٤) نشأة الفكر الفلسفى -النشار ٤٩١ .

وقد ذكرنا سالفا ما بين مكانة الإسماعيلية من الشيخ الرئيس ومن والده والذى أجاب دعوتهم وقربهم إليه وهذا التساوق القائم بين الأنبياء والأئمة يرجع لمحاولة كل فريق رفع مرتبة صاحبه (فإذا كان الشيعة قد رفعوا منزلة أئمتهم إلى مصاف الأنبياء وربما فاقوهم فكذلك فعل الفلاسفة حينما جعلوا اتصال الأنبياء بالعقل الفعال عن طريق مخيلتهم أما اتصال الحكماء فهو عن طريق عقولهم) (١).

وهكذا يكشف الجانب الشيعي عن سر توالى الأئمة الذين عرفوا بإخوان التجريدعلى مر العصور.

---

(١) نظرية الأمامه لدى الإثنا عشرية د / محمود يحى، ١١٩ .

الفصل الثانى

الخوارق وعلاقتها بالإشراق الفلسفى

تمهيـد :

بعد وصول العارف أو الحكيم المتأله لتجلى صفحة الغيب بواسطة مخيلته القوية والتى يسرت له الاطلاع على الأنوار العليا والوصول لنور الأنوار . فإن الأمر لا يقف عند هذا الحد فيستطيع العارف إصدار أفعال تعد خارقة للعادة بالنسبة لأقرانه من السالكين . وهذه الخوارق لا تحد بحدود معينة فالعارف يحدثها متى شاء وفى أى وقت يريد انطلاقا من نفسه النورانية والتى تسورت أسوار الجانب الإلهى فتستطيع بعد خلاصها من موبقات البدن أن تطلع على أسرار الطبيعة وخواصها فتحدث تلك التحولات والتى تذهل عقول النائين عن هذا السبيل .

وهذا ما نستجليه إن شاء الله من خلال فكر الرجلين . الشيخ الرئيس والشيخ المقتول :-

أولا : الشيخ الرئيس ومدلول الخوارق لديه :

مع إعلاء الشيخ الرئيس لشأن النبى والنبوة وبيانه مدى أهمية وحاجة البشر لها فإن وجهته عن النبى تتمثل فى اشتماله على ثلاث خصال .

(صفاء الذهن – كمال القوة المتخيلة – والقدرة على التأثير فى المادة الخارجية) (١).

ونتوقف هنا عند القدرة علىالتأثير فى عالم العناصروهذا يبرزلنا الشيخ الرئيس عدة أسباب تعد رئيسية فى إحداث تلك الخوارق بالنسب للسالكين الإشراقيين دون غيرهم .

أولا : القوة الروحانية :

يرجع الشيخ إحداث الخوارق للعارفين الإشراقيين لروحانية النفس فهى بطبيعتها مبرئة عن المادة فإذا ما عادت لقواعدها سالمة من أدران البدن وغواشيه آن لها أن تنطلق وتحدث أفعالا يعجز عنها غيرها .

---

(١) نظرية النبوة والحقائق الدينية عند ابن سينا لويس جاروية الكتاب الذهبى . ٣٥٢

وهو فى هذا يذكر القارئ فى أكثر من موضع أن العلاقة بين النفس والبدن تعد وقتية فلا يستبعد غير السالك إحداث تلك الخوارق من العارف حيث يقول (٠٠ أليس قد بان لك أن النفس الناطقة ليست علاقتها بالبدن علاقة انطباع بل ضرب من العلائق ٠٠) (١) ٠

فالرجل يرى أن قوة العارف مستمدة من نفسه النورانية الأصل ٠ وهى بدورها تفعل ما هى لها باعتبارها منبثقة من أصل نورانى يتمتع أربابه بكافة القوى والتى من شأنها إحداث مثل هذه الخوارق ومن هذا كانت الغرابة مستبعدة فى شأن هؤلاء الإشراقيين يقول العقاد (٢) ٠

(إن ابن سينا يرى أن النفوس تؤثر فى أجسادها وفى غيرها من الأجساد بقوة واحدة لأنه لا مانع من تأثيرها فى الأجساد الأخرى إذا كانت تؤثر فى أجسادها وهى غير متحيزة ولا تنقسم بأنقسامها فالذى يفهم المؤثرات الأرضية هذا الفهم لا يمتنع عليه عقلاً أن يقبل تغيير العادات) ٠

ثانيا : القوة الواهمة :

يرى الشيخ الرئيس أن حدوث الخوارق أو خرق العادة على يد العارف أمر يسهل فهمه لدى السالكين خاصة أنه قد يتوهم الواحد أنه يسير على جذع مرتفع المكان قليل العرض ٠ فى حين أنه قد لا يستطيع أن يسير على جذع منخفض المكان واسع العرض ٠ فإذا كان التصور الخيالى لايمنع حدوث مثل هذه الأمور فلماذا يستبعد غير السالكين الإشراقيين ما تحدثه نفس الإشراقيين وهو يصور ذلك بقوله (٠٠ حتى إن وهم الماشى على جذع معروض فوق فضاء يفعل فى إزلاقه ما لايفعله وهم مثله والجذع على قرار) (٣)٠

ثالثا : القوة المتخيلة :

تساعد القوة المتخيلة على إبراز قوة النفس وبدونها لا ترقى النفس لتلك المكانة باطلاع المخيلة على عالم المجردات وعلى أسرار الطبيعة المنقوشة فى عالم الغيب وهى صور

---

(١) الإشارات والتنبيهات ٠ ابن سينا تحقيق د / سليمان دنيا ١٥١ ٠

(٢) الشيخ الرئيس ٠ العقاد ١٠٩ ٠

(٣) الاشارات والتنبيهات ٠ ابن سينا تحقيق د / سليمان دنيا ١٥١ ٠

قد يراها (.. المرضى والنوم والكهنة والتى يراها أذكياء النفوس من الأنبياء والأولياء ..)(١) .

فالذى لا يستطيع الارتقاء بمخيلته لا تستطيع قوته النفسية أن تؤثر فى الأشياء أو تحدث الخوارق .

رابعا : الأجسام الطبيعية وخواصها :

يرى الشيخ الرئيس أنه إذا كانت بعض الأجسام الطبيعية قد تسلط على غيرها فتخضعها لتأثيرها فلا يستبعدن حدوث خرق للعادة على يد العارف الإشراقى ويصور ذلك بقوله (.. أنها خارجة عن المجرى الطبيعى كجذب المغناطيس للحديد وهرب حجر باغض الخل من الخل ..)(٢).

فالفعل والانفعال متواجد فى الطبيعة على أشكالها المختلفة . فلما لا يكون للعارف قوة قدسية تجعله يفعل ويخرق العادة .

تلك أمور ذكرها الشيخ الرئيس لتقريب صورة خرق العادة لغير السالكين باعتبارها تحدث أمامهم ويعاينها سالكوها فمن باب أولى حدوثها لدى أصحاب النفوس القدسية الإشراقية .

ثانيا : أقسام الخوارق الإشراقية :

يقسم الشيخ الرئيس ما يحدث على يد العارف إلى أمور منها :

الصنف الأول : ويتعلق هذا الصنف (بفضيلة العلم وذلك بأن يؤتى المستعد لذلك كمال العلم من غير تعليم بشرى وتعلم بشرى حتى يحيط علما بما شاء الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)(٣).

---

(١) التفسير القرآنى واللغة الصوفية حسن عاصى ٢٣١ .

(٢) رسالة فى الفعل والإنفعال ابن سينا ١٠ .

(٣) نفس المرجع ٣ .

ويدل عليه بقوله تعالى [illegible] الله تعالى [illegible]
[illegible] أو ما [illegible]
[illegible]

الصنف الثاني: وهو (يرجع إلى [illegible] القوى وذلك بأن يؤتى [illegible] ما يقوى على [illegible] الأمور الحاضرة الماضية والإطلاع على المغيبات الأمور المستقبلة فيأتي إليه كثير من الامور التي تقدم وقوعها بزمان طويل فتعبر عنها وكثير من الأمور التي تكون في الزمان المستقبل فينذر بها)(٣).

ويدلل عليه بقوله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ..)(٤). ولا ريب أن هذا استدلال بعيد لأن الإحياء هنا معناه الإعلام وهو لا يرجع لمخيلة النبي ﷺ والمعنى على ذلك (أى نعلمك بها وحيا منا)(٥).

الصنف الثالث: (يتعلق بفضيلة قوة النفس التي تبلغ من قوتها إلى القدرة على الإهلاك وقلب الحقائق من تدمير على قوم بريح عاصفة وصاعقة وطوفان وزلزلة)(٦).

ويلاحظ أن الشيخ الرئيس يضع القسمين الأولين تحت تأثير النفساني في النفساني . فالمؤثر نفسي وكذا المؤثر فيه . وأما القسم الثالث فيقع لديه تحت تأثير النفساني في الجسماني كتأثير نفس الإشراقي في إحداث زلازل أرضية أو ريح عاتية . وقد ألحق الشيخ الرئيس بهذا القسم أنواعا من الكرامات بقوله (فيقدمون على هذه الأشياء بما يستجيب من دعواتهم وتظهر منهم أمور تخرج عن المجرى الطبيعي) (٧) .

وقد مثل لتلك الكرامات فقال حكاية عن بعضهم (.. أنه كان يستسقي للناس فيسقون أو يدعو عليهم فيخسف بهم ويزلزلون أو يدعو لهم فيخلصون عن الوباء والتحط والأمراض الصعبة المزمنة ومن هذا القسم معجزات عيسى عليه السلام) (٨).

ويلاحظ أيضا على التقسيم السينوي للخوارق على اختلافها ، أن القسم الاول يشمل المعجزة والكرامة حيث يحصلان دون تعلم ودون كلفة من السالك فهما منه سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة النساء الآية ١١٣ .
(٢) تفسير الآخر لرازي -تقديم خليل الميس- الجزء الحادي عشر ١٠ .
(٣) رسالة في الفعل والإنفعال ابن سينا ٤ .
(٤) سورة هود الآية ٤٩ .
(٥) تفسير ابن كثير-الصادر في الجزء ٢ ٢٢٢ .
(٦) رسالة في الفعل والإنفعال ابن سينا ٥ .
(٧) رسالة في الفعل والإنفعال ابن سينا ٥
(٨) نفسه ٥ . راجع الإشارات والتنبيهات - ابن سينا تحقيق د/ سليمان دنيا ١٥٠ .

[illegible]
يقع الخلط بين المعانى الغرائبة ، والتى حاول ادراجها تحت المفهوم الإشراقى . حيث إن مكونات الغيب المستقبلية ما كانت لترجع لمخيلة نبى أو رسول يرجى استعدادا خاصا منه حتى يدخل فى الإطار الإشراقى .

ومع القسم الثالث وهو محور الإشراقى حيث يحتاج من السالك قوة نفسية تستطيع إحداث الخوارق وقلب العادات . ومن هذا القسم يرى معجزات عيسى عليه السلام . على الرغم من نفىالجانب الكسبى فى معجزاته عليه السلام وإثباتها لله على لسان عيسى عليه السلام فى قوله تعالى (وإذ تخرج الموتى بإذنى . .) (١).

فأى شرف للنفس فى هذا المقام الإلهى . وقد حرص الشيخ الرئيس على التفرقة بين المعجزة والكرامة والسحر حيث يرى أن الذى (يقع له فى هذا فى جبلة النفس ثم يكون خيرا رشيدا مزكيا لنفسه فهو ذو معجزة من الأنبياء أو كرامة من الأولياء) (٢).

هذا عن المعجزة والكرامة فإنهما يسيران لغاية واحدة القصدمنها الهداية والإرشاد .

وأما السحر فيقول عنه (والذى يقع له هذا ثم يكون شريراويستعمله فى الشر فهو الساحرالخبيث وقد يكسرقدر نفسه من غلوائه فىهذا المعنىفلايلحق بشأن الأذكياءفيه)(٣).

ويوضح السحر ومفهومه أكثر فيقول (فهذه التصورات إذا استعملت فى الشر وإيذاء الخلق وتوريطهم فى مهاوى الضر ومفاحم الآفات والفتن سميت سحرا) (٤) .

وهناك أمور أخرى حرص الشيخ الرئيس على إبرازها وتعريفها لأنها عنده تستتبع أثارا غريبة فالطلسمات لديه (أمور غريبة تحدث بين قوى سماوية وبين أجسام أرضية

---

(١) سورة المائدة الآية ١١٠ .

(٢) الاشارات والتنبيهات ابن سينا تحقيق د / سليمان دنيا ١٥٦ .

(٣) الاشارات والتنبيهات ابن سينا تحقيق د / سليمان دنيا ١٥٧ .

(٤) التفسير القرآنى واللغة الصوفية حسن عاصى ٢٢٨ .

المبحث الأول

[illegible]

[illegible]

أولا : إن تسمية القصة بهذا الاسم (حى بن يقظان) تسمية رمزية • فقد أوضح الشيخ الرئيس ذلك الغموض المقصود بحى بن يقظان بقوله (أما اسمى فحى يصح أن يصدر عنى ما بعدى ، وابن يقظان إذ ليس وجودى بذاتى بل وجودى بغيرى ومن وجودى عنه على أجل الأحوال الحى من اليقظة التى هى أكمل حالية فهو كمال على الاطلاع لا يشوبه شىء بالقوة)(١) .

وهكذا يمثل (حى) الحياة بالنسبة لمن دونه (أى تلك النفوس القاصرة عن الوصول فهو يهبها الصور ويفيض عليها ويهيأ لها سبل العروج وفى نفس الوقت يمثل (يقظان) حلقة ضمن سلسلة تصاعدية فهو صادر عن غيره من تلك العقول التى تسبقه فالمقصود به (حى بن يقظان) إنما هو العقل الفعال أخر العقول فى السلسلة المشائية العلوية وأوضح دى بور مبينا رمزية حى بن يقظان بقوله (٢)•

(إن حى هو هادى النفوس الناطقة الإنسانية وهو العقل الفعال أخر العقول الفلكية وهو الذى يؤثر فى العقل الإنسانى) •

ثانيا : هدفها • إن هذه القصة كغيرها من قصص الرجل تهدف فى أسلوب مجازى (لبيان أغراض النفس فى ما وراء الحياة الدنيا وصولا لمشرق الأنوار.فهى تشهد ارتقاء النفس من عالم العناصر واجتيازها عالم الطبيعة والنفوس والعقول حتى بلوغها عرش الواحد القديم) (٣) .

وهو بعينه ما تهدف إليه الفلسفة الإشراقية حيث الوصول للتجليات الإلهية •

---

(١) حى بن يقظان - ابن سينا - تحقيق حسن عاصى ٣٢٣ •

(٢) تاريخ الفلسفة فى الأسلام - حى بور - تعليق د / محمد عبدالهادى أبو ريجة ٢٢٦ •

(٣) نفســـه ٢٦٥ •

ثالثا : أن القصة على الرغم من أسلوبها لم تكن أصلية في مصادرها لدى الشيخ الرئيس فيرى أحمد أمين (أنها تشبه في جوهرها كتابا يونانيا اسمه أيمن إدرس. حافظ الناس منسوبا إلى هوملص وهى محاورة امتزج فيها المذهب الأفلاطونى بمذاهب قدماء المصريين) (١) .

وتأخذ الهرمسية نصيبها الوافر منها ، حيث يرى الأستاذ أبو العلا عفيفى (أن رسالة حى بن يقظان ليست إلا صورة عربية للرسالة الأولى من مجموعة رسائل هرمس وهى رسالة بوماندرس)(٢) .

وهكذا فلم تك القصة أصلية المنبع لدى الرجل ، وإن عبر عنها بأسلوب يمتاز بعبارات خلابة وجذابة .

أبرز خصائص الفلسفة الإشراقية :

أولا : النفس وخلاصها :

يصف الشيخ الرئيس رحلته بالمشقة والعنت . حيث لازمته تلك الرفقة والممثلة فى الجسد وأدرانه ،حيث القوى الشهوانية والعاقلة . والقوتين الأوليتين تسيطران سيطرة كاملة على النفس المحتبسة داخل الجسد . وعن هذا يقول (إن هذه القوة ملتصقة بالإنسان التصاقا كبيرا ولا يبرىء الإنسان منها إلا غربة تأخذها إلى بلاد لم يطأها من قبله أمثاله)(٣).

وانطلاقا من هذا المبدأ كان على النفس أن تدخل فى صراع دائم مع تلك الرفقة والتى لقبها بشهاد الزور (وذلك لأنها قادرة على تشبيه الشىء بالشىء زورا وبهتانا لإيقاع الإنسان في الشر) (٤).

ويعتمد الخلاص لدى الرجل على المجاهدة المستمرة فيمكن قمع الجسد وشهواته . وهذا يقتضى من السالك أن يرتقى فى طريق التطهير حيث المعارف التى لابد من سلوكها والأخذ بها ومنها علم المنطق . ويعلل أحمد أمين سر اختيار هذا العلم بقوله (إن اختياره هذا

---

(١) حى بن يقظان ، تحقيق أحمد أمين ١٧ .

(٢) الكتاب الذهبى ، مقال الناحية الصوفية فى فلسفة ابن سينا د / ابو العلا عفيفى ٤٤٩ .

(٣) حى بن يقظان تحقيق – أحمد أمين ١٩ .

(٤) نفس المرجع ١٨ .

العالم لأنه بواسطته [illegible] (١).

وهو يعين ما [illegible] إليه الإشراقيون من محاولة مزج الفلسفة بالإشراق ، حتى يتسنى للسالك التعبير عما يراه في عالم الأنوار ، وهو العين الفوارة حيث إنه يحكم العقل ويهديه إلى الصواب ، وقد فسر هذا الأمر الشيخ الرئيس في رسالته عن السعادة بقوله عن الخلاص وشرفه (النفس الإنسانية غير متخلصة من حالة هذه القوة إلا بعد تقديم يعرف بالحقائق باتقان العلم الفلسفي فالواجب أن لا يتقاعد عن تحصيل الفلسفة التي هي النجاة عن خدعة هذا القسم من القوى النفسانية الضارة بذات النفس الناطقة) (٢) .

وهكذا ينضم للسلوك العملي السلوك النظري.فأولى درجات هؤلاء للعروج . من جمع بين الفلسفة ممثلة في علم المنطق المعبر عما أشكل عليهم في أثناء انجذابهم . والإشراق كطريق تجريبي يتحقق القرب فيه (فبقدر خلاص النفس وتصفيتها تحصل على النور) (٣).

ثانيا:أحوال السالكين .

يشير الشيخ الرئيس إلى تفاوت السالكين في التدرج المعراجي وصولا لإشراقات الإله والتمتع بالنظر لوجه الكريم سبحانه وتعالى ووصف هؤلاء الناظرين بأنهم (..... أمه بررة لا تجيب داعية نهم أو قرم أو غلمة أو ظلم أو حسد أو كسل قد متعوا بالنظر إلى وجه الملك وحلوا تحلية اللطف في الشمائل والحسن في الأذهان والرواء الباهر والحسن الرائع) (٤) .

وهؤلاء القوم هم الواصلون أما أولئك الذين حيل بينهم وبين ما يشتهون باحتباسهم في أجسادهم فلن يجدوا إلى هذا المقام سبيلا .

---

(١) حي بن يقظان . أحمد أمين ١٨ .

(٢) رسالة في السعادة . ابن سينا . تصحيح عبدا لله بن أحمد العلوي ١٨ .

(٣) نظرية المعرفة عند . ابن سينا – فيصل عون ٣٠٢ .

(٤) حي بن يقظان تحقيق أحمد أمين ٢١ .

يتخذ حي بن يقظان من مهنته ذاتها السياحة . وهو يمثل الجهاد المقدس الأرضية وفي الوقت نفسه ما هو إلا امتداد لتلك العقول السابقة والتي هو من فيضها ، وأما سياحته فيكشفها بقوله (وأما حرفتي السياحة فالسياحة لتعقل ذاتي ومبدأى لتعلق سائر تعقلات توابعى بتعقلى وغايتى ومطلوبى جنس التعقل من المبدأ الأول ..) (١) .

وباعتباره هاديا فإنه لايفتر بتوجيه نصائحه للنفوس القاصرة في البعد عن البدن وأدرانه بقوله (أنى يصفو لك جو التعقلات مع رفقاء الذين هم أضدادك ولايبارحونك أنى ترجو الاستكمال مع هؤلاء الذين يكدرون صفو العلم عليك) (٢) .

وهكذا يفرض الأمر أن يمر السالك الإشراقي بتلك العقول ابتداء من العقل العاشر في السلسلة العقلية أى . الفعال . وصولا إلى الخير المطلق لكل ما عداه وهذا ما فعله حى في رحلته مع تلك النفوس مع المرور بالنفوس الفلكية ثم العقول الفعالة والتى هى في نظره قد حليت (بحلية اللطف من التعقلات ولا ذهن أثقف من ذهن من يسع إدراكه حقيقة المبدأ الأول ..) (٣) .

فهى تمتاز بصفة الطهر والنقاء وكمال العلم . ومن العشق المتبادل بين عالم العقول – الأنوار – وعالم النفوس الأرضية كان سعى كل فريق لنيل إشراقات الإله والوصول لحضرته فإن حى بن يقظان بمثابة رسول للسلام والأمان والخير للعالم الأرضى خاصة أصحاب النفوس القاصرة عن الوصول بذاتها فهو يأخذ بيدها صعودا عبر العقول إلى مشرق الأنوار .

فالقصد منها أنها (تبين قوة العقل وتمييزها على ما لدى الإنسان من غرائز وملكات وفضل العقل عليها وهدايتها ونجاتها إذا سمعت لقوله ثم بيان علاقة هذا العقل الأرضى بالعقول السماوية العليا ثم هذه كلها بالعقل العاشر...) (٤) .

---

(١) حى بن يقظان تحقيق حسن عاصى ٣٢٤ .

(٢) نفسه ٣٢٤ .

(٣) نفس المرجع ٣٢٣ .

(٤) حى بن يقظان . تحقيق أحمد أمين ٢١٠ .

[illegible]
الأفلاطوني واضحا) (١)

ناهيك عن الأثر الأفلاطوني كما يتجلى أن تعبير الرجل الرمزي عن العقل الفعال (حي بن يقظان) لم يك إلا (اسما وضعه ابن سينا للعقل الفعال الذي يشرح أسرار الكون على نحو ما يشرح برمنيدس في الكتابات الهرمسية أسرار الكون) (٢) .

وإذا اتضحت تلك الدلائل . فالأمر لا يخرج عن دائرة الفلسفة الإشراقية والتي عبرت عنها قصة حي بن يقظان ، بتلك الصورة الرمزية والتي هي أحدى سمات هذه الفلسفة .

---

(١) الفلسفة الأخلاقية الأفلونية عند مفكري الإسلام ناجي التكريتي ٣٢٥ .

(٢) فصول الحكم – ابن عربي – تحقيق د / أبو العلا عفيفي ٤٥ .

المدرسة الطبيعية

جابر بن حيان

هو أبو موسى جابر بن حيان بن عبد الله الازدى من قبيلة ازذ اليمنية نصر والده العباسيين فى دعوتخم بالكوفة وكان يعمل بالطب لكنه دس عليثه من قبل الأمويين فقتل واعدم استقر جابر ببغدداد بعد عودته الى العراق وتوثقت صلته بجعفر بن يحيى البرمكى الذى قدمه للخليفة هارون الرشيد وقد اقترح على الرشيد نقل الكتب العلمية البونايى من القسطنطينية وقد ولى هاربا إلى الكوفة بعد نكبة البرامكة وعاش متخفيا دون أن يعلم أحد مكانه ولم يعثر عليه الا بعد قرنيين من وفاته حين كشف عن معمله بعد تهدم بيوت حى باب بدمشق الذى كان يسكنه وقد توفى فى مسكن رأسه عام ١٩٧ ه ٨١٣ م ٠وقد تتلمذ على يدحرب الحميرى والامام جعفر الصادق وق مال الى التصوف والفلسفة وقد كان يجيد اللغتين اليونانية واللاتينة ٠

يعرف هذا الرجل بابى الكيمياء وقد كانت جهوده فيها
على حد تعبير د/ عبد الحليم منصر لم تنطوى على
السحر والشعوززة بل كانت تقوم على منهج علمى
سايبم يعتمد على استخلاص الذهب خاماته بالملغمة
وقد كان المؤسس وواضع البنات الاولى ثم جاء ابو
بكر الرازى ليخطو بالكيمياء خطوة واسعة ٠٠٠٠)

اهم انجازات جابر بن حيان فى علم الكيمياء

*ابتكر بعض الأجهزة التحضرية الكيمائية وقام
بتعديل بعض الأجهزة الأخرى ووصف فى كتاباته
الكثير منها ومنها الزجاجى والمعدنى٠

*توصل الى تحضير حمض الهيدرو كلوريك روح
الملح ممزوجا بحمض النتريك وعرف المزيج الناتج
عن عملية التحضير باسم ماء الذهب

*توصل الى تحضير الارحماض العضوية والى
تحضير الصودا الكاوية والى تحضير نتلرات الفضة
وكربونات الرصاص ٠٠٠٠الخ وفى الكيماياء
الصناعية وصف طرقا بارعة لاستخلاص المعادن
وتحضير الصلب بالمواصفات الصناعية المطلوبة

وحماية الحديد من الصدأ ...... الخ وفى الناحية الفكرية وجدناه يستخدم طريقة البحث العلمى التجريبية فهو ينصح تلميذه قائلا :- واول واجب ان تعمل وتجرى التجارب لان من لايعمل ويجرى التجارب لايصل الى ادنى مراتب الاتقان فعليك يابن بالتجربة لتصل الى المعرررفة وكذا يقول فمن لم يعمل ولم يجرب لم يظفر بشىء ابدا وكذا مالا فهتخر العلماء بكثرة العقاقير ولكن بجودة البتدبير فعليك بالرفق والتأنى وتلرك العجلة واقتف اثر الطبيعة فيما تريده من كل شئ . ومن هذا المنطلق فقد

وضع جابر بن حيان خطوات اوليى للمنهج السديد العلمى وان لم يكن قد وقف على وقفة كاملة كما فعل من اتى بعده .

ونظرا للغموض الذى يكتنف حياته دعا بعض الباحثين الى الافتراء عليه بزعم انه ناقل لعلوم اليونان بل زعم بعضهم انه ان مؤلفاته من وضع الاسماعلية وفقه انكار لجهود العالم الاسلامى ويرفع

فى الوقت نفسه من قدر الاسماعلية لكن ظهور الاصل العربى ىالكاملل لكتاب السبعين دحض فرية الرجل فقد قال عنه سنجر نال جابر سشهرة مرموقة بين معاصرية من حيث كونه ابا الكيمياء دون منازع ويقول عنه جوستاف لبون تتالف من كتب جابر موسوعة علمية تحتوى على خلاصة ما وصل اليه علم الكيماىء عند العرب فى عصره وقد اشتملت كتبه على بيان مركبالت كيماوية كانت مجهولة قبله وهو اول من وصف اعمال التقطير والبلورة والتذويب والتحويل ٠)[٥٢]٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

---

[٥٢] راجع عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية ٠ محمد غريب خموده ص ٦٧ وما بعد ها٠

ابو بكر الرازي

هو ابو بكر محمد بن زكريا الرازى يعرف فى بغض المصادر العربية بجالينوس العرب ويطلق عليه بويل الفارسى تشبيها بالفيزائى والكيمائى البريطانى روبرت بويل ٠

ولد باقليم الرى بفارس عام ٢٤٠ ٨٥٤ م وقد درس الفلسفة والعلوم الطبية وانتقل لبغداد اواصلة دراسته

وفاته :-

يذكر ابن كثير في البداية اوالنهاية انه توفى عام ٣١١ ه ٩٢٣م وتزيد بعض المراجع عاما او عامين على هذا التاريخ ويرتفع بعضها الى عام ٣٣٣٦٤ ه ٩٧٥ م ٠

بلغت مصنفاته فيما يزيد على مائتين واربع وعشرون كتابا وارتفع الى مائتين واثنتين وثلاثين فى شتى المجالات المختلفة

اكتشف اثر الجوانب النفسية في علاج العلا العضوية ونبه إلى الإيحاء النفسي وقد كان رائدا للطب الاكلينكى واول من اجرى التجارب العلاجية على

الحيوان قبل تطبيبها على الانسان وضع في علم التشريح مولفات تدل على ممتارسة وخنكته العملية وقد اكتشف اثر الحساسية فى بعض الحالات المرضية وميز بين الجدرى والحصبة فى الاطوار المرضية الاولى التى يتشابع فيها اللنرضان وكان من اوائل من ميزوا بين المغض الكلوزى والتهاب القولون وكذا برع فى طب العيون وله رساله فيها تنم على ذكائه ومقدرته العلمية واكتشف اثر الضوء على حدقة العين وكتب مشيرا الى اتساعها ليلا وضيقها نهارا ومن كتب ه الطبية كتاب الحتاوى يعد موسوعة شاملة كل المعارف الطبية العربية واليونانية والهندية الموجوده فى عصره •يقةول عنه قول ديورانت انه ظل طوال عدة قرون اعظم الكتب الطبية واهم مرجع للكب فى اوربا •وكتاب الاسرار وكتاب الجرى والحصبة زوكتاب من لايحضره الطبيب وكتا محنة الطبيب وكتاب منافع الاغذية

*وواقعة بناء البيمارستان العضدى اظهر على شهرته فقد اراد الخليفة العباسى المعتضد ٨٩٢

٢٠٩٠ م بناء مستشفاه ببغداد فاستشار بعض اكابر الاطباء في امر بنائه وموقع البناء وكان من بينهم الرازى الذى اشار بوضع قطع من اللحم فى المواقع المختلفة المقترحة للبناء اعلاها ثم اختار اقالها تعفنا ٠

ومن هذه الامور التى تثبت ربراعته ى فقد فقد دعى لعالج اميرا من روماتيزم الفاصل وبعد عناء فى الذعاب اليه حيث رفض الذهاب بقارب صغير وسط نهر كبير ولكنه ذهب مربيوطا من قبل جنود الامير وعندما ذهب اليه اعيته اللامور العلاجية مع الامير فقرر ان يجرب علاجا جديدا حيث ذهب مع الامير الى حمام ساخن تاركا بعغلته وفاؤرسه فى الخارج مع غلامه وبعد ان نشط الامير بجسجه صضى الرازى يسب الامير قائلا لقد بقيبيدى والقائى فى القارب وسوف اقتلك جزاء مافعله رجالك بى فغضب الامير غضبا شديدا وثار وهب واقفا على قدميه بدافع من الغضب والخوف فى ان واحد وعند

ئد سارع الرازى الى لفرار ولم يتوقف الا بعد ان عبر النهر الى بلاده وبعد ان ظهر اللامير مراد الرازى والعلاجى كافاه وارسل اليه الهدايا العديدة •

وان تعجب من علاج الرازى لهذا الامير فعجب علاجه لمريض القى الموى حيث عكف على فحص المريض وبعد اخذ ورد تبين للرازى شرب هذا الشاب من بعض المستنقعات فاعتزم فى نفسه امرا وقال للشاب البغدادى اذا جئت غدا فسوف اعجالك ....لكنى اشترط عليك ان تامر غلمانك بطاعتى فى كل ما امرهم به نحوك وفى اليوم التالى عاد تالرازى ومعه وعاءان مملوان بنوع من الطحالب المائية وامر المريض بابتلاع ما فلا الوعائين فابتلع قدرا كبيرا منه ثم قتال انه لايستطيع ابتلاع المزيدوهنا امر الرازى الغلمان بطرحه على ظهره وفتح فمه وراح يدس فى فمه ذلك الطحلب الكريه الطعم وواصل حتى انتاب المريض القئ وتوبفحص القى وجد الرازى علقة كانت مصدر العلة وبطردها استعاد الشاب صحته •فهو حين شرب من الماء

الراكد تسربت العلقة الى جوفه والتصقت بفم المعدة وظلت بها حتى وجدت الطحلب الاثير لديها فتعلقت به وخرجت مع القئ ٠

يقول د/مدكور :- وهو دون نزاع أكبر طبيـب فـى الاسلام بل فى القرون الوسطى على الاطلاق ويمتاذ بالاصالة ودقة الملاحظة واستطاع أن يكشـف عـن أمراض لم تكن معروفة من قبل وكتابه الحجاوى فى مقدمه كتب الطب العربية التى عول عليها اللاتين وقد منح الكيمياء قسطا كبيرا من عنايته ودرسها دراسـة واقعية يجريبية [٥٣]

واخيرا يقول عنه بعض الباحثين (لقد امتاز الرازى بمعارف طبية واسعة شاملة لم يعرفها احد فط منذ ايام جالينوس وكان فى سَعى دائم وراء المعرفة عابات منها كل ما يمكنهعبه باحثا عنهاااا فى صَفحات الكتب وعلى اسرة المرضةى وفى التجارب الكيمايئة قاطعا الآفاق من اجلها ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠)[٥٤]

---

[٥٣] الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق د/مدكور
[٥٤] المرجع السيابق ٩٨ ٠

الحسن بن الهيثم

يقول احد الباحثين انه لمن العيب عدم معرفة ناشئتنا وشبابنا عن ابن الهيثم ان فى هذا الامر اجخاف كبير وعيب فاضح اليس همالا منا ان نعرف عن بطليموس وكبلر وبيبكون اكثر مما نعرف عن ابن الهيثم الا يدل هذا على نقص فى برامجنا الثقافية ؟

وابن الهيثم هو ابو على الحسن بن الحسن بن الهيثم وعرف بالبصرى ولد عام ٣٥٤ -٩٦٥ بمدينه البصرة وتوفى عام ١٠٣٩ م ٤٣٠ه بالقاهرة تلقى علومه الاولى ىفى البصرة ثم رحل الى بغداد حيث تابع دراسته وتفقه فى علوم العربية والعلوم الدينبة وتعمق فىلا الرياضيات ىوالفلك والطب والفلسفة وفى الثلاثين من عمره رحل الى مصر فىابان عهد الدولة الفاطمية بدعوة من الحاكم بامر تاله حيث اضطر للاشتغال بسخ مؤلفات اقليدس وبطليموس وغيرها وبيعا امام الازهر ليكسب قوته ٠ وقد عاصر الكرخىوالبيرونى وابن سينا ٠

وقد رفعه وقدره الحاكم بامر الله نظرا لقوله لو كنت بمصر لعمنملت بنيلها عملا يحفظ ماءه ويحصل به النفع فى كل حالاته من زيادة ونفق ص فقد بلغنى انه ينهدر من موقع عال وهو فى طرف الاقليم المصرى وعندئذ لم يلبث الخليفة الا بارسال الايه واكرم وفادته بل كان على زاس مستقبليه ثم انفذه على راس بعثة الىلدراسة مجرى النيل من القاهرة الى اسوان ولولا عدم عثوره على الموقع المناسب لتطبيق مايردلكان ماراد فيعتقد الباحثون انه كان يزمع تطبيق ذلك على النيل لالا عدم عثوره على ىالموقع المناسب لاقامة المنشأت الخاصة به ولعله كان يتخيل الجنادل كما لو كانت شلالات فوجدها مجرد صخور تعترض المجرى ويستحيل اقامة اية منشات عليها .

فى محال علم الضوء صصحح ماقيل وما ورث عن فلاسفة اليونان من ان الابصار يحدث نتيجة لخروج حزمة من الضوء من عين المشاهد الى الجشم المرئى فتقع لاالرؤية وقرر ان الابصار عكس ذلك حيث يحدث لانتيجة لسقوط اشعة صادرة من الجسم المرئى

الى العين لتوثر فيها ٠الى جانب اثباته ان للضوء زمنا وسرعة معينة وقد درس تشؤريح العين ووصف تركيبها موضحا بالرسم واطلق على اجزائها الاسماء التى تعرف بها الان وقد توصل تالى فكرة البيت المظلم وصنعه واجرى تجاربه الضوئية ويعد هذا الامر تاساسا لالة التصوير ومن ثم اجهزة العرض المختالفة ٠٠٠٠ وله مؤلفات عديدة فى علم الضوء

وقد اخذ هذا العالم الفذ بالطرق العلمية من نحو التجربة والمشاهدة والايستقراء والقياس والتمثيل وفى هذا يعد سبقا لبيكون رائد التجربة كما يطلقون عليه فى العصر الحجديث ولكن اين مكانه من ىابن الهيثم فهو اسبق زمن امنه بوكان الاول فيالسوفا نظريا ولم يكن عالما وكان ابن الهيثم عالما معمليا وقد تناول بيكون الطريقى العلمية باقتصضاب لاتكتمل فيه مقومات اتلبحث العلمى بينما تناولها ابن الهيثم تناولا مكتملا ومثاليا لايرقى اليه بيكون والذلى انسئت قبيل وفاته بعام واحد الجمعية الملكية بلندن فالطريقة التجريبية لم يخترعها بيكون ٠وقد عرب الغرب الفظه

إلى لغتهم وقد ملك ملكة لغوية واضحة اضحت لسانا مترجما للغرب فيما بعد٠

وهذا ما يلخصه د/ مدكور بقوله انه (من أعظم الرياضيين والبيعيين فى القرون الوسطى أنتهى فى البصريات إلى أراء ونظريات أكبرها المدرسيون وسبق بها علماء النهضة والتاريخ الحديث وشاء أن يطبق هندسة فى مجرى النيل بمصر وينظم الرى ويحول دون الفيضانات الطاغية وأولع كذلك بالفلسفة لانها فى رأيه أساس ينبغى أن تقوم عليه العلوم جميعها وكان معجبا بأرسطو شأن المشائين العرب فدرس كتبه وشرحها وعلق عليها)[٥٥]٠

يقول عنه ابن أبى اصبيعة كان ابن الهيثم فاضل النفس قوى الذكاء متفننا فى العلوم لم يماثله تاحد من أهل زمانه فى العلم الرياضى ولايقرب منه وكان دائم الاشتغال كثير التصانيف وافر الزهد ٠

---

[٥٥] الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه د مدكور

ويقول عنه جورج سارتون فى كتابه مقدمة لتاريخ العلم

ان ابن الهيثم اعظم عالم ظهر عند العرب فى علم الفيزياء بللا اعظم علماء الفيزياء فى القرون الوسطى ومن علماء الضوء القليلين المشهورين فى العالم كله ويقول عنهى كيلى فى كتابه تاريخ الفلك انجز بن الهيثم العديد من الاكتشافات اهمها نظرية التناسب التى خالف فيها الخوازمى وسائر العلماء ٠

وفى كتاب شمس الله تسطع على الغرب (كان ابن الهيثم أول من أجرى تجارب بواسطة نوع من اله اغلتقب او البيت المظلم التى هةى فىلا الواقع صورة اولية لالة التتصوير مستقبلا والتى برهنت على انتشار الضوء فى خطوط مستقيمه وهو لكم يصدق عينيه حين رأى صورة العالم مقلوبة رأسا على عقب لدى انعاكاسها وفقد لجأالى إجراءء ذات التجارب التى لجا إليها بعد ذلك دافنشنى الفنان الايطالبى ويفصل بينهما مايقرب فمن خمسة قرون ٠

ولو استعرضنا اقوال العلماء لطال بنا المقام وان دل هذا الامر فامنا يدل على تمكنه وباعه الواسع فى العلوم المختالفة وعلى كل متخصص ان يفتش عن جانبه البارز من فلسفة وعلوم هذا الرجل ٠

الإمـــــام الغزالــــــي

عصره - حياته - آثاره

عصـــــره :

يعـد القـرن الخـامس الهجـري عصـراً شـائكاً.فقد امتلأت الحياة فيه بشـتى الـثقافات المتـنوعة.حيـث اشـتعلت حـركة الـترجمة فيه عن الفلسـفة اليونانــية.كمـا ظهـرت فـيه المذاهب الإسلامية المختلفة،كما فـتح فـيه بـاب الإجـتهاد ولكنه على الجانب المقابل كان عصراً مشوباً بـالقلق والإضـطراب إذ بـرزت فـيه تعالـيم وأفكـار وفلاسفة اليونان واشـتد فـيه الجـدل وتعـالى فـيه صوت المغالطة والسفسطة وظهرت طوائـف عديـدة . فلاسـفة ودهرييـن وصوفية .... بحر عميق من الآراء غـرق فـيه الأكـثرون ومـا نجـا منه إلا الأقلون كما رأى الإمام الغزالــي . ومـن هـنا فقـد بـرز علم الكلام وظهرت الفلسفة الإسلامية وتوالـت قضـايا وراء قضـايا.بحـث في الطبيعة وما وراء الطبيعة ومن هـنا هـيأ هـذا العصـر لبروز هذا العلامة في سماء العلم ألا وهو حجة الإسلام الإمام الغزالي .

مولـــده – نشأتـــه

ولـــد أبـــو حـــامد الغزالي في منتصف القرن الخامس الهجري سنة ٤٥٠ هــــ. فــي طــوس وهــي مقاطعــة فــي خراسان شمال شرقي إيران. أما أســرته فقــد كــان والــده كما ذكر السبكي في (طبقات الشافعية، كان (يعمل فــي غــزل الصــوف ويدلــوف علــى المــتفقهة ويجالسهم ويتوفر على خدمــتهم ويجــد فــي الإحســان إليهم والنفقة بما يمكنه عليهم وأنه كان إذا ســمع كلامهــم بكــى وتضــرع وسأل الله أن يرزقه ابناً فيجعله فقيهاً)[1] واســتجاب المولــى عــز وجــل لدعاء هذا الرجل فكان إبناه فقيهين واعظيــن ولكــن المنــية عاجلــته قــبل أن يــرى ثمرة دعائه، وقد دلت القرائــن العديــدة علــى أن الإمــام الغزالــي كان صغيراً لم يبلغ بعد سن الرشــد وقتــئذ. وكمــا هــو دأب الصــالحين الوصية لغيرهم حين موتهم ومــن هــنا فقــد عهد الأب الصالح بالابنين الغزالي وأخيه أحمد إلى أحد رجــال الصــوفية لــيقوم برعايــتهما علــى أكمل وجه وكان صوفياً فقيراً ونفــد مــا كــان معــه مــن مــال موصى به من لدن الأب للابنين فعهد الــرجل إلــيهما عهــداً يعيــنهما علــى طلب العلم والحصول على القوت

---

(1) طبقات الشافعية للسبكي [illegible]

الذي يسهل لهما السعي على العلم، مكان التحاقهما بمدرسة من مدارس العهد التي كانت تعين الوافدين عليها بما يلزمهم من النفقة.

رحلاته العلمية

تلقى الغزالي أولى نفحات العلم في طوس حيث قرأ في صباه على أحمد بن محمد الطوسي، الفقه وكان أستاذ الأول يوسف النساك وكان صوفياً وصار فيما بعد إمام الحرمين ثم انتقل رحمه الله إلى جرجان، حيث تلقى طرفاً من العلم على يد الإمام أبي نصر الإسماعيلي وهو حينئذ لم يبلغ العشرين من عمره ثم عاد إلى طوس مرة أخرى ومكث بها ثلاث سنين بعد عودته من جرجان وكان ذلك إثر حادثة مشهورة أغتصبت فيها كتب الغزالي، والتي تعلم منها كما يقول المؤرخون (أن يستظهر كل ما يقع تحت يده حتى لا تصبح له حاجة إليه إذا ما تناولته أيدي العفاء). [1] ثم قدم نيسابور حيث جالس إمام الحرمين ضياء الدين الجويني في المدرسة النظامية فدرس علوم الفقه والمنطق والأصول وظل ملازما له حتى وافته المنية في سنة ٤٧٨هـ. وهذه الفترة من حياة الغزالي رحمه الله إمتازت

---

(١) راجع الأخلاق عند الغزالي / زكي مبارك صـ... وما بعدها ...

راجع أيضاً وفيات الأعيان بن خلكان جـ٢ صـ ٢٤٤.

بالغـزارة الثقافـية العلمـية .إذ بـرع فـى أثنائها فى المنطق والمحاورة وعـرف مـناهج الفلاسـفة وطرق الرد عليهم وألف عدداً لا بأس به من الكتـب العلمـية ،وقتـئذ ،وكـان خروجه من نيسابور خروجا موفقاً إذ لحـق بالوزيـر السـلجوقي الـذي عرف بتشجيع العلم والعلماء وكان إذ ذاك فـي الثامـنة والعشـرين مـن عمره وقد ملأت شهرة الغزالي وقتئذ أرض ملكـه ،حيـث سـمع الثـناء علـى عقلـه وعلمـه وأدبه فأحضره مجلسـه وكعـادة الخلفـاء والـوزراء الحريصـين علـى العلم ،فقد كان منـتدى العلـم حـافلا بظهـور الغزالـي ورفعـته على أقرانه من علماء عصـره المقربيـن مـن نظـام الملـك وكان ذلك لأن الإمام رحمه الله قد أخـذ علـى عاتقـه حمـل العلم والتفقه فيه ما أمكنه إلى ذلك سبيلاً فهو يقـول (ولـم أزل فـي عـنفوان شـبابي مـنذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشـرين إلـى الآن وقـد أنـاف السـن علـى الخمسين أقتحم لجة هذا الـبحر العمـيق وأخـوض غمـراته خـوض الجسـور لا خوض الجبان الحـذور وأتوغـل فـي كـل مظلمـة وأتهجم على كل مشكلة وأقتحم كل ورطـة وأتفحـص عقـيدة كـل فرقة وأستشكف أسرار ومذهب كل فريق لأمـيز بيـن محـق ومبطل ....) .[1] وقد خاض الإمام هذا البحر بكل ما

---

[1] راجع المنقذ من الضلال تحقيق د/ عبد الحليم محمود صـ ٥٣

ينبغـــي أن يكــون علـــيه طالـــب العلـــم ولعل ذلك كان من كيان شخصية الـــرجل فهـــو يقـــول عـــن نفسه (وكان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبـــي وديدنـــي مـــن أول أمـــري وريعان عمري ....) [١] ومن هنا بدأت رحلـــة جديـــدة فـــي حـــياة الإمـــام ألا وهـــي مرحلة الشك للوصول إلى الحقـــيقة الصـــائبة،وقـــد كـــان الشـــك عند الإمام الغزالي رحمه الله يدب دبيـــباً فـــي نفســـه ومـــن هنا فقد طرح التقليد الأعمى والعقائد الموروثة المبنـــية علـــى الضـــلال والخطـــأ،وبدأ الإمام رحمه الله ينتقل في شكه من الحســـيات إلـــى العقلـــيات ... ألـــخ وفـــي هـــذا يقول (.... فلعل وراء إدراك حـــاكم العقـــل حاكمـــا آخـــر إذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلـــى حـــاكم العقـــل فكـــذب الحس في حكمه .....) [٢] ثم انتقل الغزالي فـــي شـــكه إلـــى الحـــدس والتخمين ثم كانت عودته للضروريات في ثوب مـــنظم بـــنور قذفـــه الله فـــي صدره كما قال (وعادت النفس إلى الصحة والاعـــتدال ورجعـــت الضـــروريات العقلـــية مقـــبولة موثوقاً بها على أمـــن ويقيـــن ولـــم يكـــن ذلك بنظم دليل و ترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعـــالى فـــي الصـــدر وذلـــك الـــنور هو مفتاح أكثر المعارف،ومن ظن أن

• راجع مقدمة كتب الإتحاف السيد المرتضى جـ١ صـ٢

(١) المرجع السابق

(٢) راجع المنقذ من الضلال صـ[illegible]

الكشـف موقـوف علـى الأمـور المحـررة فقـد ضيق رحمة الله تعالى الواسـعة ولمـا سـئل رسـول الله (صـلى الله عليه وسلم) عن الشرح ومعـناه فـي قولـه تعـالى ((فمـن يـرد الله أن يهديـه يشرح صدره للإسـلام ....)) [1] هـو نـور يقذفـه الله تعـالى فـي القلب فقيل وما علامته فقال التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود .

وفاتــــــه

تـرك الغزالـي بغـداد وتوجـه إلـى البيت الحرام مؤدياً شعيرة الله سنة ٤٨٩هـ ثـم كانـت رحلـته إلى بيت المقدس فجاور به سنة ٤٨٨هـ حيـث أنـاب أخـاه فـي المدرسـة النظامـية ثم دخل دمشق مدة ثم عاد إلـيها معـتكفاً فـي المـنارة الغربية من الجامع ثم ذهب إلى الإسكندرية وأقـام بهـا مـدة ويقـال أنـه كان ينوي الرحلة إلى السلطان يوسف بن تاشـفين لمـا بلغـه مـن عدله ولكنه سرعان ما عاد إلى بغداد وعقد بها المجـالس وتكلـم فـيها كـلام أهل التصوف متحدثاً عن كتابه الإحياء ثم عـاد إلـى خرسـان ودرس بالمدرسـة النظامية في نيسابور ثم رجع إلى طـوس واتخـذ إلـى جانب داره مدرسة للفقهاء ومركزاً للصوفية ووزع أوقاتـه علـى خـتم القـرآن الكريم ومجالسة أرباب القلوب إلى أن توفى

---

(1) [illegible]

رحمـه الله بطـوس يـوم الإثنيـن الرابع عشر جمادى الاخرة سنة ٥٠٥ هــ ومشهده يزار بمقبرة الطايران .

رحـم الله الإمـام الغزالـي رحمـة واسـعة وجـزاه الله عنا وعن طلاب العلم خير الجزاء .

مؤلفـات الغزالـي

كتـب حجـة الاسـلام مـو لفـات عديدة أوصلها البعض إلى المائة وفي هذا الإطار نذكر أهمها فيما يلي :-

في الفلسفة :

١- المعارف العقلية والحكمة الإلهية .

٢- مقاصد الفلاسفة .
٣- تهافت الفلاسفة .

٤-المنقذ من الضلال .
٥-فاتحة العلوم .

٦-حقائق العلوم لأهل الفهوم .
٧- مكاشفات القلوب .

٨-رسائل في مواضيع مختلفة في الفلسفة والجدل .

في الأخلاق والتصوف

١-جمع الحقائق بتجريد العلائق .
٢ - إحياء علوم الدين .

٣- بداية الهداية .
٤- ميزان العمل .

٥- كيمياء السعادة .

٦- التبر المسبوك من نصيحة الملوك .

٧- سر العالمين وكشف ما في الدارين .

٨- أيها الولد

٩- معارج السالكين

١٠- مشكاة الأنوار

١٠ مداخل السلوك الى منازل الملوك

١١- كتاب الزهد الفاتح

١٢- كتاب منهاج العابدين .

في الدين والإلهيات .

١- كتاب جواهر القرآن

٢- كتاب فضائل القرآن

٣- كتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة .

٤- كتب الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية

في الفقه :

١- كتب البسيط في الفروع على نهاية المطلب لإمام الحرمين .

٢- كتاب الوسيط لأقطار البسيط .

٣- كتاب الوجيز

٤- كتاب المستصفى في علم الأصول .

٥- كتب النحول في الأصول .[١]

راجع موقف الغزالي في التصوف المقارن د/ محمد غلاب صـ ٢٨ ط. نهضة مصر ١٩٥٦م

جورج [illegible] عدد مارس ١٩٠٧ مجلة الهلال .

وفيات الأعيان ابن خلكان صـ ٣ صـ ٣٥٤ وما بعدها .

الشك عند الغزالي

كان عصره يجيب عن مسائل دينية ميتافيزيقية دفعه اليها العصر الذى كان يعيش فيه وكا كان سببا في خمود الفلسفة في المشرق بسبب حملته التى شنها على الفلاسفة ٠

دعا إلى الاستقلال العقلى فقال (فجانب الالتفات الى المذهب واطلب الحق بطريق النظر لتكون صاحب مهب ولاتكن في صورة أعمى تقلد قائدا يرشدك إلى طريق وحولك ألف مثل قائدك ينادون عليك بأنه أهلكك وأضلك عن سوء السبيل ومن هنا فقد جانب السفسطة التى نادى بها الارتيابيون ونراه يقول (من قلد أعمى فلا خير في متابعة العميان ٠٠٠٠٠٠٠والا فالسوفسطائى كيف يناظر ومناظرته اعتراف بطريق النظر ﴾٠

دعا الغزالى للشك المنهجي وليس للشك الارتيابى الذى ينكر كل حقيقة وينكر امكانية الخروج من دائرة الشك ومن نلاحظ قول الإمام إذ الشكوك هى الموصلة إلى الحق فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقى في العمى والضلال ميزان العمل (٤٠٩)فإرادة الحقيقة هى التى دفعته للشك في آراء عصره رغبة الوصول للحق وقد شبه تلك المعارف المتنوعة بالبحر العميق الذى غرق فيه الاكثرون وما نجا منه الا الاقلون ٠

وعن الاستقلال العقلى يقول (فاعلم ياأخى أنك متى كنت ذاهبا إلى أن تعرف الحق بالرجال من ٠٠٠٠٠٠٠٠فمن عول على التقليد هلك هلاكا مطلقا ٠

ولئن كان الامام قد بين قصور العقل في الوصول للمعارفخاصة التـــى لانعرفها الا من خبر السماء الموحى به ٠وكذا اكد لان الحواس وسائل للمعرفة اليقيينية بالله عزوجحل ولابد من استخدامها استخداما مناســبا ٠وأخيرا خرج الغزالى من شكه بنور الله تعالى وهو امر لايغرفه العلم فهو ليس بدليل مدرد ومن قال بذلك فقد ضيق رحمة اللله زوفى هــذا ينقل قول النبى صلى الله عليه وسلم _عندما سئل عن الشرح في قولــه تعالى (فمن يرد الله ان يشرح صدره الاسلام قال نور يقذفه الله تعــالى في القلب فيشرح به الصدر فيعقل وما علامتــه ٠التجــافى عــن دار الغرور والانلابة الى دار الخلود

ولاننسى أن ننبه إلى رسوخ عقيدة الإمام الثابتة فهى لم تتزحزح حول إيمانه بالله وبالنبوة واليوم الآخر فلم يك شك الامام شك زندقة لانه لم ينف العقيدة صراحة ولقد كشف احد التونسيين وهو الكعاك انه قد عثر بين محتويات مكتبة ديكارت الخاصة بباريس علىلا ترجمــة لكتــاب المنق من الضلال للغزالى ووجد ان ديكارت قد وقــف عنــد عبــارة الغزالي الشهيرة الشك أول مراتب اليقين ووضع تحتها خطا احمر ثــم كتب على الهامش ما نصه (يضاف ذلك إلى منهجنا)([1])

---

[1] المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت د زقزوق ٦ م الانجلو المصرية الثانية ١٩٨١م وفلاسفة ايقظو العالم (مصطفى النشار ١٧٧ ط دار الثقافة ١٩٨٨ م ٠